



نهي
داود

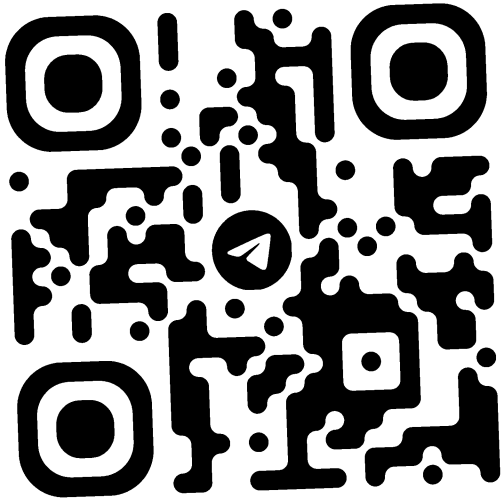
ذبابية زرقاء

رواية



مكتبة

الدار المصرية اللبنانية



سجل في مكتبة
اضغط الصفحة
SCAN QR

ذبابية زرقاء

رواية

داود، نهى.

ذبابة زرقاء: رواية / نهى داود. - ط 1.
القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 2025.
312 ص؛ 20 سم.

تدمك: 9 - 511 - 795 - 977 - 978

1 - القصص العربية.

أ - العنوان. 813

رقم الإيداع: 2024 / 31918

©

الدار المصرية اللبنانية

16 عبد الخالق ثروت القاهرة.

تليفون: 202 23910250 +

فاكس: 202 23909618 + ص.ب 2022

E-mail: info@almasriah.com

www.almasriah.com

الطبعة الأولى: 2025م

تصميم الغلاف الفنانة: مي السعيد

مكتبة

t.me/soramnqraa

نهي
داود

مكتبة

t.me/soramnqraa

ذبابية زرقاء

رواية



الدار المصرية اللبنانية

إهداء

إلى نساء غيرن حياتي:

- صديقة الطفولة ومدربة التغيير والتمكين الذاتي: إيمان الطوبجي.
- الفنانة الجميلة ومدربة ورشة «خطى صغيرة»: منى شاهين.
- الطبيبة العزيزة ومدربة التربية الإيجابية: د. مي المشد.
- ابنتي وشمسي المشرقة.. سارة إيهاب راتب.

لقد تعلمت منكن الكثير في لحظات فارقة من حياتي..

شكرًا.

في عشق دهب..

اختفاء

مكتبة

t.me/soramnqraa

شهيق وزفير يمزقان سكون الليل..

تتسارع قدما إيما على بدآلي الدراجة الهوائية وقد أحكمت قبضتيها على المقود تكافح لزيادة سرعتها وصعود الطريق الممتد أمامها إلى أعلى بمحاذاة الجبل. جعلها قميصها الرياضي الأصفر الفوسفوري تبدو في ظلمة الليل كنجمة صغيرة متوهجة ترتقي نحو السماء. تسارعت نبضات قلبها وأنّت عضلات ساقها وتصبب العرق من جبينها ليمنحها برودة منعشة بفعل هواء الليل البارد المشبع برائحة البحر، والذي أخذ يلفح وجهها، ويتخلل شعرها الأحمر في قوة أكسبت ذهنها صفاءً نادراً. أحسّت بأن الدنيا تفتح لها ذراعها ثانية بعد السنوات العجاف التي قضتها بين رعاية أمها المصابة بالسرطان وبين عملها في الضيافة، فأخيراً حصلت على هدنة حينما أعلن الأطباء عن انحسار المرض وأصبح بإمكانها استغلال إجازتها في السياحة كما تحب بدلاً من الجلوس جوار فراش أمها تتجرع أناتها المتوجعة في صمت عاجز..

سمعت من خلفها صوت نفير سيارة مفاجئ أفرعها وانتزعها من الحالة الشعورية الرائقة التي كانت فيها، فتساءلت في حنق عمّا يريد

قائدها وهي بالفعل تقود دراجتها أقصى يمين الطريق! انطلق النفير ثانية فأدارت رأسها في غضب إلى الخلف، ثم سرعان ما ابتسمت حينما ميّزت السيارة البيك أب البيضاء التي تعرف قائدها جيدًا برغم أنوارها الأمامية التي أغشت الرؤية لديها. أبطأت سرعتها تدريجيًا حتى أوقفت الدراجة، ثم ترجّلت واتجهت نحو السيارة مبتسمة.

تململ عاصم في جلسته خلف طاولة مكتبه على الكرسي ذي الذراعين، الذي اهترأت قاعدته مؤخرًا فأصبحت تؤلم مؤخرته مع طول فترة القعود. تابعت عيناه أرقام ساعة هاتفه المحمول، منتظرًا بفارغ الصبر أن تعلن تمام الثالثة؛ كي ينعثق من المكتب ويذهب إلى مطعم روزاليندا القاطن في حوض الجبل ليدلل نفسه بالوجبة التي ينتظرها منذ يوم الاثنين إلى الاثنين الذي يليه. صحيح أنها تكلفه مبلغًا كبيرًا من المال في كل مرة، بيد أن اللحم المطهو ببطءٍ، الغارق في التوابل، الذي يذوب في الفم ويفجر حليمات لسانه بالنكهات ويسيل لعابه أنهارًا.. يستحق.

تبقت عشر دقائق.

نظر إلى علبة علكة النيكوتين الصغيرة القابعة على سطح مكتبه مشتاقًا لدفقة تُعيد له التوازن، ولكن لا.. لن يمضغ واحدة الآن، فهو لا يريد لطعم النيكوتين أن يسكن فمه فيفسد مذاق طبق كاترينا المرتقب.

تعالّت طرقات على الباب ميز فيها قبضة الرائد عبدالكريم القوية، فتساءل في نفاد صبر وهو يسمح له بالدخول عمّا يريد، وهل

سيستغرق أكثر من عشر دقائق فيُعطله عن متعته الوحيدة في مدينة
دهب الساحلية الصغيرة الزاخرة بالمتع التي لم يجد نفسه في إحداها
سوى طعام كاترينا.

تنحني عبدالكريم قبل أن يقول:

- هناك فتاة تريد الإبلاغ عن اختفاء صديقتها.

- ماذا؟ اختفاء؟ الآن! وقد تبقت دقائق على الثالثة.

لم يجد عاصم بُدًّا من السماح بدخول الفتاة، قائلاً في عجلة دون
أن يرفع رأسه:

- بلاغك.. بسرعة.

- صديقتي لم تُعد منذ أمس.

هذا الصوت.. رفع رأسه بسرعة فالتقت عيناه بعينيها. هاتان العينان
المشمشيتان اللتان اشتاق لهما..

- أنتِ؟

- أنتَ؟

هتفت بدورها في دهشة متلهفة ابتلعتها سريعاً ليظهر محلها
غضب مكتوم التمع في عينيها المشمشيتين جعله يعتدل في كرسيه
ويعقد حاجبيه مخفياً ارتبাকে برؤيتها، ومهدئاً قلبه الذي ظن أنه نسيها
فأثبت العكس برفرفته بين ضلوعه.

ظلت ندى واقفة تنظر أمامها في عبوس، فأشار لها بالجلوس سائلاً
بنبرة نجاح في إخراجها جادة لا تشي بما يعتمل في نفسه:

- تفضلي.. ما هو بلاغك؟

أخذت ندى نفساً عميقاً وأخرجته ببطءٍ قبل أن تقول:

- صديقتي إيما لم تعد منذ أمس. أود الإبلاغ باختفائها.

- تعلمين بصفتكِ صحفية متخصصة في الحوادث أن بلاغ
الاختفاء لا يُعتد به إلا بعد مرور أربع وعشرين ساعة و..

قاطعته:

- لم أعد صحفية.

ثم عضت على شفتها السفلى لائمة نفسها أنها أخبرته بمعلومة
شخصية، فأردفت:

- أنا وصديقتي هنا في رحلة لمدة عشرة أيام، وإيما ليس لها
أصدقاء هنا في دهب غيري، وهاتفها مغلق.. أين عساها ذهبت؟
حدسي يخبرني بأن مكروهاً أصابها.

أعادت كلمة «حدسي» إلى ذهن عاصم قضية نجية والجثث
والقرد، والدور المحوري الذي لعبه حدس ندى في تلك القضية، ثم
تذكر ما جرى بينهما بعدها فتجهَّمت متعجباً لغرابة الأقدار التي جمعتهم
ثانية في هذه البقعة النائية بعد أن ظن أنهما لن يجتمعا ثانية. رنَّ هاتفه،
المنبه الذي ضبطه كي ينبهه في تمام الثالثة وكأنه قد ينسى، وكأنه ليس

معتادًا على التهام شاشة الهاتف بعينه قبل الثالثة بساعة كاملة. والآن قد تعدَّت الثالثة، ولكن لا يهم، لأجل ندى وما سكن قلبه تجاهها سيياشر البلاغ قبل الموعد الرسمي المفترض.

- متى شاهدتها لآخر مرة؟

- أمس، في الثامنة مساءً، كان يُفترض بنا أن نتجول سويًا في الممشى، ولكنني كنت متعبة وفضلت البقاء في الفندق فقررت هي تأجير دراجة وقيادتها قليلًا. تفعل ذلك في الأمسيات التي أعود فيها مرهقة من الغطس. لا تزيد جولتها بالدراجة عادة على ساعة، ولكن حينما تأخرت نمتُ أنا واستيقظت في منتصف الليل فلم أجدها في الغرفة. ظننتها عرجت على الملهى الليلي لأحد الفنادق، فهي تحب الرقص كثيرًا، أو مرت بركن أندريه..

قاطعها عاصم في دهشة:

- ركن أندريه!

- إنه نُزل صغير على الممشى، صاحبه رجل فرنسي لطيف أحبَّت إيما تبادل أطراف الحديث معه، وأغرمت بكلبته ول...

قاطعها ثانية:

- أعرف ركن أندريه جيدًا، فأنا أسكن فيه.

- حقًا؟!

قالتها مبتهجة، ثم عادت فتذكّرت موقفها منه وما كانت لتقوله شيرين أختها في ذلك الموقف فتجهمت مستدركة:

- حينما استيقظتُ في الصباح لم يكن هناك أثر لإيما في الغرفة، وفراشها لم يُمس. حاولت الاتصال بها تفهما فوجدته مغلقاً، مررت على أندريه وسألته عنها فقال إنه لم يرها.

- متأكدة أنها ليس لها أصدقاء هنا؟

- إيما أمريكية، وهي زميلة أختي في العمل، هذه أول زيارة لها لمصر ولا تعرف هنا سواي.

- ألم تتواصل مع شيرين؟

- مطلقاً، ولم تترك لي رسالة على الواتساب كما تفعل عادة عند تغيير الخطط.

- حسناً..

قالها عاصم وهو يقوم من على كرسيه.

- حسناً ماذا؟

- لقد دوّنت بلاغك وسوف أباشر التحقيق فيه.

- الآن؟

شعر عاصم بالحرص فمد يده وأخرج علكة النيكوتين من شريطها المفضّض وألقاها في فمه. رنّت في فضول نحو العلبة التي لا تشبه العلقات المحلاة، لمحت المكتوب عليها فشعرت برضا خفي لمحاولته الإقلاع عن التدخين كما طلبت منه سابقاً، ثم تذكرت ما حدث بعدها فزمت شفتيها، ثم تذكرت إيما فقالت بنبرة يشوبها الإصرار:

- ما رأيك أن نبدأ من محل تأجير الدراجات؟

لاحظ عاصم نظرات عبدالكريم التي ملأها الفضول تجاه الحوار الدائر، إلا أنه تجاهلها وأوماً برأسه موافقاً على ما قالت ندى.

في غرفتها المتواضعة بالدور الأخير لإحدى البنايات، وقفت أمام المرأة المشروخة والمثبتة بركاكة في الحائط وذكّرت نفسها ربما للمرة المائة بوجوب التضحية بقليل من المال لاستبدال مرآة أخرى سليمة بهذه المرأة قبل أن تنكسر تمامًا وتصيبها بشظية تدميها. أحكمت رباط منديلها ذي الزهور الفاقعة في عقدة أعلى رأسها ثم بدأت تتمرن بنبرة خفيفة على ما تود قوله:

«أعرف ما حدث لإيما..»

طقطقت بلسانها غير راضية عن الصياغة، ثم أطرقت لحظة قبل أن تنظر مجددًا في المرأة.. أملت رأسها فسقطت أشعة الشمس على الزغب المتنامي فوق شفتيها الرفيعتين، فلاحظته وتغضنت ملامحها وهي تتذكر زمنًا كانت حريصة فيه على نزعه بالفتلة كلما نما. تنهدت ورسمت الجدية على وجهها وأشارت إلى صدرها قائلة بنبرة عميقة:

«السر في بئر..»

لم تعجبها العبارة أيضًا، مبتذلة ولا تفي بالمطلوب. هزّت رأسها باحثة عن كلمات تطلب بها المال نظير السكوت عمّا رأيته دون أن يكون أسلوبها مبهمًا فتخسر الفرصة، ولا فجأ فتثير غضبًا لا يمكنها احتمالها..

«لقد رأيت ما حدث أمس، جنيهاً قليلة ستجعله سرّاً و...»

قطعت عبارتها مخرجة صوتاً من أنفها في غضب عجزاً عن إيجاد الصيغة المناسبة، ثم فتحت باب غرفتها وخرجت تاركة الكلمات حتى يحين وقتها..

مكتبة

t.me/soramnqraa

في حضن الجبل

اقترب المقدم عاصم مع الرائد عبدالكريم من محل الدراجات الذي قاده إليه ندى، يسأل نفسه كيف طاوعها وقد انقبضت معدته من الجوع، بعد أن تسللت إلى أنفه روائح الطعام اللذيذة المنبعثة من المطاعم الصغيرة المتناثرة في الشارع.

خارج المحل وقف شاب نحيل يدخن سيجارته في شroud، ثم لم يلبث أن بدا عليه التوتر لمراى عاصم، الذي فهمت ندى أن وجهه كضابط مباحث القسم معروف لدى العاملين بالمنطقة. ألقى الشاب سريعاً بسيجارته ودهسها بقدمه، تساءلت ندى إن كانت سيجارة محشوة بمخدرٍ ما! بدا لها أن عاصم انتبه هو الآخر للسيجارة لكنه اختار ألا يعلق، حيّا الشاب وسأله عن إيما التي فتحت ندى هاتفها لتريه صورتها فميزها على الفور، سأله عاصم عن آخر مرة شاهدها فيها فأجابه الشاب:

- مساء أمس حينما استأجرت الدراجة.

- ألم تُعدها؟

- لا.. ولكن لا تقلق، لقد استعدناها.

هتفت ندى في وجل:

- كيف؟

- أحد أصدقاء المحل وجدها بالصدفة ملقاة على جانب الطريق
أعلى شارع الكمين فأعادها.

أشفع الشاب كلامه بالإشارة إلى دراجة مثبت بها ملصق فوسفوري
عليه رقم 55 قائلاً:

- هذه هي الدراجة.. انتظروا اللحظة.

ثم دخل إلى المحل وأخذ دفتر تسجيل من على المكتب، لاحظت
ندى وجود شاب بالداخل تمتلئ ذراعه بالوشوم، وقد جمع شعره
الكستنائي اللون في ذيل حصان خلف رقبتة، عاد الشاب النحيل
بالدفتر وقدمه إليهم ليقرأ فيه بوضوح اسم إيمان وأمامه رقم 55.

- هل احتفظتم ببطاقة هويتها أو جواز سفرها؟

هز الشاب رأسه يميناً ويساراً قائلاً:

- للأسف لم نطلبه منها، فقد أصبحت زبونة لدينا، ولكن بعد
إهمالها في إعادة الدراجة أمس لن نسمح لها باستئجار أي دراجة
مجدداً، ولن نتهاون مع زبائن آخرين في أمر الرهن.

شكره عاصم وابتعد فتبعته ندى قائلة:

- ألن تتحفظ على الدراجة؟ ماذا عن البصمات؟

رمقها عبدالكريم بنظرة ضيق من تدخلها، بيد أن عاصم أجابها في جدية:

- لقد عبثت أيدٍ عدة بالدراجة، لن تفيدنا بشيء الآن.

- أَلن تتفحصها على الأقل؟ ربما صار لإيما حادث وهي الآن في أحد المستشفيات بين الحياة والموت.

- الدراجة أمامك في حالة ممتازة. وحالات الحوادث تردنا بها إشارة أولاً بأول. دعينا نُقِّم بتحرياتنا وسُنعلمك بالمستجدات. أرسلني لي بيانات إقامتك هنا وبيانات صديقتك وصورتها.

فتحت هاتفها لترسل إليه ما طلب، فقال بنبرة ذات مغزى:

- ستضطرين لفك الحظر عن رقمي.

احمرَّ وجهها فأخفى نمش وجنتيها، وأخفته هي بأن تظاهرت بانهماكها في إرسال ما طلب عبر الهاتف، فأخذ عاصم يتأملها بقامتها القصيرة، وقد استقر رأسها الدقيق وسط فردتي «ششب» أزرق كبير مرسوم على لوحة إعلانية خلفها تخص المحل، وقد خُطَّ عليها: «اترك ششبك رهناً»، وقد بُتت أعلى اللوحة فردة «ششب» حقيقية للمصادفة.

دلف عاصم إلى داخل المطعم القابع في حضن الجبل فانتعش بجوه البارد بعد وقفته في الشمس مع ندى والعرق الذي بلل ظهره

رغم تنازله عن قمصانه السود اضطرارًا بعد نقله للعمل في سيناء، واستبداله قمصان بيضاء بها، لا تمتص حرارة الشمس بذات الضراوة. تسللت أنغام أغنية «حكايتي مع الزمان» للمطربة وردة الجزائرية إلى أذنيه، وغشيت رائحة الطعام اللذيذ أنفه فشعر مع برودة الجو والستائر القطيفة الحمراء القانية والإضاءة الخافتة المنبعثة من المشاعل النحاسية المتناثرة على جدران المطعم الحجرية العتيقة، شعر بنفسه مسحورًا، وكأنه شهريار في حكايات ألف ليلة وليلة.. ولكن أين هي شهرزاد؟!

أقبلت عليه مدام كاترينا بجسدها القصير المكتنز، ومريلة المطبخ البيضاء المقلمة بالأحمر، والتي لا تفارقها في المطعم، قائلة بأسلوبها المعتاد الذي بدد صحبه كثيرًا من سحر ألف ليلة وليلة:

- مقدم عاصم، مرحبًا..

ثم أضافت بنبرة عتاب خفيفة:

- لقد تأخرت اليوم.

قالتها وهي تُضيّق عينيها الصغيرتين الحنونتين المسحوبتين من الخارج إلى الأسفل قليلًا، ليتسع وجهها المستدير الممتلئ بابتسامة ترحيب دافئة، سرعان ما تحولت إلى ضحكة اهتز لها ذقنها المزدوج ووجنتاهما اللتان تشوبهما حمرة دائمة.. اعترى عاصم حنين غامض إلى أمه سرعان ما دسّه في أعماقه قائلاً:

- أنتِ محقة كاترينا، لقد تأخرت، ولكنه العمل.

- آه يا عزيزي! أنت ترهق نفسك كثيرًا، ولذلك تستحق تعويضًا من كاترينا. دقائق ويكون طبقك المفضل أمامك، ولكن أنعش نفسك بهذا أولاً..

أتبعت عبارتها الأخيرة بوضع كوب من مشروب «الكركيدي» المثلج أمامه، ثم مسدت بيدها المكتنزة المفروش القطني ناصع البياض واطمأنت أنه في المركز تمامًا بالنسبة للمفروش التقليدي ذي المربعات الحمراء والبيضاء أسفل منه، ثم عدلت من وضعية آنية الزهور الصغيرة لتؤكد أنها هي الأخرى في مركز المنضدة تمامًا، قبل أن تتعدد ساحبة معها صخبها وحيويتها. أخيرًا أصبح عاصم وحده ويمكنه الآن أن يحلل مشاعره المرتبكة تجاه ندى. ارتشف رشفة من كوب الكركيدي المنعش وهو يفكر.. لقد مرت شهور وهو يقنع نفسه بأنه قد تناساها وأن والدته محقة، ندى لم تكن كما يراها أو يظنها، وما بدر منها أكد له ذلك وكان كفيلاً بتبديد أي مشاعر تجاهها، فماذا حدث له اليوم؟ لماذا قرعت قلبه الطبول حين رآها؟ ولماذا أراد أن يقفز من صدره كي يحتضنها ويسكنها جوانحه؟ هناك شيء خاطئ!

أقبلت كاترينا تحمل صفحة خشبية كبيرة وضعتها على المنضدة المجاورة، ثم نقلت منها الأطباق التي يتصاعد منها البخار إلى مائدته قائلة:

- طلبك المعتاد، أحبيب أن أقدمه لك بنفسني..

ظهرت من خلفها امرأة هزيلة الجسد رحبت بعاصم قائلة بصوتها الرفيع الأخف:

- نَوَّرت يا سعادة الباشا.

نهرتها كاترينا قائلة:

- فائزة.. ألم أنبه عليكِ ألا تضايقي الزبائن؟

- لا بأس..

قالها عاصم وهو يضبط هاتفه على خاصية الطيران ويضعه مقلوبًا على ركن المنضدة الأبعد. لن يضيع اللحظات الثمينة التي انتظرها لأسبوع كامل في تصفح مواقع التواصل الاجتماعي كعادته أثناء تناول الطعام، فهذه اللحظات تستلزم تركيزًا كاملاً واستغراقًا بكافة الحواس. أخرج أدوات الطعام الفضية من المنديل الأبيض وفرده على فخذه، ولاحظ أن فائزة لا تزال واقفة بجواره، فسألها بكياسة:

- كيف حالك اليوم؟

ألقي عاصم السؤال، ثم ندم من فوره حينما افترّرت شفتاها الرفيعتان عن ابتسامة جعلت الزغب أعلاهما يتراقص، وانفتحت في الكلام منتهزة الفرصة كي تُعدد له أسباب معاناتها ما بين تعب الغضاريف والمفاصل، وما بين ضرسها الذي يؤلمها، رفعت كاترينا عينيها إلى السماء وعادت فحدجته وهي تبتعد بنظرة فحواها: ألم أقل لك؟!

ثم..

توقف كل شيء فجأة.

توقف الزمن، وتراجعت فائزة إلى الوراء حتى اختفت هي وصوتها مع أول قطعة لحم وضعها عاصم على لسانه وأغلق عليها فمه لتذوب.. وتذوب معها جوارحه في لحظة نادرة.. وكاملة.. من اللذة.

ابتعدت فائزة بينما انصهرت حواس عاصم جميعًا في بوتقة من الذكريات التي أيقظها مذاق الطعام في فمه وأججها في دهايز عقله. لم يدرك أجالس هو في مطعم روزاليندا بحضن الجبل يأكل من يد كاترينا، أم متربع على طبلية جدته لأبيه في بيتها العتيق بالشرقية يتناول البيض المقلي الغارق في السمن والفطير المشلتت مع الجبن القديم والمورته، وجدته بجواره تحثه على الأكل كي يسمن ويتقوّت، أم هو جالس على السفرة الحميمة لأسرة صديقه حسن بمنزلهم الدافئ في السيدة زينب يأكل الفاصوليا المطبوخة والأرز حبة وحبة، أم هو على ضفاف نهر النيل بالمنيا يتناول حلوى «أم علي» بالقشدة مع ندى الرقيقة، يذوب في عينيها المشمشيتين المعبأتين بشمس الأصيل.

هذا ما يفعله به طعام كاترينا..

وهذا ما يأتي من أجله.

انتهت الوجبة وانتهت معها فقرة الذكريات بعد أن جلبت القليل من الدفء والسلوان لقلب عاصم المهجور. ظهرت كاترينا مجددًا تتحرك بنشاطها المعهود الذي لم يتناسب في رأي عاصم لا مع

سنوات عمرها الخمسين ولا مع جسدها الممتلىء، وإنما يتناسب فقط مع روحها المتفائلة وشغفها بالطهي. قالت له في ابتهاج:

- تعال معي، أريد أن أريك شيئاً..

استغرب عاصم من دعوتها ولكنه تبعها بمعدة متخمة، فمر وراءها من باب المطبخ الخشبي المزدوج الذي أخذ يتأرجح من بعدهما حتى عاد إلى وضع السكون. استدارت كاترينا نحوه وفتحت ذراعيها قائلة بأسلوب مسرحي:

- هنا يحدث السحر كله..

ابتسم عاصم وهو يتأمل حوائط المطبخ النظيفة وأرضيته البيضاء اللامعة التي تفوح منها رائحة المنظفات، أشارت كاترينا نحو موقد ضخم في الركن قائلة:

- ها هو صديقي الجديد.. وصلني منذ أيام. هل لاحظت فرقاً في تسوية اللحم اليوم؟

- كان عظيمًا ويزوب في الفم مثل كل مرة.

أشارت نحو مجموعة أوانٍ سوداء متدلّية من السقف أعلى رأسيهما، ولأخرى مرصوفة على المنضدة الجانبية ولها أغطية مقببة، قائلة في حماس:

- السرف في أواني الحديد الزهر. هي البطل الذي يرقد اللحم في جوفه لساعات في قلب الفرن حتى يصلك بهذه الروعة والكمال.

كانت تتكلم بفخر واعتزاز كملكة متوجة على عرش مملكتها، وهكذا كانت تبدو لعاصم وسط مطبخها الأبيض وأوانيها السوداء.

عاد عاصم إلى صالة الطعام وسرعان ما لحقت به كاترينا ووضعت أمامه كوب الشاي بالنعناع البلدي الذي يفضلُه، ودلّوا نحاسيًا صغيرًا به فاتورة الحساب، لم يُلَقِ نظرة على الفاتورة، فهو يعرف، أخرج المال من محفظته الجلدية غير نادم بعد أن أخذ في مقابله ما يرضيه. لم تسأله كاترينا إن كان يريد التحلية، فهي تعرف أنه يفضل تناول حلوى «الكريم بروليه» الفرنسية من يد زوجها أندريه في فترة المساء.

أخرج عاصم هاتفه من جيبه وأعادَه لوضع التشغيل وبدأ يتفقد رسائله مع رشقات الشاي. وجد رسالة من ندى بها بيانات صديقتها المختفية إيما وعدة صور لها، فتح صورة مقربة لوجه الفتاة وأخذ يتأملها.. تشبه روز كثيرًا، لهما لون العينين الأزرق الزاهي نفسه والوجه البيضاوي والجبهة المرتفعة، لولا اختلاف لون الشعر، شعر روز بني فاتح بينما إيما لها شعر أحمر مميز، لا عجب مع هذا التشابه بين الفتاتين أن انخرط أندريه في الحديث معها كما أخبرته ندى رغم انطوائه الذي طال. وهو انطواء يتفهمه عاصم، فهناك جروح من الصعب أن تندمل، وربما أصعبها على الإطلاق جرح الفقد، وأندريه قد عانى منه أكثر من مرة. وكذلك كاترينا، ولكن يختلف الناس في طرق تعاملهم مع الحزن والفقد، وبعد معرفة الحكايات والخفايا، يصعب أن تظل نظرتنا للناس سواء، حتى لو ظلوا هم كما هم.

في غرفته بنزل أندريه، فك عاصم زر سرواله ليتيح لمعدته التمدد، وجلس على المقعد المريح ذي الذراعين في ركن الغرفة بجوار النافذة المفتوحة يتنَّسَّم هواء البحر ويتفقد هاتفه. وجد عدة رسائل نصية من ندى تخبره فيها بأن صديقتها لم تظهر حتى الآن، وتسأله متى يتتوي التحرك للبحث عنها. أعاد رأسه إلى الوراء وأغمض عينيه متفكرًا فيما إن كان عليه أخذ أمر الاختفاء هذا بجدية استنادًا لحديث ندى، أم ينتظر للصباح وفق قناعته الشخصية، أو بالأحرى رغبته المشروعة في الراحة بعد أكلة ثقيلة. اندلع بداخله نقاش حاد:

- تحرك.. حياة فتاة على المحك.

- دهب بلدة هادئة قلما تحدث فيها جرائم فضلًا عن الخطف، فلا داعي للهلع.

- لكل حدث مرة أولى، فهل حقًا ترغب بالمغامرة؟

- قواعد العمل تقتضي ألا يبدأ البحث إلا بعد 24 ساعة من الاختفاء.

- وماذا عن قواعد الضمير؟

زفر في ضيق وعاد يتأمل صورة إيما بابتسامتها المشرقة وشعرها الناري، ويتساءل إن كانت قد اختفت بمحض إرادتها! ربما أرادت قضاء ليلة بصحبة أحد الشبان بعيدًا عن عيني ندى المتحفظة. دوماً كانت متحفظة. حيرته تلك الصفة فيها فلم يعرف أهى ما جذبت إليه أم إنها ما تجعله مترددًا بشأن القرب منها..

«وكان الأمر لا يزال باختيارك!» قالتها له نفسه هازئة..

قرّر عاصم تجاهل رسائل قلبه ورسائل ندى وتأجيل البحث في أمر الفتاة للصباح، فشعائره المقدسة بعد وجبة كاترينا هي الراحة والخمول، وهو لا يجد أي دليل على أن الأمر يقتضي غير ذلك.

الضحية الرابعة

قتلتُها..

مددتُ لها السلسلة الذهبية فانشغلت بها للحظة فباغتها ودفعتها
بيدي.. هكذا.. فسقطت.

لم تُبدِ أي مقاومة، لم تتشبث بالحافة أو تغرز أظافرها في الصخور..
فقط سقطت.

انتظرتُ برهة.. برهة طالت حتى ظننتها لن تنتهي، ثم وصل لسمعي
صوت الارتطام المكتوم. صوت ضئيل تافه يليق بها.

تقدمتُ خطوتين نحو الحافة ونظرت.. جسد هزيل مكوم بالأسفل،
ساكنًا كان وسط الحجارة، لا يتحرك فيه سوى طرفي المنديل المبتدل
الذي ربطت رأسها به، تتلاعب بهما نسمة هواء صيفية.

ملاحها التي اكتست بالطمع وهي تستقبلني، ثم ابتسامة الانتصار
التي بزغت على شفيتها حينما رأت السلسلة الذهبية في كفي، ثم
ملامح الرعب وهي تهوي إلى أسفل.. كل ذلك جعلني أكرهها أكثر.

كل حركة، كل نظرة، وصرختها المكتومة وهي تسقط.. مثل ذلك كله إهانة لي ولنظامي الدقيق.

قتلتها وتلاشى شعوري بالضيق والتوتر مع سقوطها، ولكن بقي في داخلي مزيج من الغضب والندم، لم يكن من السهل عليّ تجاوز الحدود التي حدّدتها لنفسى وهي تعدّت عليّ بوقاحة حينما أجبرتني على قتلها بطريقة سريعة وخالية من الفن.

ولكن لا بأس..

سأعوض ذلك قريبًا.

استيقظ عاصم نشيطًا بعد أن نام ما يزيد على عشر ساعات. تناول إفطاره مع أندريه كعادته حينما يستيقظ مبكرًا، ثم شرب قهوته ومضغ علكة النيكوتين خاصته فصار في مزاج جيد. التقى على باب التُّزل بالجرّاح الشهير د. سعيد أبو المجد، تساءل: ما الذي أتى به مبكرًا؟ بدا في حالة مرح غير مألوفة، وسأل على أندريه فدله عاصم على مكانه في نهاية الساحة تحت فروع الجهنمية البرتقالية. استقل عاصم السيارة الجيب القديمة التي استأجرها عند وصوله إلى دهب بعد أن استغنى عن سيارته الفارهة التي أهدته إياها والدته عقب ترقية الأخيرة. استغناؤه عن السيارة جاء بمثابة احتجاج غاضب على تدخلاتها السافرة في حياته، أو لربما على رأيها في ندى وموقفها منها، ولكن كل ذلك قد أصبح من الماضي الآن.. أم لا؟ أخذ يفكر فيما جرى بينهما وهو يقود سيارته الحمراء بلا سقف عبر الطريق

الضيق المحاذي للبحر، مستمتعاً بهوائه المنعش وزرقته اللانهائية الخلافة، مدندنًا بأغنية «باتونس بيك» للمطربة وردة، المطربة التي تعلّق بها أندريه فأصبحت أغانيها مقررة عليهم في غرفة الطعام بالنّزل، وفي مطعم كاترينا تيمناً بالتماثل بين اسم المطربة واسم ابنة زوجته روزاليندا، الذي اختاروه ليصبح اسم المطعم منذ أن كان في مقره القديم، مطعم صغير في شارع ضيق متفرع من الممشى، يقدم خدمة الـ«تيك أوي» للزبائن، مع عدة موائد صغيرة بالساحة خارجه دون صالة مناسبة للجلوس.

لن ينسى عاصم ذلك اليوم الذي قادته فيه رائحة التوابل النفاذة نحو المطعم الصغير المنزوي لتكون لحظة فارقة في حياته حينما تعرف فيها على الزوجين العزيزين: أندريه وكاترينا.

عادت به ذاكرته إلى الورااء.. إلى ما يقرب من عام ونصف حينما تعرّض لنقل تعسفي في عمله من القاهرة إلى مدينة رفح على حدود مصر الشرقية بإيعاز من حمّاه السابق والد ميهان تأديبًا له على إصراره فسخ خطبته قبل أيام من الزفاف على ابنته. قضى عاصم عدة أشهر بائسة في رفح، يعاني مع قلبه الذي انقلب عليه، بعد أن أنهى علاقته مع ندى بصورة مفاجئة، وبعد أن قاطع والدته لنفس السبب، ف شعر بحياته العاطفية متصحرة تمامًا كالمساحة الجرداء التي أحاطت بالقسم هناك وامتدت على مرمى بصره، حتى نجح والده بعد عدة أشهر بواسطة علاقاته في تخفيف قرار النقل التعسفي، ليتم نقله إلى قسم مدينة دهب.

وصل إلى المدينة المطلة على خليج العقبة بعد أذان العصر بقليل. توجه من فوره نحو ممشاها الساحر الذي سمع عنه كثيرًا.. وجده ممرًا طويلاً محاذيًا للبحر، على يمينه مطاعم وبازارات ومحال تباع المصنوعات اليدوية والأنتيكات، وعلى يساره مقاهٍ ومطاعم تطل مباشرة على البحر، لم يكن هناك شاطئ يذكر، بل تقفز من باب المقهى في البحر مباشرة. كان يتصور جوعًا فأخذ يقرأ قوائم الطعام التي وضعها المطاعم خارجها على الممشى فلم يجد فيها ما يوافق ذوقه، وما وافق ذوقه لم يوافق ميزانيته، وقد استغرب الغلاء الفاحش للأصناف المقدمة في تلك المطاعم. توغل في الأزقة الداخلية المتفرعة من الممشى لعله يجد خيارات أفضل، فتسللت إلى أنفه رائحة مغرية غير متوقعة، تتبعها لاهثًا حتى وجد نفسه يقف أمام مطعم متناهي الصغر، وضعت أمامه سبورة سوداء مكتوب عليها بالطباشير الأبيض قائمة طعام لم تتعدَّ ثلاثة أصناف، كُتب أعلاها بخط كبير «مطهو ببطء». سحرته العبارة فقرر التجربة، ولكنه احتار أي الأصناف يطلب. في هذه اللحظة خرجت من المطعم فتاة شديدة الجمال بعينيها الزرقاوين وفمها الأحمر المكتنز وقوامها الممشوق، بادرتة قائلة بلغة عربية لا بأس بها:

- هل تبحث عن ماما؟

وقف مذهوشًا لا يعرف من هي «ماما» المقصودة، فبادرتة الفتاة بإشارة إلى لافتة أعلى الباب مكتوب عليها «مطعم روزاليندا» قائلة:

- أنا روز، وماما هي الطاهية، هل تحتاج لمساعدة في الاختيار من القائمة؟

أوماً لها مبتسماً، وقبل أن ترد عليه انضم إليهما رجل ذو ملامح أوروبية في أواخر العقد الخامس من عمره، طويل القامة، رشيق الجسد، له وجه مربع حليق يحيط به شعر فضي قصير، وضع ذراعه على كتف الفتاة فابتسمت قائلة:

- ها قد أتى أندريه.. سيساعدك أفضل منّي فهو الذواقة هنا.

- اللحم طبعاً، اختر اللحم فلهم كاترينا..

قطع عبارته ليضم أصابعه الخمس ويقبلهم في الهواء قبل أن يمد يده لعاصم مصافحاً:

- مرحباً، أنا أندريه صاحب ومدير نُزل «أندريه كورنر»، وهذه روزاليندا الجميلة ابنة زوجتي. هل أنت جديد في دهب؟

وبهذا السؤال بدأت صداقة عاصم مع أسرة أندريه الصغيرة، وترعرعت تلك الصداقة حينما قرر عاصم الانتقال للسكن في إحدى حجرات نُزل أندريه لينعم بما يشبه الحياة العائلية التي افتقدها كثيراً منذ خروجه من القاهرة، ثم ازدادت تلك الصداقة متانة حينما آزر عاصم الزوجين في أزمتهم الشديدة بعد ما حدث لروز.

أوقف عاصم سيارته خلف مبنى القسم وترجّل منها متوجّهاً نحو مدخله وهو يدندن كلمات الأغنية الأخيرة التي كان يسمعها.. تجمّدت الكلمات على لسانه حينما رأى ندى تنتظره أمام القسم وقد تعكّرت ملامحها الرقيقة، واستحال لون عينيها إلى العسلي الغامق

بما حملته من عتاب، تحاشى النظر فيهما وأشار إليها كي تتقدمه إلى غرفة مكتبه عازماً على التفرغ لها طيلة اليوم حتى يجد صديقتها الشاردة.

صعد السلالم القليلة لمدخل المبنى بسرعة وندى تهرول للحاق بخطواته الواسعة. اقترب من غرفته فوجد دياب سائق النقل البدوي واقفاً بقامته الضخمة وجليابه الأبيض الشبيه بالشوب الخليجي والصديري الأسود ذي الأطراف الموشاة بخيوط فضية، يتهامس مع الرائد عبدالكريم. انتبه عبدالكريم لحضور عاصم فبادره قائلاً بنبرة قلقة:

- سيادة المقدم، دياب هنا للإبلاغ عن..

توقف عبدالكريم ونظر إلى دياب الذي عدل الشال السيناوي المزركش بالأبيض والأسود على رأسه وهو يكمل عبارة عبدالكريم باقتضاب:

- عن جثة.

شهقت ندى وشحب وجهها، بينما عقد عاصم حاجبيه يحاول تحليل لغة جسد دياب وعبدالكريم مستبقاً أقوالهما، في محاولة سريعة لمعرفة أي معلومات، راجياً ألا تكون جثة صديقة ندى.. وإلا لن يسامح نفسه!

فتح باب غرفة مكتبه ودعا الجمع للدخول والأفكار تتصارع في رأسه..

- اجلس يا دياب، أخبرني عن الأمر.

- كنت أتجوّل في دروب الجبل فوجدت جثة عند السفح.

صمت دياب للحظة فعرف عاصم أن الآتي أهم.

- جثة فايضة.

- فايضة؟!!

قفزت إلى مخيلة عاصم صورة فايضة بجسدها الضئيل ومنديلها الملون المعقود أعلى رأسها. فايضة التي رآها في المطعم أمس وكانت بخير حال.

تدخل عبدالكريم قائلاً:

- ربما وقعت من على الحافة.

- ربما..

قالها دياب بعدم اقتناع، فوقف عاصم معلناً:

- هيّا.. سنذهب للمعينة، أبلغ النيابة يا سيادة الرائد.

أوماً عبدالكريم برأسه ثم أشار بذقنه إلى ندى متسائلاً، وجّه لها عاصم كلامه:

- ليست صديقتك، اطمئني..

- ولكن صديقتي لم تظهر حتى الآن.

- سأنتهي من المعينة وأبدأ في البحث عنها، لا تقلقي.

- سأنتظرك.

قالتها بقلّة حيلة وضعف أثرابه، ولكنه لم يعقب سوى بإيماءة رأسه، ثم خرج يتبعه عبدالكريم ودياب.

وصل الرجال الثلاثة إلى سفح الجبل حيث قادهم دياب بخبرة وسط الدروب إلى مكان الجثة. كان هواء الصباح نشطاً يلف حول أجسادهم، وحفيف الرياح التي تحتك بحواف الجبل وتعبث بالأعشاب الصحراوية مسموعاً كهسيس منذر. بيد أن ذلك الهواء وتلك الرياح لم يخففاً من لهيب شمس يونيو التي بزغت فوق رؤوسهم وجعلت العرق ينز من أجسادهم بعد عدة دقائق فحسب من المشي.

توقف دياب.. نظر عاصم فرأى جسد فائزة مُلقًى على الرمال الخشنة والحصى وقد ازداد ضآلة بانكماشه، وتحطمت جمجمتها، والتوت إحدى ساقيها تحت جسدها في وضعية معكوسة، وتناثرت حولها بقع من الدماء جففت الشمس بعضها فاستحال لونها إلى البني، بينما ظلت البقع الأكثر كثافة رطبة ومحتفظة بلونها الأحمر القاني.

نزل عاصم على ركبتيه وعاین الجثة بصبر، ثم زفر وهو يرفع ناظريه إلى أعلى، حيث استوت فوق رأسه حافة حادة. لاحظ عبدالكريم نظرتَه فعَلّق قائلاً:

- كما قلت لك، لقد زلت قدمها فوقعت.

أوما عاصم برأسه، ثم عقب قائلاً:

- أرجو أن يكون الأمر كذلك، انظر إلى أظافرها، لا توجد عليها آثار مقاومة أو تشبث بالحافة.. في الأغلب وقعت ليلاً.

ثم نظر في روزنامة هاتفه معقبًا:

- خاصة أننا بنهاية الشهر العربي ولا يوجد قمر، وهنا في حضن الجبل يكون الظلام دامسًا.

- ولكن ما الذي جاء بفايزة إلى هذا المكان ليلاً؟

- الأفضل أن ننتظر معاينة النيابة وفريق البحث الجنائي قبل التكهن بما حدث.

عمّ الصمت السيارة في طريق رجوع عاصم وعبدالكريم إلى القسم بعد ساعات انقضت تحت عين الشمس اللاهبة في الإجراءات الجنائية المعتادة. تفكّر عاصم في فايزة التي أمست جثة هامة بعد أن كانت حية تُرزق منذ سويقات تشكو له ألم مفاصلها وضروسها، والآن لن تنفعها الصلاحية الباقية في غضاريفها بشيء. سؤال عبدالكريم في محله، ما الذي جاء بفايزة إلى الجبل ليلاً؟ أمعقول أنها كانت تتمشى؟ وحدها؟! أم أتت لتقابل أحدهم؟ من يكون؟ ولماذا في ذلك المكان المتطرف؟ هل وقعت عن الحافة؟ أم إن شريكها

في اللقاء دفعها عمداً؟ حشّه الأمني يذهب به إلى الجريمة، وحشّه الإنسانى يتمنى أن تظل دهب مدينة السحر والجمال كما ألفها في الشهور المنصرمة.

دلف عاصم إلى غرفة مكتبه ورمى بجسده على كرسىه فارتطمت مؤخرته بقاعدة الكرسي المتهترئة فتأوه، ثم أدرك فجأة أن ندى ما زالت في انتظاره. زفر ووضع ما بيديه على سطح طاولة المكتب ونظر إليها بعينين متعبتين. لم تنظر إليه، إذ استرعى انتباهها ما وضعه لتوّه؛ كيس الأدلة البلاستيكي الشفاف. مدت يدها وأمسكت بالكيس، ثم قالت بصوتٍ مرتعش:

- هذه سلسلة إيما صديقتي. أين وجدتموها؟

نظر عاصم إلى الكيس الذي احتوى سلسلة ذهبية رقيقة تدلّى منها صليب صغير مرصّع بفصوص ملونة، ثم نظر إلى وجه ندى الشاحب، وقال بنبرة حاول أن يجعلها مقنعة:

- بالتأكيد توجد سلاسل أخرى شبيهة بسلسلة صديقتك.

- كلا.. انظر!

قالت في نفاذ صبر وهي تمد إليه الكيس مشيرة إلى قفل السلسلة الذي اشتبكت به بضع شعيرات حمراء نارية، شعيرات تشير بوضوح مزعج إلى هوية صاحبها.

دماء جافة

امتنع وجه عاصم وهو يفكر فيما دلَّ عليه كلام ندى، فعاجلته
بأسئلة زحف عليها الهلع:

- جثة من التي وجدتموها؟ وكيف ماتت؟ أخبرني.. ربما أعرف
ما حدث لصديقتي.

- اهدئي يا ندى، الجثة لسيدة خمسينية تُدعى فايضة، وهي سيدة
بسيطة تعمل في مطعم كاترينا زوجة أندريه. أغلب الظن أنها وقعت
من على حافة الجبل مساء أمس بسبب الظلام، وجدنا هذه السلسلة
في يدها وقد أحكمت عليها قبضتها.

- ما علاقة فايضة هذه بإيما؟ لماذا سلسلتها معها؟

- ربما وقعت السلسلة من صديقتك فوجدتها فايضة وهي
تتجول.

تفحصت ندى السلسلة من وراء الكيس فوجدت قفلها مغلق،
حدسها في محله، وجود هذه السلسلة في قبضة امرأة ميتة لا ينذر
بالخير، هناك مكروه أصاب صاحببتها. شعور حاد وممض ارتفع

في جوفها منذراً بأنها لن ترى صديقتها مرة أخرى، ولم تدرِ ماذا تفعل.

خرج عاصم من غرفة المكتب فطلب لندی كوباً من عصير الليمون لتهدئتها، ثم اتصل برئيس فريق الأدلة الجنائية يستعجله في أي معلومات تضيء له الطريق. كان يرجو أن تكون نتيجة تحليل مسرح الجريمة أن لا جريمة. وأن فائزة زلّت قدمها ولقيت مصرعها قضاءً وقدرًا بدون فعل فاعل. ولكن..

تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن!

المعلومات التي تضمنها التقرير الأولي جعلت المشهد واضحاً أمام عينيه. زاوية سقوط فائزة والمسافة التي يبعدها موضع سقوط الجثمان عن الحافة يشيان بأنه لم يكن انزلاقاً ظرفياً ولم يكن انتحاراً. هناك جريمة دفع، وهناك قاتل يجب البحث عنه والقبض عليه. لم يكن هذا فقط ما شغل عاصم، وإنما أيضاً سلسلة إيما، كيف وصلت إلى يد فائزة؟ هل وجدتها أم سرقتها؟ وأين هي صاحبته الآن؟

الشبهة الجنائية التي صارت تحيط بمقتل فائزة جعلت وجود السلسلة معها دليلاً على الأسوأ، لن يستطيع إقناع نفسه، فضلاً عن إقناع ندى، بأن فائزة وجدت السلسلة عرضاً..

اتخذ عاصم قراراً سريعاً باستصدار إذن من النيابة لتفتيش بيت فائزة لعله يجد فيه ما يميظ اللثام ولو قليلاً عمّا حدث. أخبر ندى بما

اعتزمه وطلب منها العودة إلى الفندق على أن يوافيها بالمستجدات. حاولت إقناعه بالذهاب معه ولكنه رفض. لم تسمح لها كرامتها باستجدائه فخرجت من غرفة مكتبه بوجه غاضب ورأس مرفوع سرعان ما نُكس بعد خروجها تفكر في صديقتها المختفية، وتتساءل إن كان عاصم يتصرف معها بجفاء بسبب ما حدث بينهما؟ ولكنه هو مَنْ أخطأ في حقها وتعامل معها بخسة، فلم يكن أمامها سوى أن تنفذ نصيحة شيرين وتنصاع لقرارها، والآن ليس من العدالة أن تدفع إيما ثمن ما حدث بينهما بأن يتجاهل قضية اختفائها! حاولت طمأنة نفسها بأن عاصم الذي تعرفه لن يتهاون في أداء مهام وظيفته حتى وإن وقع الشقاق بينهما، ثم تساءلت بقلب وجل إن كانت عرفته حقًا!

وصل عاصم وعبدالكريم إلى مكان إقامة فائزة في وقت قياسي. غرفة متواضعة في الدور الأخير لإحدى البنايات، لها باب خشبي مغلق بقفل خارجي بسيط. كسر عبدالكريم القفل بسهولة ووقف مع عاصم يتأملان الغرفة. سرير حديدي صغير استند على الحائط المقابل للباب، وعليه مرتبة رفيعة بلا ملاء امتلأت بالوسخ وبقع العرق، وبجواره قبع موقد غازي وبضعة أوانٍ قديمة وقلة كبيرة مكسوة بالتراب ولها فوهة مكسورة، وبجوار الباب تراصت عدة صناديق كرتونية تحتوي متعلقات المجني عليها. نظر إلى الجدار على اليمين فرأى صورته منعكسة في مرآة مشروخة مثبتة بوهن، تفكّر عاصم في صاحبة المرأة

وعدد المرات التي نظرت فيها قلقة من أن تتهشم فتؤذيها، بيد أن المرأة برغم شرخها كانت أطول عمراً من صاحبته..

استغرب عاصم أن تعيش فائزة هذه الحياة البسيطة في ضوء عملها مع كاترينا، خاصة مع أسعار المطعم العالية والبقيش الذي يتركه الزبائن لها وهو على رأسهم. أخرج من جيبه قفازات مطاطية من ذات الاستعمال الواحد، فألقى لعبدالكريم زوجاً وارتندي آخر وبدأ بتفتيش المكان معاً، وسرعان ما هتف عبدالكريم:

- سيادة المقدم، انظر!

نظر إليه عاصم فوجد في يده خاتماً مشغولاً من الذهب والفضة، وبه فص عقيق كبير مصقول. أمسك عاصم بالخاتم وتأمله، صناعة دقيقة ومختوم باسم عزة فهمي مصممة الحللي المصرية الأكثر شهرة.

خاتم ثمين ومميز، رآه عاصم من قبل، ولكن أين؟

وضع الخاتم في كيس أدلة بلاستيكي ودسّه في جيبه، بينما استمر عبدالكريم في تفتيش حاشية المرتبة التي وجد بها الخاتم، فلم يجد بها شيئاً آخر. استرعت القُلة المكسورة انتباه عاصم فاقترب منها ورفعها إليه، كانت مملوءة بالأرز لكن لها وزن أخف بكثير من أن يكون ذلك حقيقياً. قلب القلة رأساً على عقب على الفراش، تناثرت حبات الأرز وسقطت معها عشرات الأوراق المالية المتغضنة من مختلف الفئات النقدية.

أطلق عبدالكريم صافرة طويلة وهتف:

- فائزة كانت تكثر المال، إنها أغنى منّا.

جلس عاصم على الفراش ينظر للنقود، ثم أخذ يفرد الأوراق المالية ويرتبها في رُزم صغيرة حسب الفئة. علّق عبدالكريم ضاحكًا:

- ماذا تفعل؟ هل تريد حصر ثروتها؟

ابتسم عاصم ولم يُعقّب، فهو نفسه لم يعرف سبب ما يفعل، لقد شعر بدافع قهري جعله يمسك بالورقة تلو الأخرى ويفردها، جلب له ذلك الفعل الرتيب الراحة، مع ملمس الورق وصوت «خرفشته» بين أصابعه، ولكن تلك الراحة لم يُكتب لها أن تستمر!

وجدت أصابع عاصم وسط المال منديلًا ورقّيًا مثنيًا، فتحه فوجد بداخله دلالية ذهبية ميزها فور رؤيتها!

لاحظ عبدالكريم امتقاع وجه عاصم فسأله:

- ماذا حدث؟

رفع عاصم ما بكفه إلى زميله فرأى المنديل المهترئ والقطعة الذهبية الصغيرة بداخله قائلاً:

- هذه الدلالية تعود لروز.

- روز من؟

- ابنة كاترينا وأندريه، لقد هربت منذ فترة، قبل نقلك إلى هنا.

- هربت؟!!

- إنها حكاية طويلة.. والآن هذه الدلالية!

- ربما تكون لأخرى.

- ألا ترى أن هذا الاحتمال أصبح ممجوجًا، سلسلة إيما ثم الخاتم ثم دلالية روز، كل قطعة نتجاهل صاحبها ونقول إنها قد تعود لأخرى! من هي تلك الأخرى إذن؟

أطرق عبدالكريم، ثم قال متممًا:

- معك حق، الكثير من الصُّدف لا بد وأن يشكل نمطًا.

- وعلمنا أن نكشف هذا النمط.

- نمط مجهول وفايزة هي الرابط!

- تخيّل؟!

- بدأ الأمر من بلاغ دياب.

- بل من بلاغ ندى، فوجود سلسلة صديقتها في يد القتيلة لا يمكن أن يكون من قبيل الصدفة.

- إذا كان الأمر كذلك، فلتكن البداية الحقيقية من عند روز.

فتح عاصم كفه ونظر ثانية إلى الدلالية الرقيقة على شكل قوس وسهم كرمز لبرج القوس، يعرفها جيدًا إذ أهداها أندريه لروز في عيد ميلادها قبل عدة أشهر من هروبها وكانت تعز بها كثيرًا. لا يزال عاصم يتذكر الاحتفال الصغير الذي أقامه لها أندريه في النُّزل، والبالونات الملونة التي أحاطت بالمكان وتحركت مع الهواء مضافية البهجة على الأجواء. وفستان روز الأسود القصير الذي هففت ثيابه مع النسيم،

فأضاف لعمرها سنوات لتبدو كفتاة عشرينية متفجرة بالأنوثة، لا
مراقة في السابعة عشرة من عمرها. قرَّب عاصم الدلاية من عينيه
وتفحصها، رأى أثرًا ما وميزه، أثرًا إن فحصه الطب الشرعي سيفيد
التقرير بأنه.. دماء جافة!

- ما الأمر؟

- روز ذہبت.

- ذهبت إلى أين؟ لا أفهم.

رفعت كاترينا وجهها أحمر مغرقاً بالدموع وقالت في لوعة:

- ابنتي الوحيدة.. يقطيتني الصغيرة رحلت. تركتني ورحلت.

همَّ عاصم بأن يسألها عن السبب، ولكن نظرة أندريه له جعلته يكتفي بمواساتها والتربيت على كتفها متممًا بكلمات على غرار: «لا تقلقي - ستعود حتمًا - هكذا هم مرافقو هذه الأيام - روز لا تستغني عنك»، وقد عزم على الانفراد بأندريه في أقرب فرصة لفهم ما حدث. وبالفعل، لم يكد عاصم يستلقي على فراشه حتى سمع طرقات خفيفة يعرفها جيدًا، دخل أندريه الغرفة ولم يسع عاصم إلا أن يلاحظ الأعوام التي تكدست على كتفي الرجل وسكنت في تجاعيد وجهه.

انهار أندريه على أقرب مقعد في بكاء صامت احترمه عاصم، وقد أدرك أن تماسك أندريه أمام كاترينا كان مصطنعًا. أعد عاصم فنجانين من القهوة بواسطة الكنكة الكهربائية، وضع أحدهما بجوار أندريه فأمسكه بيد مرتعشة قائلاً:

- لم أتوقع أن تفعلها روز.. ظننتها أحلام مراهقة.

صمت عاصم، فعمله كمحقق علّمه أن الصمت هو أبلغ وسيلة لاستدرار الكلمات، وبالفعل أكمل أندريه قائلاً:

- لن أنسى اليوم الذي أتنى فيه متقافرة تتباهى بتواصلها أخيراً مع خالتها في إيطاليا بعد بحث مُضنٍ على الإنترنت.

- ألم تكن تعرفها؟

- كاترينا قطعت كل صلة بأمها وأختها مع قدومها لمصر منذ ما يقرب من عشر سنوات. أخبرتني أنهما كانتا تعاملانها معاملة قاسية، خاصة بعد أن تخلى عنها والدروز وهي بعد نطفة في رحمها، وأصررت أمها وأختها على بيع منزلهما بالبلدة الصغيرة والانتقال إلى العاصمة في رسالة مبطنة لكاترينا ألا مكان لها بينهما، ولم تغفر لهما هي ذلك. أتت مع روز إلى دهب وأحبت الحياة فيها فافتتحت المطعم الصغير، ولم تتواصل مع أسرتها قط منذ حينها.

- ولكن روز لم يعجبها الأمر.

- كانت تواقعة لمعرفة المزيد عن أسرتها التي عاشت في كنفها سنواتها الأولى، وكانت تريد أيضًا البحث عن أبيها. يوم تواصلت مع ماريّا خالتها أتنى والفرحة لا تسعها، وهي تريني صورتها، تفاجأت للتشابه الواضح بينهما، لقد ورثت روز جمالها عن خالتها وجدتها لأمها، واللتين لم تشبههما كاترينا.

- وخالتها؟ هل سعدت بالتواصل؟

- أيّما سعادة، ووعدت روز بأن تساعدنا في مصاريف سفرها إن أرادت زيارتها، كما وعدتها بمساعدتها للوصول إلى أبيها.

- وماذا كان رد فعل كاترينا؟

- روز لم تخبر كاترينا، خشيت على أحلامها وأخذت تدخر المال للرحلة المرتقبة. ولكنني لم أتوقع أن تقدم عليها سريعًا هكذا، وأن تذهب دون أن تودعني.

تأمل عاصم كتفي أندريه المحنيتين وقال محاولاً التهوين عليه:

- هوّن على نفسك يا صديقي، ستعود روز وترتمي في حضنك كما اعتدتما.

- كاترينا السبب، لو لم تتشاجر مع الفتاة أمس لم تكن لترحل بهذه السرعة، ودون وداعي.

- ألم تكن موجودًا؟

- لا، سهرتُ مع أصدقائي في الحانة كعادتي كل أحد وعدت ثملاً قرب الفجر، فارتيمت على فراشي حتى الصباح، لاكتشف هروبها حينما وجدت كاترينا تبكي. أخبرتني كيف تشاجرتا في المطعم، شجاراً عادياً، ولكنها فوجئت بروز تهدهدها بالرحيل. لم تصدقها كاترينا إلا أنها حينما عادت ووجدت باب غرفة روز مفتوحاً وأغراضها غير موجودة، أدركت أن الفتاة نفذت تهديدها ورحلت.

- ربما ذهبت لتقضي الليلة عند صديقة.

- هاتفها مغلق، وجواز سفرها وملابسها وحاسوبها المحمول ليسوا في الغرفة. قلبي يحدثني بأنها ذهبت.. ذهبت إلى الأبد.

- ولم تظهر الفتاة منذ حينها؟

سأل عبدالكريم، فأجابه عاصم:

- لا.. توقع أندريه أن تتصل بهما لتطمئنهما في خلال أيام ولكنها لم تفعل وظل هاتفها مغلقاً، فتواصل أندريه مع خالتها في إيطاليا دون علم كاترينا فأخبرته بأن الفتاة لم تتصل بها منذ عدة أيام. مرّت كاترينا في هذه الأثناء بانhiار عصبي، كانت تحاول الاتصال بـروز يومياً حتى خفت محاولاتها وبدأت وكأنها استسلمت لهروب ابنتها. بعد عشرة أيام من الاختفاء زارني في القسم دون أندريه، وطلبت منّي أن أتحقق من قوائم المسافرين إن كانت روز قد غادرت البلاد أم لا، يبدو أن قلبها أخبرها بالأحلام التي أخفتها عنها ابنتها.

- وماذا فعلت؟

- راجعت قوائم المغادرة من المطارات والموانئ ولكنني لم أجد اسمها. الفتاة لم تغادر مصر.

- وما كان تفسيرك لاختفائها حينئذ؟

- أخبرني أندريه عن علاقة عاطفية ربطت روز بشاب أمريكي عن طريق الإنترنت، وأنه خطط لزيارة شرم الشيخ في نفس الفترة، رجّح أن تكون هربت برفقته، ووقف حينها ضد رغبة كاترينا في الإبلاغ عن اختفاء الفتاة بشكل رسمي، أسكت مخاوفها بكلامه عن طيش المراهقة الذي جعل روز ولا ريب ترافق الشاب لفترة قبل أن تعود إلى رشدّها.

- وهل عادت؟

- ها قد مر شهران ولم تعد.. بل ولم تتواصل معهما قط.

- حتى ظهرت دلائلها اليوم!

أطرق عاصم يقاوم الشعور السيئ الذي انتابه حالما رأى الدلائل، حاول البحث عن تبريرات إيجابية يبدد بها فكرة اللامحالة التي استبدت بعقله، والتي لا ريب استبدت بعقل ندى بخصوص صديقتها إيما.

خاتم عزة فهمي

طلب عاصم من عبدالكريم مراجعة الكمائن على مداخل دهب ومخارجها، ومراجعة قوائم المسافرين، للتأكد من أن إيما لم تغادر دهب، قائلاً:

- إن صدق حدس صديقتها وكان اختفاؤها جنائياً فالوقت ليس في صالحنا، شوهدت الفتاة للمرة الأخيرة مساء الأحد، وها نحن عصر الثلاثاء، والإحصائيات تخبرنا بأن فرصة العثور على المخطوفين أحياء تتضاءل كثيراً بعد مرور ست وثلاثين ساعة على اختطافهم.

- هل تظن أنها مخطوفة؟

- لا أستطيع الجزم، كل ما أعلمه أننا تأخرنا، تأخرنا كثيراً ويجب أن نتحرك على الفور.

أوماً عبدالكريم برأسه وانطلق ينفذ تعليمات رئيسه وقد انتقل إليه توتره، أما عاصم فجعل أولويته اكتشاف الرابط بين فايزة والحلي التي وجدها معها.. سلسلة إيما، ودلاية روز، وخاتم عزة فهمي. قرر استدعاء أندريه أولاً إذ فضّل إخباره هو بأمر الدلاية قبل كاترينا. انتظر

حتى جلس الرجل أمامه في غرفة المكتب، ثم أخبره في البداية بما حدث لفائزة، وكما توقع عاصم لم يبدُ عليه التأثر، فمنذ أن ذهبت ربيبته لم يعد يبالي كثيرًا بما يحدث من حوله وقد لَفَّ هُدوء عجيب. سأله عاصم إن كان قد تلقَّى أي أخبار من روز، فتغير وجهه وظهر عليه الألم وهو ينفي ذلك. أخرج عاصم كيس الأدلة من درج طاولة المكتب وأعطاه لأندريه، وهو يسأله:

- هل تُميِّز هذه الدلاية؟

قفز الرجل من مكانه هاتفاً:

- إنها لروز، هديتي لها، أين وجدتها؟

- اجلس يا أندريه واهدأ.

انصاع له أندريه في قلة حيلة فأخبره عاصم بأنه وجد الدلاية مخبأة في غرفة فائزة، ليظهر القلق جلياً في عينيه وهو يسأل بنبرة مرتعشة:

- هل يعني ذلك أن مكروهاً أصاب روز؟

- ولماذا يكون هذا أول احتمال يخطر على بالك؟ لماذا لا تقول

إن روز فقدتها فوجدتها فائزة.. أو أن فائزة سرقتها مثلاً؟

- ربما لأنني لم أسمع من روز منذ رحلت، يبدو أن كاترينا كانت

على حق في مخاوفها، وتفاؤلي الغبي حال دون إدراك الحقيقة كالعادة.

- دعنا لا نسبق الأحداث.. أخبرني بما تعرف عن فائزة.

- فائزة امرأة غلبانة، كثيرة الكلام والشكوى، قليلة العمل، ولكنها تافهة لا تقوى على إيذاء بعوضة.

- هل أحببتها؟ هل أحببتها كاترينا؟

- لا بأس بها بالنسبة لي، أما كاترينا فكانت متعاطفة معها وتجزل لها العطاء برغم مستواها المتواضع في العمل. أنت تعرف كيف هي كاترينا مع مَنْ يحكون حكايات مؤثرة عن حياتهم وخذلان المقربين.. وفائزة كانت محترفة.

- هل كانت أمينة؟

- أعتقد ذلك، لم تشك كاترينا منها من قبل.

أخرج عاصم كيسًا بلاستيكيًا آخر ووضعهُ أمام أندريه:

- هل تميز هذا الخاتم؟

نظر أندريه في الكيس، ثم قال:

- هذا خاتم دكتورة دلال، أين وجدته؟

قفزت إلى مخيلة عاصم صورة سيدة أربعينية ذات ابتسامة لطيفة، وقامة متوسطة ممتلئة، وشعر كستنائي مموج يصل إلى كتفيها، ونظارة طبية لا تفارق وجهها ترفعها باستمرار بحركة متكررة من إصبعها، كانت نزيلة إحدى غرف نُزل أندريه منذ عدة أسابيع.

- أتذكر دكتورة دلال، وأتذكر رؤيتي للخاتم في إصبعها.

- إنه خاتم قيّم تم تعديله خصيصًا لها، أخبرني بأنها من اختارت له فص العقيق القاني بدلًا من فص الزمرد الذي كان يزينه في التصميم الأصلي. أين وجدته؟ هل سرقة فائزة أيضًا؟

تجاهل عاصم سؤال أندريه مجددًا وسأله بدوره:

- هل تعرف أين هي دكتورة دلال الآن؟

رد أندريه بحزن:

- لا.

- ألم تكونا مقربين؟ رأيكما تتحدثان الفرنسية بأريحية معًا عدة مرات.

- هذا صحيح، كانت سعيدة بممارسة لغتها الفرنسية معي، وأنا أيضًا، فقلة هم السياح الفرنسيون الذين يأتون إلى دهب ودكتورة دلال كاتبة ومترجمة معروفة، حازت على الماجستير من جامعة السوربون، ثم عادت إلى مصر وكانت تواقفة لتكلم الفرنسية مع أحد؛ لذلك انسجمنا معًا.. ثم رحلت فجأة!

- كيف؟

- اتفقت معي على إيجار الغرفة بالشهر لا باليوم، فقد خططت للإقامة في دهب ثلاثة أشهر على الأقل حسب قولها، وطبعًا كما تعلم فالإقامة بالشهر لفترات طويلة أرخص بكثير من الإقامة باليوم.

- أعرف ذلك يا أندريه، أكمل..

- بعد عدة أسابيع من إقامتها، وبدون سابق إنذار، وصلتني منها رسالة مقتضبة على هاتفي المحمول تعتذر فيها عن الرحيل فجأة لظروف شخصية، وحينما صعدت إلى غرفتها وجدتها قد فارقتها بالفعل وتركت لي بقية الحساب على الطاولة..

- وما كان تفسيرك وقتها لرحيلها المفاجئ؟

- كان هناك رجل يلاحقها، ظننته السبب.

- أخبرني عنه.

- أتت دكتورة دلال إلى مدينة ذهب كمعتكف كتابي لها كي تترجم كتابًا إفريقيًا مهمًا من الفرنسية إلى العربية. عملت على كتابها بانتظام حتى ظهر الأستاذ عادل الذي عرّف نفسه كمدير النشر بالدار التي تُترجم دلال الكتاب لحسابها. قال إنه أتى للاطمئنان عليها وعلى سير عملية الترجمة بحجة استعجاله على نشر الكتاب. صارحتني هي بأن كل ما قاله هو محض اختلاق، فالكتاب لن يصدر قبل أشهر وهو يلاحقها بسماجة ظنًا منه أن كل امرأة مطلقة هي لقمة سائغة للتعارف والمرافقة حسب قولها. حينما ظهر، أصبحت تطيل المكوث في غرفتها ولم تعد تظهر إلا لِمَامًا، متحاشية لقاءه بعد أن ربض في ساحة التُّرُل طيلة النهار وقسمًا كبيرًا من الليل؛ لذلك حينما رحلت فجأة ظننتها فعلت ذلك هربًا منه.

- أندريه.. هل تتذكر اليوم الذي رحلت فيه دكتورة دلال؟

تنهد أندريه وعاد بذاكرته إلى الوراء..

نظرت د. دلال لنفسها في المرأة وتفقدت بأصابعها شعيرات
البيضاء الوليدة وأدركت أن موعد صبغتها قد حان. كم تمنى لو
ترك شعرها كما هو، ولا تتكبد عناء معاندة الطبيعة ومحاولة الظهور
بمظهر أكثر شبابًا عبر صبغ الشيب، والالتزام بروتين الصباح والمساء
من المراهم والدهانات لتأجيل ظهور التجاعيد، وتمارين يوجا الوجه
لتأجيل الترهلات، وغيرها من التفاصيل المزعجة. تريد أن تشعر بأنها
حرة في الظهور بالمظهر الذي يريدها.. تتذكر صديقتها التي طالما
تندرت عليها قائلة:

- تبحثين عن الراحة قبل المظهر؟ لقد صرت عجوزًا إذن.

عجوزًا؟! لا.. قلبها لا يزال يتفجر بأحلام الشباب وآماله، ولكن
جسدها لم يعد قادرًا على مجاراته، خاصة بعد عشرة كيلو جرامات
اكتسبتهم تدريجيًا عبر الأعوام الخمسة الفائتة. ومئات المرات التي
عاهدت نفسها فيها على بدء نظام غذائي صارم، سرعان ما ينهار تحت
إغراء الحلوى الفرنسية التي تعشقها.. وهنا.. الآن.. في مدينة ذهب
وفي نُزل أندريه.. لم تبقَ لديها أي مقاومة تذكر!

ولماذا تقاوم الأشياء التي تسعدها؟ إنها حقًا لا تعرف ما الذي
يجعلها متشبثة بقطار العمر.. ولكن قلبها يعرف.. إنه الحب.. إنها
تنتظر الحب، تريد أن تتذوقه ثانية، لا أن تتذوق فقط بل أن تملأ جوفها
به. ألا تستحق؟ فمع طاهر تذوقته فقط على طرف لسانها، ثم لفظها
هو بعد أقل من سنة من زواجهما وتزوج بأخرى وأخلص لها وأسس
معها أسرة، وبقيت هي وحيدة.. هوسها بالحب جعلها تلتقي بمئات

الرجال، وتخوض العشرات من تجارب الحب الفاشلة، وما زالت تبحث بقلب جسور. لعلها لو التقت بمن ترى نفسها جميلة في عينيه لتركت لشعيراتها البيضاء العنان ولم تكن لتأبه بوزنها الزائد.. لكنت سترتاح.

ليست عمياء كي لا تلاحظ نظرات أندريه لها ولطفه معها والأريحية الواضحة في حديثهما.. من كثرة تجاربها احترفت قراءة الرجال من أول مقابلة، تمامًا كما قرأت د. سعيد وأدركت عدم اهتمامه بالنساء، وكأن هناك سرًا غامضًا في حياته يستنفد انتباهه بأكمله، وكما قرأت الأستاذ حمادة المتزلف الذي يحوي بداخله قدرًا كبيرًا من الغضب والكراهية والاحتقار للنساء، رغم الابتسامات والعبارات المعسولة، وعروض الزواج التي يوزعها عليهن يمينًا ويسارًا، وغيرهما من الرجال الذين تلتقي بهم وتقرأ صفحتهم من أول نظرة. إلا أندريه.. استغلقت عليها قراءته، هل لاختلاف الثقافة بينهما؟ تعلم أنها رغم تقاربهما لا يمكن أن تحبه، ليس فقط لأنه رجل متزوج، ولا لأنه مسيحي وهي مسلمة، ولكن لأنه.. لأنه لا يشبه طاهر في شيء، آه من طاهر! ذلك الحاجز العتيد الذي وقف بينها وبين كل رجل التقت به بعده. تعرف أن علاقتهما الزوجية لو كانت طالت لتشاجرا كثيرًا، ولربما اعتراها الفتور مثل أغلب الأزواج من حولها، ولربما زهدته أو حتى كرهته.. ولكنه بقي كالتفاحة المحرّمة التي أخذت منها قضمة واحدة أغرتها بأكلها، ثم ابتعدت عن تناول يدها وظلّت معلقة أمامها دون أن تطالها ودون أن تتمكن من نسيانها، وذلك اللعين طاهر يزداد أناقة ووسامة، وقد

أضفت عليه شعيرات فوديه الفضية جاذبية مستفزة، ثم هناك زوجته التي لا تصغرها سوى بعامين فقط، لكنها تبدو شابة في الثلاثينيات بقدها الممشوق، وبواريكها الباهظة الثمن.

بعد الطلاق حاولت شغل نفسها بالدراسة والعمل لعلها تنسى، ترجمت عشرات الكتب وحازت على عدة جوائز تقديرية، ولكن كل ذلك لم يطفى جوعها، ثم جاء عادل مدير النشر بالدار ليفسد عليها سلامها النفسي الهش. ألم يكفه أنها اضطرت لترك شقة مدينة الرحاب التي استأجرتها بعد أن استأجر شقة في نفس البناية. وإتيانها لذهب كي تهرب منه وتتخلص من ملاحقته. لقد دفعت ثمن لقب المطلقة مرارًا وتكرارًا مع كل رجل قابلها وظن أنها يائسة أو سهلة المنال. مَنْ يظنون أنفسهم؟ ومن أين أتوا بكل هذه الاستحقاقية؟

تعالى رنين هاتفها، وجدت اسم جاسر مدرب الغطس على الشاشة، ذلك الشاب اللحوح، كم مرة أخبرته بأنها لا تجيد السباحة ولا ترغب في تعلم الغطس، ولكن منذ متى يفهم الرجال كلمة «لا»؟! وزيكاس هو الآخر، أخطأت حينما ذكرت أمامه أن زوج أختها يبيع المنتجات اليدوية في إحدى دول الخليج، منذ تلك اللحظة وهو يزن عليها كي تكون جسرًا لمنتجات البازار الذي يديره، تتفهم أنه شاب مكافح يعمل لكي يصرف على تعليمه، ولكن ما ذنبها هي؟! ثم رفعت زاوية فمها وهي تذكر نفسها بأن الرجال ليسوا وحدهم مَنْ لا يفهمون كلمة لا، فهناك سفيتلانا الروسية، غريبة الأطوار، ذات الجسد الضخم، والتي تصر عليها كلما رأتها أن تقضي ليلة مجانية

لديها في الفندق الذي تعمل به. ما سر تلك الليلة المجانية التي تروّج لها سفيتلانا وتشجعها عليها روز؟!

قطعت حبل أفكارها رنة جديدة من هاتفها، رسالة هذه المرة، فتحتها ثم ابتسمت.. بعد آلاف السنين وعشرات الحضارات المتعاقبة لا يزال البشر لا يستطيعون تحمل الرفض. تذكّرت المحادثة التي جرت أمس ورأيها الذي قالته صراحة.. لم تتوقع أن يثير حنقًا أو ضغينة خاصة بعد أن مر الموقف بسلام، إلا أن هذه الرسالة أثبتت العكس، على الرغم من صيغتها الودودة، والدعوة اللطيفة التي تضمنتها. ستقبل الدعوة وستذهب في الموعد لعل ذلك يعني عدة ساعات دون أن تجد نفسها وجهًا لوجه مع عادل أينما ولت..

ثم ما الذي يمكن أن يحدث؟

ريا وسكينة

احترم عاصم صمت أندريه الذي أغمض عينيه وتغضن وجهه وغاب في ذكرياته.. استنتج عاصم أن ذكرى رحيل د. دلال تؤلمه أكثر ممّا يبديه، وتساءل إن كانت قد نمت بينهما علاقة عاطفية من نوع ما، ثم نحى هذا الظن سريعاً، أندريه رجل مخلص ويحب زوجته ولم يبدُ منه أي تجاوز مع الجنس الآخر برغم كثرة النساء المترددات على التزل. نبهه عاصم بعد قليل قائلاً:

- أندريه.. كنت أسألك عن رحيل دكتورة دلال، هل لفت شيء نظرك؟

- ربما أمر واحد.. لا بل أمران.. الرسالة التي أرسلتها لي، كانت بالفرنسية كما اعتدنا، وإنما بأسلوب مختلف.

- فسّر ما تقصد.

- لا أدري.. وكأنها رسالة آلية، ها هي..

أخرج أندريه هاتفه وأظهر الرسالة لعاصم الذي، وبرغم فرنسيته الضعيفة التي لم تتعدّ ثلاث سنوات دراسة بالمرحلة الثانوية، إلا

أنه نجح في كتابتها على هاتفه في نافذة الترجمة الفورية لمتصفح الإنترنت الشهير.

نص الرسالة كان بسيطاً، قرأ عاصم ترجمته إلى العربية: «عزيزي أندريه يجب أن أرحل تركت لك الإيجار إلى اللقاء قريباً بعد أن تنتهي مشكلاتي».

عَقَّب أندريه قائلاً:

- لم يكن هذا أسلوب دلال، فالرسالة مختصرة ومقتضبة عمّا اعتدته منها، كما أنها خالية من علامات التنقيط، وهي كانت مولعة باستخدامها، ولكنني أرجعت ذلك لاستعجالها.

- ما هي المشكلات التي قصدتها في رسالتها؟

- أعتقد ملاحقة الأستاذ عادل لها، أو هذا ما فكرت فيه حينها.

- وما الأمر الآخر الذي استغربته؟

- شاحن حاسوبها المحمول. تركته في الغرفة، في القابس خلف السرير. لم تكن بالطبع أول نزيلة تنسى غرضاً لها، ولكن بطارية حاسوبها المحمول كانت معطوبة، لا يمكن شحنها؛ لذلك لم تستطع الكتابة عليه دون أن يكون موصولاً بالكهرباء، وهكذا فلم تكن تتحرك بدون الشاحن، وكانت تحرص دومًا على الجلوس بجوار القابس.

- امم. ولكنك عزوت ذلك أيضًا لاستعجالها في الرحيل، أليس

كذلك؟

- بلى.. توقعت أن ترسل لي رسالة لاسترداده، كأن أعطيه لأحد السائقين الذين يعملون بين دهب والقاهرة كما يفعل الكثير من النزلاء حينما ينسون أغراضاً.. ولكنها لم تتصل بي.

- وهل تركت لك الإيجار كما ذكرت في الرسالة؟

- بل تركت قيمة أكبر بكثير ممّا كانت تدين به.

- ألم يثر ذلك ريبتك يا أندريه؟ لم تخبرني بشيءٍ في حينها.

توتر أندريه وهو يجيب:

- ظننت أنني أصبحت شديد الارتياح بعد هروب روز وذكّرت نفسي بأن دهب بلدة هادئة لا يحدث فيها شيء.

- أرسل لي صورة بطاقة تحقيق الشخصية الخاصة بها من سجلات النّزّل، واكتب لي أرقام هواتفها التي بحوزتك.

- ولكنها لا ترد على أيّ منها، لقد حاولت.

رمقه عاصم بنظرة متفحصة، ثم أعطاه ورقة وقلمًا كي يكتب المطلوب، فتح أندريه هاتفه ونقل منه بضعة أسطر، ثم مدّ يده بالورقة لعاصم الذي قال:

- اكتب لي أيضًا أي معلومات تعرفها عن ذلك الشاب الأمريكي.

بدا الاستغراب على أندريه:

- أي شاب؟

أمعن عاصم النظر في وجه أندريه قبل أن يجيبه:

- ألم تخبرني بأن روز كانت على علاقة بشاب أمريكي في الوقت الذي اختفت فيه؟ اكتب لي اسمه، والفترة التي كان يفترض به التواجد في شرم الشيخ، وأي معلومات أخرى.

كتب أندرية بضع كلمات إضافية في الورقة، ثم مدها لعاصم، وسأله في تردد:

- ماذا أقول لكاترينا عن روز ودلايتها؟

- لا تخبر كاترينا بأي شيء حتى أخبرك.

عاد عبدالكريم من مهمته مع انصراف أندرية، لخص له عاصم ما دار بينهما فسأله:

- هل تشك فيه؟

- لا أحد فوق الشبهات، ولكنني محاط بالظلام من كل اتجاه، الوضع غامض ولا أجد بصيص ضوءٍ يرشدني للخطوة التالية. هل من جديد بخصوص إيما؟

- لم يشاهدها أحد منذ مساء الأحد، ولم تمر بأي من مداخل البلدة أو مخارجها بحسب التحريات حتى الآن.

قام عاصم من على كرسيه وأخذ يذرع المكتب قائلاً:

- نحتاج لطرف خيط نتحرك منه، لم أصل لشيء مع أندرية سوى مزيد من الغموض، الحللي التي وجدناها لدى فائزة صاحباتها الثلاثة قد اختفين في ظروف غامضة، روز لم تعد هاربة بالنسبة لي، بل هي

الآن مختفية مثل إيما، وكذلك دكتورة دلال. ستتحرك وفق هذه الافتراضية إلى أن يثبت العكس وتظهر إحداهن.

- مقتل فائزة هو المفتاح في رأيي.

تبادل ضابطا المباحث الأفكار والنظريات حول فائزة التي كان مقدراً لوفاتها أن تُقَيَّد كحالة قضاء وقدر بسقوطها في الظلام أو حتى كانتحار، لولا تقرير البحث الجنائي. اختتم عاصم النقاش بأن أخرج الورقة التي كتبها أندريه وناولها لمرؤوسه قائلاً:

- معك وسائل التواصل الخاصة بدكتورة دلال، حاول الوصول إليها أو إلى أيٍّ من ذويها على وجه السرعة، وكذلك الشاب الأمريكي جوناثان، ابحث عن اسمه في قوائم الوصول والمغادرة تزامناً مع الفترة التي اختفت فيها روز، وافحص صفحات وسائل التواصل الاجتماعي الخاصة به في تلك الفترة بحثاً عن صور لروز معه أو إيما، فكونه أمريكي الجنسية مثلها قد يحمل دلالة ما، لا نريد إهمال أي خيط.

- أقترح أيضاً أن نستصدر إذنًا من النيابة بالاطلاع على سجل المكالمات والرسائل الخاصة بهواتف السيدات الثلاث في وقت اختفائهن.

- ممتاز.. افعل ذلك على الفور، وأنا سأتواصل مع ندى من أجل معلومات أكثر عن إيما.

أراد عبدالكريم أن يسأله عن ندى وعن سر التوتر القائم بينهما، إلا أن صوت طرق خفيف على باب الغرفة أوقفه. ظهرت ندى على

عتبه وقد أطلَّ من عينيها عتاب حاد، ثم ظهر من ورائها شاب عرفه عاصم على الفور.. جاسر، مدرب الغطس خفيف الدم المتباهي بعضلاته. وقفت ندى أمام عاصم ورفعت ذقنها لتعوض فرق الطول قائلة:

- لقد وعدتني بإخباري بالمستجدات، ثم لا ترد على هاتفك.
اختلس عاصم نظرة إلى هاتفه فتذكر أنه مضبوط على وضع الصامت، فأجابها قائلاً:

- ما زلنا في مرحلة التحقيقات ولا جديد بخصوص صديقتك.
- لقد مر على اختفائها أكثر من 36 ساعة، فرص العثور عليها تتضاءل وأنتم لا تفعلون شيئاً.

قالتها ندى بنبرة حملت الكثير من اليأس وقلّة الحيلة دغدغت عواطف عاصم واستفزت طاقة الحماية بداخله، ولكن قبل أن يرد عليها تقدم جاسر نحوه قائلاً:

- كيف يمكنني المساعدة؟ أنا رهن إشارة الأنسة ندى وإشارتكم.

رهن إشارة ندى؟! حقاً؟! أنت من سيجد صديقتها بينما أنا وكل إمكانات الشرطة بين يدي لا أستطيع؟ يا لك من متبجح! هكذا رد عليه عاصم في رأسه، ولكنه كبّح جماحه قائلاً في هدوء:

- نحن نفعل ما بوسعنا.

انتبهت ندى لأكياس الأدلة الموزعة على سطح طاولة المكتب
فسألت:

- هل وجدتم هذه المصوغات أيضًا لدى فائزة؟ أهي ريا وسكينة
الجديدة؟ تختطف النساء من أجل سرقة مصوغاتهن؟

تبادل عاصم وعبدالكريم النظرات، ثم قال عاصم:

- الأمر لا يزال قيد التحقيق كما أخبرتك. لن نغمض لنا عين قبل
العثور على صديقتك. هذا وعد.

- لا تقطع على نفسك وعدًا لا تستطيع الوفاء به.

قالتها ندى في جفاء قبل أن تستدير على عقبيها وتتجه نحو الباب،
ووراءها جاسر بابتسامة هادئة على شفثيه. انفتح الباب فجأة ودخل
منه أندريه صارخًا:

- لم تهرب.. روز لم تهرب.

كرر عبارته في هلع وهو يضع أمام عاصم ظرفًا متنفخًا، رفع عاصم
رأسه إلى أندريه:

- ما هذا؟

- إنه المال.. المال الذي ادّخرته روز من أجل السفر.

قلَّب عاصم الظرف بين يديه.. ظرف عادي مزين برسوم يدوية ما
بين قلوب ووجوه مبتسمة، وطائرة ركاب كبيرة، وبرج بيزا المائل،

ومكتوب في المتنصف بخط زخرفي: «رحلة إيطاليا»، وبه ورقات نقدية متنوعة بين العملة المصرية والعملات الأجنبية.

- أين وجدته؟

كانت أنفاس أندريه ما زالت متلاحقة، فأجلسه عبدالكريم وفتح له زجاجة مياه، أخذ الرجل منها عدة رشقات قبل أن يهدأ وتنظم أنفاسه ويتمكن من الإجابة:

- بعد كلامنا معًا عدت إلى التُّزل وشعور بالقلق يخيم عليّ، روز لم تكن لتُضَيِّع الدلاية التي أهديتها إياها أبدًا، خاصة أنني أذكر رؤيتها بها ليلة الجمعة حينما اجتمعنا في المساء. كنت أعرف أنها تخبيء المال بداخل إحدى المجلدات الضخمة في مكتبتها. وجدته في مكانه.. لم تكن روز لتسافر أبدًا دون المال الذي أدّخرته.

- مَنْ هي روز؟

شق السؤال سماء الغرفة بصوت أنثوي رقيق جعل الأنظار كلها تتجه نحوه ندى. زفر عاصم مستشعرًا وجع الدماغ المرتقب، بينما حملق بها أندريه وكأنه لم يلحظ وجودها إلا حينما تكلمت، أما جاسر فتنحنح كي يذكرهم بوجوده. رفع عاصم عينيه إلى السماء وأخذ نفسًا عميقًا.

- آسف لم أدرك وجود آخرين بالغرفة.

قالها أندريه فرمقه عاصم بنظرة يائسة قبل أن يعلن:

- هذه معلومات خاصة بالتحقيق، أرجو منكما الخروج الآن.

توجّه جاسر نحو الباب منصاعًا، بينما جلست ندى على أحد المقاعد قائلة:

- لن أخرج إلا بصحبة إيما.

- إيما؟! ألم تظهر بعد؟

سأل أندريه فلم يُجبه أحد. أشار جاسر إلى ندى قائلاً:

- هيّا يا ندى. سأصحبكِ إلى الفندق.

- ندى ستبقى، لديّ بعض الأسئلة لها. أما أنت..

قالها عاصم ثم أشار نحو الباب قبل أن يكمل:

- يمكنك أن ترحل.

رفع جاسر كتفيه وخفضهما في لا مبالاة، وتوجّه نحو الباب قبل أن يتوقف ويستدير لهم قائلاً:

- هل سألتكم زيكاس؟ إنه خازن أسرارها.. فضلًا عن أسرارهِ هو الآخر.

- مَنْ؟ نسأل مَنْ عن مَنْ؟

هتفت ندى، ولكن جاسر كان قد خرج وترك الباب ينغلق من خلفه في هدوء.

كان ياما كان

كررت ندى سؤالها لعاصم:

- مَنْ هو زيكاس؟ ونسأله عن مَنْ؟ إيمان؟

أجابها أندريه قائلاً:

- ربما يقصد روز، زيكاس صديق مقرب لها، يجب أن تستجوبه
يا عاصم ربما يعرف شيئاً. لقد تأخرنا في فعل ذلك، ليتني استمعت
لكاترينا.

- سنفعل، ولكن يجب أن نتحدث مع كاترينا أولاً..

- إن عرفت بأمر الدلاية والمال ستتهار يا عاصم.

- ما باليد حيلة.

قالها عاصم متنهّداً، فترجّاه أندريه:

- لا تخبرها بأنني كنت على علم بتواصل روز مع أسرتها وخطط
سفرها. لن تسامحني إذا عرفت أنني أخفيت عنها ذلك.

أوماً عاصم برأسه، ثم طلب من عبدالكريم إحضار كاترينا. نظر أندريه في ساعته فوجدها قد تعدت الثالثة، فقال:

- كاترينا في المطعم الآن، ولقد بدأ استقبال الزبائن منذ دقائق وبدون فايضة لن تترك المطعم إلا جثة هامدة. انتظر حتى المساء فاستقبال الزبائن ينتهي في التاسعة مساءً كما تعلم، وبعدها تظل كاترينا حتى الحادية عشرة للتنظيف وإعداد طعام الغد. يمكنك استدعاءها حينها، أو ربما الأفضل الانتظار للصباح، فهي تستيقظ في العاشرة صباحاً ولا تبدأ العمل بالمطعم إلا في الواحدة ظهرًا.

- لا نستطيع الانتظار للصباح. إيما في خطر.

قالت لها ندى وقد اغرورقت عيناها بالدموع. توتر أندريه وحاول تهدئتها بالتربيت على كتفها فأجفلت وابتعدت عنه بجذعها، وقف الرجل محتارًا فقال له عاصم:

- أندريه، يمكنك الرحيل الآن، واترك أي معلومات لديك عن عائلة روز في إيطاليا مع الرائد عبدالكريم.

ثم قال موجهاً كلامه لمرؤوسه:

- تعلم ما يجب عليك فعله.. أريد معلومات قاطعة بحلول الصباح.

أوماً عبدالكريم برأسه وخرج هو وأندريه، فخلت الغرفة إلا من عاصم وندى تحت مظلة غير مرئية مشحونة بالتوتر. قام عاصم من على كرسيه ولف حول طاولة المكتب وجلس في مواجهة ندى التي

عقدت ذراعيها في حركة تلقائية. لقد شهد هو الآخر في الأشهر الفائتة بفترة شديدة لمشاعره، تارة يشاق إليها ويرغب في الاتصال بها، ثم يذكر نفسه بما فعلت فينتابه الغضب مجدداً، وتارة يقنع نفسه أنه قد تخطى صفحتها وأنها لم تعن له الكثير، وأنه مستعد لخوض غمار علاقة جديدة. ولكن الآن.. بعد أن رآها.. تجددت مشاعره تجاهها، وأدرك أنه واهم، لا تزال تسكن قلبه وجوارحه، بل وتغلغت فيهما أكثر من ذي قبل. ماذا يفعل الآن؟ وكيف يتعامل معها؟ كرامته تأبى أن يكون هو المبتدئ بالوصل، ودقة الموقف تجعله مجبراً على تخطي الموقف برمته والتعامل بمهنية. قطعت هي حبل أفكاره تسأله بنبرة رسمية:

- لماذا استبقيتني؟

نظر في عينيها باحثاً فيهما عما يشجعه على الكلام أو يناقض نبرتها الجافة فلم يرَ فيهما سوى الصرامة والإعتماد. أدرك أن لانية لديها في فتح صفحتها القديمة، فاحترم هو ذلك وأجابها بنبرة جادة:

- لأشرح لك ما حدث. أنا متأكد أننا سنتمكن من فك غموضه وحله وإنقاذ صديقتك كما فعلنا معاً في قضية نجية.

أحببت استخدامه لـ«معاً» ورق قلبها.. لم ينسَ كما لم تنسَ هي.. ثم تجهمت مذكرة نفسها بأن الذي بدر منه مستحيل تخطيه أو نسيانه، فلتضع تركيزها في الوصول إلى إيما، غير ذلك لن يكون ثمراً. أخرجت من حقيبة ظهرها دفترًا ورقياً له سلك لولبي، فتحتة ووضعت على سطح طاولة المكتب، وفوقه وضعت عدة أقلام ملونة،

وبجوارهم دفتر صغير به أوراق لاصقة ذاتيًا، ثم رفعت رأسها نحوه وثبتت عينيها على ياقة قميصه كي تتحاشى النظر في عينيه واستمعت لما يقول..

بحلول الساعة السابعة مساءً اكتملت على حائط الغرفة الأيمن لوحة تلخص ما وقع من أحداث عكف على إعدادها عاصم وندى فيما بدا وكأنه اتفاق ضمني صامت على تنحية صوتي قلبيهما والتعامل بحرفية لصالح القضية. أصرت ندى على وضع اسم فائزة في منتصف اللوحة باعتبارها مفتاح اللغز، على عكس عاصم الذي غلب على ظنه أن فائزة لم تكن هدفًا في ذاتها، وإنما كانت تطورًا فرعيًا للقضية. مد عاصم يده ليضع ورقة باسم روز فتلامست أصابعهما، برق ورعد وشرارة حارقة سرت، فسحبت ندى يدها بسرعة، وابتلعت ريقها، وبحث عن صوتها حتى وجدته لتقول:

- ألصقها هناك.

لم يفهم عاصم قصدها ولم يدر هل شوشت الشرارة تفكيره، أم شوشت تفكيرها هي. تجاهل عبارتها كي لا يزداد الموقف غرابة وعاد إلى كرسيه المقفر متظاهرًا بترتيب أكياس الأدلة على سطح طاولة المكتب، بينما رسمت ندى من نقطة المنتصف ثلاثة أسهم تشير إلى ملصقات ملونة عليها أسماء السيدات الثلاث اللاتي وجدت مصوغاتهن مع فائزة: روز، ودلال، وإيما. أعد عاصم قائمة مبدئية بأسماء المشتبه بهم، وقامت ندى بكتابة تلك الأسماء حول كل

اسم من أسماء السيدات. بدأ عاصم بدياب، سائق النقل الذي وجد جثة فائزة في مكان غير مطروق، وكتب لديه ملاحظة بإعادة استجوابه لمعرفة سبب وجوده في ذلك الموقع. وبجوار اسم روز كتب اسمي زيكاس وجاسر. اعترضت ندى على كتابة اسم جاسر قائلة إنه شاب دمث الخلق وجدع، حرص على مرافقتها والتخفيف عنها منذ اختفاء إيماء، فأوماً لها عاصم برأسه، وأضاف عدة دوائر حمراء حول اسم جاسر حتى أصدر القلم صريراً، ثم كتب اسم عادل، مدير النشر بجوار اسم دلال، وكتب في ركن اللوحة اسمين آخرين: حمادة ود. سعيد، عَقَبَت ندى:

- الأستاذ حمادة الأخصائي النفسي؟ أخبرتني عنه إيماء، ولكن مَنْ هو الدكتور سعيد؟
- ستعرفين.

ترددت ندى في ركوب السيارة إلى جوار عاصم، ولكن نظرة منها إلى المنطقة المقفرة حول القسم أنبأتها بأنها لن تجد وسيلة مواصلات بسهولة، فقفزت إلى السيارة الجيب في حركة رشيقة كفتها معاناة التشعلق للصعود بقامتها القصيرة. انشغل عاصم بهاتفه لثوانٍ، ثم وضعه أمامه، وما إن بدأ بالقيادة حتى انبعثت من هاتفه ألحان موسيقية شرقية، تصاعدت بينما جاهدت ندى للسيطرة على حجابها الذي أخذ نسيم المساء يعبث به مع زيادة سرعة السيارة، ثم ما لبثت أن استسلمت فربطته في عقدة خلفية وأخرجت رأسها من السيارة ذات

السقف المفتوح، وسرحت في الجبال المارة على يمينها في اتجاههم
لنزل أندريه بالمشى على ألحان الأغنية الدائرة: «نسيت يا سلام..
على غدر الإنسان»..

انتبهت ندى من شرودها على السيارة وهي تقف. نظرت حولها،
لم يصلوا بعد، لماذا توقف عاصم؟ نظرت إليه فوجدته يرمقها بنظرة
يشوبها العتاب قائلاً:

- لم أستطع مسامحتك على ما فعلت، الثقة كانت أهم ما بيننا.
ضيق عينها لحظة كي تفهم ما يقول، ثم اندفع الدم إلى يافوخها
واحمرَّ وجهها.. ماذا؟ هل جرؤ على التلميح بأنها السبب فيما حدث
بينهما، بل ويذكر الثقة؟! يا لبجاحته.

قفزت ندى من السيارة وصفعت بابها في عنف ألجم عاصم
للحظة، ثم أخذ يناديها:

- ندى.. ندى..

مشت بخطوات سريعة يلاحقها صوت ميادة الحناوي في إصرار:

«كان ياما كان...»

تبعها عاصم بالسيارة على أقل سرعة محاولاً إيقافها وهي تهوّل
أمامه. أشارت لسيارة بيك أب بيضاء فتوقف السائق لها على الفور،
نظرت إلى داخل كابينة القيادة فوجدت وجهًا مألوفًا، إنه دياب الذي
وصّلها من قبل هي وإيما عدّة مرّات، انتابها قشعريرة خفيفة، ربما
من برد المساء، ترددت في الركوب، ثم سمعت اسمها يتردد من

خلفها فزمت شفتيها وفتحت باب السيارة وقفزت إليها. لو لم تكن هذه الوسيلة في التنقل معتادة في دهب عوضاً عن المواصلات العامة وسيارات الأجرة لما فعلتها.

تتبع عاصم سيارة دياب حتى وصلوا إلى المدخل الخلفي للنزل، والذي يقع في الشارع الرئيسي الموازي للممشى، فلأن الممشى كان مخصصاً للمشاة فقط، كان لكل نُزُل أو مطعم مطل على الممشى مدخل خلفي على الشارع الرئيسي. قفزت ندى من سيارة دياب وشكرته ومشت قليلاً حتى وصلت إلى المدخل الخلفي للنزل فدلقت منه لتجد عاصم يمر بها وكأنه لا يراها، متجهاً نحو دياب الذي ترجّل من سيارته. انتحى عاصم بدياب جانباً، راقبتهما ندى وهما يتكلمان.. بدت على عاصم الحدة بينما بدت الصدمة على وجه دياب، ثم الغضب وكأنما يتهمه عاصم بما لا يليق. استنتجت ندى أنه يستجوبه بشأن وجوده في المكان الذي وجدوا فيه جثة فائزة كما أخبرها بأنه سيفعل. لكم ودّت أن تنضم إليهما وتسمع ما يقولان، إلا أن موقفها الأخير من عاصم منعها. بعد قرابة خمس دقائق انفرجت أسارير وجهي الرجلين قليلاً وعادا معاً باتجاه النزل. مرّ عاصم ثانية بجوار ندى وكأنها غير موجودة، شعرت بالغیظ منه وأدركت أن تجاهلها هو رده على ما بدر منها في السيارة، كرهت أن تسيطر الغرابة وعدم الراحة على الأجواء فيما بينهما في ذلك التوقيت الدقيق. لقد أتت معه إلى النزل كي يُعرّفها على الذين قضت معهم إياماً أمسياتها عن قرب لعلها تكتشف شيئاً. ماذا تفعل الآن؟

اقتربت منها سيدة أربعينية ضخمة ذات ملامح حادة وبشرة سفعتها الشمس، وشعر أشقر مشدود في ذيل حصان هزيل أعلى رأسها، رحبت بها السيدة في مرح:

- نزيلة جديدة هنا؟ ضيوف أندريه هم ضيوف سفيتلانا.

سفيتلانا! شردت ندى وهي تفكر أين سمعت هذا الاسم من قبل؟ شدتها السيدة من ذراعها بقبضة قوية وسحبها إلى طاولة كبيرة في ركن الساحة جلس حولها بعض الأشخاص يتبادلون الحديث بأصوات صاخبة لم تميز ندى منهم سوى جاسر، بينما وقف عاصم عاكداً ذراعيه على مقربة منهم، لاحظت بطرف عينها أنه يراقبها، فرفعت ذقنها ورسمت ابتسامة على شفثتها وهي تنخرط في حديث مرح مع سفيتلانا. سحب لها جاسر أحد المقاعد لكي تجلس فشكرته وجلست. توقفت الأصوات ونقل الجمع نظراتهم إلى الفتاة المنضمة لهم حديثاً.. احمرَّ وجهها ولم تدرِ كيف تُعرِّف نفسها، تلعثت وهي تقول:

- أنا ندى صديقة إيما، تعرفونها أليس كذلك؟

غيرت ملامح سفيتلانا، وهي تقول:

- إيما! أين هي؟ أنا غاضبة منها، اختفت فجأة ولم تعتذر عن موعد سهرتنا أمس.

بدت الدهشة على وجه ندى فتدخل عاصم قائلاً:

- هذه سفيتلانا، مديرة الترفيه بأحد الفنادق القريبة.

تذكرت ندى أين سمعت الاسم، لقد أخبرتها عنها إيماء، كما أخبرتها في حماس عن السهرات المجانية التي تقدمها..

انبرى رجل أربعيني أصلع له وجه مستدير مكتنز مشوب بالاحمرار بتعريف نفسه لندى قائلاً:

- حمادة بسيوني، أخصائي نفسي ومستشار علاقات زوجية.

ثم أخرج من جيبه بطاقة كرتونية صغيرة ذات لون عاجي قدمها لندى قائلاً بنبرة ذات مغزى:

- أقدّم جلساتي «أون لاين» عبر برنامج «زووم».

سبقت يد عاصم ندى فأخذ البطاقة ووضعها في جيبه قائلاً:

- لا أظنها ستحتاج لخدماتك.

رمقته ندى في غيظ فهِمَّ بالكلام، لولا أن قاطعه انضمام رجل خمسيني لهم، فحيّاه عاصم باحترام قائلاً:

- أهلاً دكتور سعيد.

ثم التفت نحو ندى قائلاً:

- دكتور سعيد جراح شهير، ونحن محظوظون باستقراره في دهب، لقد أجرى الكثير من العمليات الجراحية العاجلة وأنقذ حيوات بأكثر ممّا يمكننا عدها.

ابتسم لهما د. سعيد بوقار، ثم جلس على مقربة وأخرج من جيبه مكعباً جلدياً صغيراً افتحه ليُخرج منه نظارة قراءة فتح ذراعيها ووضعها

على عينيه قبل أن يفتح كتابًا كان بيده ويستغرق في قراءته. تأملته ندى سريعًا؛ قامه طويلة وجسد رياضي، أسمر البشرة وله شعر خشن وقد غزا الشيب فوديه، لفتت نظرها أصابع يديه، إذ كانت طويلة ورشيقة كأصابع عازف بيانو محترف. قطع عاصم أفكارها حول الرجل قائلاً ببرود:

- لا أحتاج لتعريفك بجاسر مدرب الغطس، ولا دياب سائق النقل.

شعرت بالغضب المكبوت الكامن خلف بروده فأسعدها ذلك بعد ما قاله في السيارة، ولكنها عادت فذكرت نفسها بأنها هنا من أجل إيما، ولا يجدر بها أن تنجرّ في معارك فرعية، خاصة تلك التي مرّت عليها أكثر من سنة وكان يجب أن تصير في طي النسيان.. أخرجت دفترها الورقي ذا السلك الملولب وفتحته وبدأت تكتب بعض الملاحظات وهي تتذكر حكايات إيما لها عن الموجودين حول الطاولة.

- لا أطيق ذلك الطبيب النفسي أو أيا كان مسماه..

هكذا أعلنت إيما من حمّام الغرفة قبل يوم واحد من اختفائها. قالتها بصوت مفعم بالمشاعر وهي تجفف شعرها الأحمر بواسطة مجفف الشعر الكهربائي. ابتسمت ندى.. فمنذ أن وصلت إلى دهب وإيما توزع حبها وكرهها على الناس بسخاء وفي أحكام سريعة وقاطعة، على عكس ندى التي اعتادت أخذ وقتها في معرفة الناس وفهمهم.

- ماذا فعل لك؟

سألتها ندى وهي تعلم أن الإجابة على الأرجح ستكون على غرار:
لم يداعب الكلب الأجر الذي مر بجواره، ولكن إيما قالت:

- يُعرّف نفسه بأنه طبيب نفسي ولكنه أقرب لمريض نفسي،
شخص سيكوباتي يخفي غرابه أطواره خلف قناع من التزلف والذوق
خاصة مع النساء.

تفاجأت ندى بقول صديقتها وأثار وصفها فضولها كداسة لعلم
النفس وكصحفية سابقة أيضًا. عذمت على أن تذهب مرة مع إيما إلى
ركن أندريه في سهراتها الليلية كي تتعرف على الرجل عن قرب..

لم تكن تعلم أن ذلك اليوم سيأتي قريبًا، ولكن بدون إيما!

تجارة أعضاء!

- تفضلي وسادة لظهرك.. فهذه المقاعد غير مريحة خاصة لقصار القامة مثلك..

استفاقت ندى من أفكارها على عبارة حمادة وهو يمد لها وسادة صغيرة بيده البيضاء المكتنزة. تلقفها عاصم وأعطاهما لندى التي أخذتها منه بآلية ووضعتها خلف ظهرها وهي تفكر في كلام صديقتها عن الرجل. تأملت وجهه الحليق اللامع، وابتسامته الواسعة والتجاعيد الدقيقة حول عينيه. له ابتسامة طفل إن جاز القول، فما الذي حمل إيما لقول ما قالته؟ وهل كانت محقة؟ كرهت ندى أن يستخدم عقلها الأفعال الماضية حين تفكر في إيما، لا تريد التسليم بأنها لن تراها ثانية.

فكرت في أن أفضل وسيلة لسبر أغوار الجالسين حولها هي العمل بمبدأ «تكلم حتى أراك»، تجاوبت مع لفتة حمادة الدمثة وهي تشير نحو الوسادة قائلة:

- شكرًا لك، هكذا أفضل.

- لا شكر على واجب، أحرص دومًا على راحة أصدقائي.

رفع عاصم حاجبًا دون أن يعقب، بينما استمر حمادة في توجيه حديثه لندى:

- سمعت أنكِ أخصائية نفسية، نحن زملاء مهنة إذن. هل أنتِ هنا في عمل؟

- لا، إجازة قصيرة.

- جيد، هكذا لن أخشى المنافسة.

أتبع عبارته بضحكة عالية، ثم أردف:

- أنا هنا في دهب من أجل المزيج الساحر بين العمل والمتعة، يلجأ لي المقيمون في استشارات نفسية، وأحيانًا السائحون، أما زبائني من القاهرة أو من خارج مصر فجلساتنا تتم «أون لاين».

ابتسمت ندى في مجاملة فقرب رأسه منها قائلاً:

- هل تعملين كمساعدة لي؟ ستكون خبرة جيدة لك، ويمكنك حينها أن تقيمي معنا هنا.

ثم غمز مردفًا:

- الراتب بالدولار، ما رأيك؟

- إيما كلمتني عنك!

بوغت الرجل بعبرة ندى، فارتفع حاجباه وتجمدت ملامحه للحظة، قبل أن تلين وهو يُعقب:

- حقًا؟! إنها فتاة لطيفة وحبوبة ولكن كان عليها أن تحذر، فهي متساهلة كثيرًا مع الجنس الآخر. أين هي؟ هل ذهبت في رحلة خاصة مع أحدهم؟

كرهت ندى ما قاله عن صديقتها فوجدت نفسها تندفع قائلة:

- هذه ليست إيما، لم تكن فتاة مستهترة كما تُلَمَّح، وأرجو ألا يكون لك يد في اختفائها.

اتسعت عينا الرجل وتراجع في كرسيه إلى الوراء، ورمقها عاصم بنظرة لوم، فانكمشت ولامت نفسها على ما تسرعت في قوله. وضع د. سعيد كتابه من يده وخلع نظارة القراءة عن عينيه قائلاً في هدوء:

- ذهب بلدة آمنة والكل فيها يعرف بعضه، هل حقًا لا تعلمين أين هي صديقتك؟ ربما لديها خطط أخرى؟

نظرت له ندى في غضب فرفع كفه قائلاً:

- لا أقصد الإساءة لها، عנית خطأً من قبيل رحلات بحرية أو سفاري، لقد رأيتهما تمارسان الغطس مع جاسر، ربما ذهبت في رحلة إلى شاطئ الـ«بلو هول» أو محمية «أبو جالوم».

شعرت ندى بالحرج وارتجَّ عليها القول فتدخل عاصم قائلاً:

- معك حق يا دكتور، إلا أن ندى أخبرتني بأنهما كانتا تخططان لجميع الخطط معًا؛ لذلك فهذا الاحتمال مستبعد، لم نكن نريد إثارة القلق ولكن الفتاة لم يرها أحد منذ مساء الأحد.

سمعت ندى صوت شهقة خافتة فأمنت النظر في وجوه الجالسين ولكنها لم تستطع تحديد المصدر.

- إذن فما سمعناه صحيح؛ لذلك سأل عنها الرائد عبدالكريم..
ألم تفكرا في عصابات تجارة الأعضاء؟

اقترح حمادة بابتسامة واسعة، ورفع د. سعيد رأسه عن كتابه في اهتمام ونظرت ندى رغماً عنها إلى عاصم الذي قال:

- تجارة الأعضاء تحدث في القصص الخيالية والروايات البوليسية فقط، أما على أرض الواقع فذلك شبه مستحيل، أليس كذلك يا دكتور؟

أمّن د. سعيد على كلام عاصم قائلاً:

- نقل الأعضاء يحتاج إلى إمكانات طبية هائلة سواء لإجراء التحاليل والفحوصات على المريض والمتبرع للتأكد من توافق الأنسجة، أو لحفظ العضو المراد نقله، وأيضاً لإجراء عملية النقل، ثم فترة النقاهة بعدها. لا يمكن تنفيذ مثل تلك العمليات الدقيقة عن طريق الخطف أو سرقة الأعضاء. هذا تصور ساذج.

- إلا إذا تزعمته أنت يا دكتور! ألا يقولون إنك واحد من أفضل الجراحين في مصر؟

ألقي حمادة دعابته بضحكة واسعة سرعان ما انكمشت حينما لم يجد لها صدى باستثناء ابتسامة جليدية منحها له د. سعيد في سخاء. ساد صمت حذر لبرهة ثم سرعان ما انخرط الجميع في أحاديث جانبية

بينما انكبت ندى على دفترها تكتب الملاحظات التي استنتجتها من الحوار الدائر. لم تعرف ما الذي جعلها ترفع رأسها بغتة، ولكنها لمحت د. سعيد يحدج الأستاذ حمادة بنظرة غضب سريعة قبل أن يعود لقراءة كتابه.

رفعت ندى جسدها ببطء خارج حوض الاستحمام بعد أن فترت مياهه.. شطفت جسدها من الصابون ثم وضعت عليه رداء الاستحمام القطني السميك ولقت شعرها بمنشفة الفندق البيضاء وخرجت إلى الغرفة من دورة المياه الملحقة بها. اندفعت من خلفها هالة ضخمة من بخار الماء انتشرت في سماء الغرفة وغطت المرأة الصغيرة بضباب أبيض وكأنها في مشهد سينمائي غامض. جلست على فراشها، ولم يسعها إلا أن تتأمل مكان رفيقتها الشاغر وحقيبة سفرها الكبيرة ذات اللون الوردي الفاقع ومتعلقاتها الأخرى زاهية الألوان التي تناثرت في أرجاء الغرفة. لم تخبر شيرين بعد..

كانت ترجو أن تظهر إيماء، ولكن بعد اختفاء يومين أصبحت مكالمة شيرين واجبة، وقد استعدت لها باستلقائها ما يربو على الساعة في حوض الاستحمام الساخن.

أنهت ندى مكالمتها مع أختها بقلب مكلوم. فالحديث الذي بدأ بالبهجة المتوقعة لشيرين التي لم تكد تمر عدة أشهر على زواجها

مَمَّن اختاره قلبها وسفرها معه للخارج لنيل درجة علمية سريعة،
حديث العروس التي تحكي لأختها آخر أخبارها وتتوقع أن تسمع
منها عن مغامراتها المثيرة مع صديقتها في دهب، انتهى ذلك الحديث
إلى خبر اختفاء إيما الصادم الذي جعلته نظرة شيرين الواقعية للأمور
أكثر حدة وعمقًا وجعله بُعدها المكاني وعجزها عن التدخل يتحول
إلى غضب، بينما أخذته تعليقات زوجها الطبيب النفسي د. مراد ورأيه
في الأمر نحو منحى مظلم في عقل ندى لم تُرد هي التفكير فيه على
ذلك النحو قط.

مَن سيخبر كاترينا؟

استيقظت ندى متأخرة على غير عاداتها بعد ليلة أرققتها فيها الكوابيس والأحلام. فركت عينيها وهي تفكر في عاصم بابتسامته المستفزة ومعاتبته الرومانسية لها في السيارة أمس وكأن شيئاً لم يكن. هل نسي ما حدث بينهما بعد انتهاء قضية نجية؟ هل يظن حقاً أنه يمكن تخطيه؟! يا له من خاسر!

قفز دون مناسبة إلى مخيلتها وجه د. سعيد الذي اقترح نومها وهو يلاحقها بخطوات بطيئة ويمد نحوها أصابعه الطويلة الرفيعة. تذكرت الأمسية السابقة، حينما حذج حمادة بنظرته الغاضبة، لاحظت حينها يديه وكيف قبضتا بشدة على دفتي الكتاب حتى ابيضتا وبرزت سلمياتهما.

ترى هل يخفي وراءه سرّاً؟

هل يكون مرتبطاً بما قاله لها مراد؟ يبدو لها المرشح الأمثل ممّن رأتهم أمس.

ارتدت ملابسها في سرعة، ولم تدقق كعادتها في ضبط حجابها وإحكامه بالدبابيس اللازمة، أرادت اللحاق بيوم عاصم من بدايته والإدلاء بدلوها.

لم يكد المقدم عاصم ينظر في تقرير المتابعة الذي قدمه إليه الرائد عبدالكريم حتى ظهر أندريه ومعه كاترينا على باب غرفته بالقسم. لاحظ عاصم كم شاخ أندريه، وتساءل ماذا سيحقيق بزوجه حينما تعرف. أجلسهما فقالت له كاترينا دون مقدمات:

- أندريه أخبرني بكل شيء.

اتسعت عينا عاصم وهَمَّ بالكلام ولكن نظرة تحذير من أندريه أسكتته، أكملت كاترينا بصوتٍ حزين:

- مسكينة فائزة، حينما لم تظهر في موعدنا أمس ظننتها مريضة، حاولت الاتصال بها ولكنها لم ترد فانتابني الغضب، قلت لها مراراً يجب أن تبلغيني إذا اعترضك طارئ ولا تتركيني أنتظر، واعتزمت خصم اليوم من راتبها لكي يكون درساً لها.. والآن انظروا ماذا حدث.. لقد ظلمتها المسكينة.

قالت كاترينا عبارتها الأخيرة بطريقة بأسى، فعقَّب عاصم:

- لا بأس كاترينا، لم تكوني تعرفين.

هزت كاترينا رأسها فاحترم عاصم صمتها، ولكنها رفعت ذقنها إليه بعد دقيقة مردفة بنبرة عادية:

- أخبرني أندريه أنك تريد لقائي. خيرًا؟

تبادل النظرات مع أندريه وهو يقول:

- بعض الأسئلة عن فائزة. أريد أن أغلق المحضر وأنت خير من يكلمني عنها.

سألها عاصم في البداية عن معرفتها بفائزة فأخبرته بأنها كانت عاملة تنظيف لدى أندريه في التزل منذ سنوات، وحينما قررا أن ينتقل مطعم كاترينا إلى الجبل طلبت منها فائزة أن تعمل معها، فهي لا تحب الاستيقاظ مبكرًا ولا تنظيف الغرف، وتفضل المساعدة في المطبخ. رحبت كاترينا بالأمر وسرعان ما أصبحت فائزة مساعدها وذراعها اليمين. انحصرت شكاوى كاترينا منها في عدم التزامها بالمواعيد وكثرة الأعذار. بيد أن أمانتها وتنفيذها لتوجيهات كاترينا وتحملها لتحكماتها كانوا من الأسباب الرئيسية لتمسكها بها. وحينما سألها عاصم عن أعداء محتملين أو خلافات مع آخرين أخبرته بأن فائزة لم تكن لديها علاقات تذكر؛ لا أعداء ولا حتى أصدقاء. ترددت كاترينا ثم أضافت:

- باستثناء بعض المناوشات مع أم الخير..

- أم الخير؟!!

عرف عاصم أم الخير منذ أيامه الأولى في دهب، سيدة بدوية بشوشة تطبخ أكالات منزلية وتبيعها يوميًا في ركن منزوٍ بالمشى، لها زبائنهما الذين يتوقون للأكالات الشرقية المطبوخة على طريقة الجدود.

تذكر عاصم يوم رآها لأول مرة، كان واقفًا يتجاذب أطراف الحديث مع أندريه في ساعة متأخرة من المساء أمام مدخل التُّزُل، حينما مرت بهما سيدة أربعينية ترتدي جلبابًا مزركشًا وحجابًا أسود لَفَّت به رأسها فأخفى جزءًا من جبهتها ووجنتيها، وعلى رأسها حملت محفة عليها بعض الأكياس. ناداها أندريه:

- تعالي يا أم الخير، ماذا تحملين؟

اقتربت منهما السيدة في خفر، فلاحظ عاصم وجهها المليح المستدير والوشم الرمادي المدقوق على ذقنها. أنزلت المحفة من على رأسها وأشارت إلى أطباق الألومنيوم المغلفة وطواجن الفخار قائلة:

- تبقى معي طبقان من المحاشي المشكلة، وقطعة مكرونة بشاميل، وطاجن كَشك، وآخر من البصارة.

- هاتيهم.

قالها أندريه وهو يُخرج من محفظته مبلغًا من المال لم تنظر فيه السيدة ولم تعده، بل قَبَلته ووضعتة على جبهتها، قائلة في امتنان:

- دائمًا ما تجبر بخاطري يا سيد أندريه ولا تردني بالطعام إلى بيتي، بالهناء وال...

لم تُكمل عبارتها، إذ ظهرت كاترينا في الأفق تصرخ:

- أندريه، ماذا تفعل؟

اختفت أم الخير فورًا بينما اقتربت كاترينا في غضب.

- قُلْتُ لَكَ مَرَارًا لَا تَشْتَرِ طَعَامًا مِنَ الشَّارِعِ، نَحْنُ لَا نَضْمَنُ
نِظَافَتَهُ.

- وَكَمْ مَرَّةً قَالَ لَكَ إِنَّهُ لَا يَشْتَرِيهِ لِأَكْلِهِ، بَلْ رَأْفَةٌ بِأُمِّ الْخَيْرِ وَبِعَمَّالِ
النُّزْلِ أَيْضًا، هَاتِ يَا أُنْدِي.

قَالَتْهَا رَوْزُ الَّتِي أَقْبَلْتُ بِدَوْرَهَا ضَاحِكَةً تَتَنَاوَلُ الْأَطْبَاقَ مِنْ أُنْدَرِيهِ
وَتُعْطِيهَا لِأَحَدِ الْعَمَالِ الَّذِي أَخَذَهَا وَابْتَعَدَ مَسْرَعًا. اقْتَرَبَتْ رَوْزُ مِنْ
أُمِّهَا وَطَبَعَتْ قَبْلَةً خَفِيفَةً عَلَى وَجْهِهَا، فَلَانَتْ أَسَارِيرُهَا وَقَالَتْ لِأُنْدَرِيهِ
بِرَقَّةٍ مَعَاتِبَةٍ:

- لَا أَحِبُّ أَنْ تَأْكُلَ مِنْ يَدِ غَيْرِي.

أَمْسَكَ أُنْدَرِيهِ يَدَهَا وَقَبَّلَهَا وَهُوَ يَقُولُ مَدَاعِبًا:

- وَلَكِنَّكَ لَا تَطْبَخِينَ أَكْلَاتَ شَرْقِيَّةٍ يَا كَاتِي، وَأَنَا أَشْتَاقُ
لِلْمَحْشِيِّ.

ثُمَّ اسْتَدْرَكَ قَبْلَ أَنْ تَتَجَهَّمْ ثَانِيَةً:

- وَلَكِنِّي لَنْ أَكُلَهُ إِلَّا مِنْ يَدَيْكَ.

تَبَسَّمَتْ كَاتَرِينَا وَضَحَكَتْ رَوْزُ. تَأْمَلُ عَاصِمُ الْأُسْرَةَ الصَّغِيرَةَ
مَتَذَكِّرًا كَلَامَ أُنْدَرِيهِ عَنْ كَاتَرِينَا وَطَيِّبَتِهَا الْمَفْرُطَةَ الَّتِي تَتَنَاقَضُ وَمَزَاجُهَا
الْعَصْبِيُّ الَّذِي يَشْتَعِلُ فَجْأَةً وَلَا يَلْبَثُ أَنْ يَتَبَخَّرَ فَجْأَةً مِثْلَمَا اشْتَعَلَ، وَلَا
يُفْسِرُهُ فِي رَأْيِهِ سِوَى كَوْنِهَا مِنْ بَرَجِ الْجُوزَاءِ.

منذ ذلك اليوم اعتاد عاصم أن يشتري من أم الخير المحشي وطواجن المسقعة والبامية والملوخية كلما اشتاقت نفسه لهم، وأحياناً يتقاسمهم مع أندريه حينما تكون كاترينا في المطعم. كانت أياماً مليئة بالمرح والحب، قبل أن تغيب روز وتغيب معها الضحكات واللحظات الحلوة إلى الأبد.

عاد عاصم للحاضر وسأل كاترينا:

- ما هي طبيعة المناوشات بين فايضة وأم الخير؟

- آه، يا لهما من امرأتين عنيدتين ومتعبتين! أرادت فايضة أن تبيع هي الأخرى مأكولات من صنعها في الممشى فهاجت عليها أم الخير وأوصت زبائنهن بعدم التعامل معها، بل واتفقت مع أصحاب المطاعم والبازارات في الممشى أن يطردوا فايضة من أمام أبوابهم، فلم تجد لها موضعاً للبيع.

- وماذا فعلت فايضة؟

- أتتني باكية فطلبت من أندريه أن يتدخل.

نظر عاصم إلى أندريه فتحنح قائلاً في قلة حيلة:

- أم الخير رأت أن ذهب بها أماكن كثيرة أخرى، فاقترحت أن تجد فايضة لنفسها مكاناً آخر غير الممشى، ولكنني أظن مسألة طرد أصحاب المحلات لفايضة بإيعاز من أم الخير هو محض مبالغة.

حركت كاترينا ذراعها في الهواء قائلة:

- هكذا أنت يا أندريه، دومًا تقف في صف أم الخير، حينما تعود
روز سنسألها وستخبرك يا عاصم بالحقيقة.

تبادل عاصم النظرات مع أندريه وساد الصمت.. سألتهما كاترينا
في توجس:

- ما الأمر؟

أخرج عاصم كيس الأدلة البلاستيكي من الدرج ببطءٍ ووضعهُ
على سطح طاولة المكتب قائلاً:

- كاترينا.. هل تميزين ما بالكيس؟

أمسكت كاترينا بالكيس ورفعته إلى وجهها، ثم رفعت نظارتها
الطبية من على عينيها وقربته أكثر وفجأة اعتصرت الكيس بقبضتها
وهبت واقفة..

- أين وجدتها يا عاصم؟ أين؟

ثم رفعت الكيس في وجه أندريه وقد بدأت الدموع تنهمر من
عينيها..

- اسأله أندريه، أين وجدها؟ أين ابنتي؟

انهارت على الكرسي وأطلقت عويلًا طويلًا قبل أن تصرخ في
لوعة:

- آه.. روزاليندا..

اقترب منها أندريه وأخذ يربت على كتفها وهو يناشد عاصم:

- أخبرها..

في هذه اللحظة سمعوا طرقًا على الباب ودخلت منه ندى،
تسمرت تنظر إليهم بينما لم يبدُ على كاترينا أنها شعرت بدخولها إذ لم
تنظر نحوها، بل ترجّت عاصم قائلة:

- أرجوك أخبرني.. ماذا حدث لابنتي؟ أين وجدتم دلائلها؟

جلست ندى في صمت تحاول فهم الحوار الدائر بينما أجاب
عاصم عن سؤال كاترينا بما لديه من معلومات، ولم يكذب يتفوه
باسم فائزة حتى شهقت كاترينا بعنف، ثم انتفضت واقفة وهي تهتف
بوحشية:

- فائزة، تلك المجرمة.. ماذا فعلت بابنتي الصغيرة؟ سأمزقها حية
بأسناني..

صمت كاترينا فجأة وأسقط في يديها إذ أدركت أن فائزة ميتة
بالفعل، فارتمت على المقعد ثانية، نظرت إليها ندى في تعاطف،
لم تر في ملامحها الحزن أو الألم بقدر ما رأت الغضب.. الغضب
المستعر.

تدخلت ندى قائلة في تردد:

- ربما تكون روز بخير، وتكون فائزة قد سرقت الدلاية منها
سابقًا.

- لا..

هتفت كاترينا بقوة وقد اتسعت فتحتا أنفها..

- لقد كانت ترتديها في عنقها حتى ليلة رحيلها. أذكر ذلك جيداً.

اقترب منها أندريه وركع على ركبته بجوار مقعدها محاولاً تهدئتها
فصرخت فيه:

- اسكت أنت.. أنت السبب.. أنت من أتيت بفايزة لتعمل عندي،
وأنت من أوهمتني أن روز بخير وأنها ستعود. قُلت لك إن قلبي منفطر
عليها وإن مكروهاً أصابها فلم تصدقني.

نظر عاصم إلى أندريه فوجد ملامحه تتلوى من الألم وهو يقول
بصوت متحشرج:

- ظننتها سافرت إلى إيطاليا، إلى ماريا وأنطونيو، ثم بعد ذلك
ظننتها تلهو مع ذلك الشاب الأمريكي.

اندلع الشرر من عيني كاترينا وتفجرت منهما آلاف الشياطين..
- ماريا؟ أنطونيو؟ ماذا تقول؟!

اضطر أندريه أن يصارح زوجته المكلومة بما يعرفه عن تواصل
روز مع خالتها وبحثها عن أبيها، كما أخبرها عن الأموال التي ادّخرتها
ووجدها أخيراً في غرفتها..

استمعت له كاترينا في صمت والدموع تسيل على وجنتيها
المحمرتين، توقع عاصم أن تهتاج على أندريه ثانية واستعد للفصل

بينهما، ولكنها فاجأته بأن ارتمت على زوجها واحتضنته ووضعت
رأسها على كتفه، ربت عليها أندريه بحنان فتشبث به ونشجت
وبكت..

حتى سال أنفها على ياقته كطفلة صغيرة.

النمط

خرج الزوجان أندريه وكاترينا من غرفة التحقيق يتكى أحدهما على الآخر برغم فرق الطول، وانضم عبدالكريم لعاصم وندى في الغرفة التي خيم عليها الحزن والصمت و.. الغضب!

قرأت ندى غضب عاصم في تجاهله لها منذ أن دخلت الغرفة. لم يتجاوز موقفها منه أمس برغم الاهتمام الذي أبداه بها لاحقاً في جلستهم بالنُّزُل، وهي لن تفتح معه الموضوع أو تحاول تلطيف الأجواء. رد فعلها بالسيارة نقطة في بحر ممّا يستحقه، فليدفع ثمن تلاعبه، لقد تغيّرت منذ لقائهما الأخير ولم تُعد ندى الوديدة الباكية التي عهداها.

أخرجها صوت عاصم من أفكارها وهو يسأل عبدالكريم:

- ماذا لدينا الآن؟

- ثلاث نسوة اختفين في ظروف غامضة، ورابعة قُتلت ومعها حلية ذهبية لكل من الثلاث المختفيات.

- هل تأكدنا من أنهن مختفيات؟

- أخو دكتورة دلال أبلغ عن اختفائها منذ عدة أيام. لم يستطع الوصول لها منذ بضعة أسابيع. في البداية ظن ذووها أنها منزوية من أجل إتمام ترجمة الكتاب، ثم حينما طالت غيبتها بدأوا في البحث عنها والاتصال بأصدقائها ومعارفها، ثم العاملين بدار النشر، حتى يتقنوا من اختفائها، فأبلغوا قسم المعادي التابع لسكنهم.

- وماذا عن أسرة روز في إيطاليا؟

- لم يصلهم منها أي أخبار أو رسائل. انقطعت عن التواصل معهم فجأة في وقت يتزامن مع هروبها المزعوم. لقد راجعت أيضًا قوائم السفر في المطارات والموانئ في تواريخ اختفاء السيدات الثلاث، لم تخرج إحداهن من البلاد، على الأقل عبر الطرق الرسمية.

- ماذا عن المدعو عادل مدير النشر، وجوناثان الأمريكي؟

- تحرياتنا عنهما لم تُفُضْ إلى شيءٍ حتى الآن.

- واصل البحث خلفهما حتى تصلنا سجلات الهواتف وتقرير الطب الشرعي عن البصمات الموجودة على الحلبي الذهبية التي وجدناها لدى فائزة.

اقتربت ندى من اللوحة الجدارية التي ثبتت عليها مع عاصم الأسماء في اليوم السابق، وبدأت تكتب بعض الملاحظات بجوار اسمي دلال وروز، انضم لها عاصم متجهماً وأخرج من حافظة بلاستيكية صغيرة صوراً للنساء الأربع وثبت كل صورة بجوار اسم صاحبها بدبابيس ملونة صغيرة.

تأملت ندى اللوحة ثم قالت:

- ثلاث نساء مختفيات، والرابعة مقتولة. هل يعني ذلك أننا نبحث عن مجرم واحد؟ أم عدة مجرمين؟

أجابها عبدالكريم قائلاً:

- لكي نجيب عن هذا السؤال يجب أن نحدد النمط الإجرامي لما بين أيدينا من جرائم.

- هل تظنها جرائم خطف؟ أم..

لم تستطع ندى النطق بالاحتمال الثاني.. والذي رأى عاصم أنه الأرجح وفق المعطيات، إلا أنه أثر الصمت، فقال عبدالكريم محاولاً تأجيل الإجابة الواقعية عن سؤالها:

- لا يهم التصنيف الآن، سنفترض أنه خطف وأنها بصدد الوصول للمختطفات وتحريرهن، ولكي يحدث ذلك يجب أن نصل للجاني أو الجناة، وعليه من المهم تحديد النمط الإجرامي. فلكل مجرم نمط محدد، ولكنني لا أجد ما يربط بين الضحايا، واضح أنه ليس الشكل؛ فلكل واحدة منهن سمات شكلية مختلفة تمامًا عن الأخرى.

- ولا الجنسية، إيما أمريكية، وروز إيطالية، ودلال وفايزة مصريتان.

- ولا الشريحة العمرية، روز مراهقة، وإيما عشرينية، ودلال أربعينية، وفايزة خمسينية.

- ربما يعمل المجرم دون نمط.

- لا يوجد مجرم يختار ضحاياه دون أي نمط أو رابط بينهم، مهما كان ذلك الرابط خفيًا أو بسيطًا.

أجابها عبدالكريم فهزت ندى رأسها يمينًا ويسارًا قائلة:

- وماذا عن تشارلز كولين؟ الذي تم القبض عليه سنة 2003 بعد أن قتل عشرات إن لم يكن مئات المرضى خلال ستة عشر عامًا من عمله كمرّض. ادّعى في التحقيقات أن الدافع كان إراحة المرضى وإنقاذهم من الألم، ولكن بمراجعة التقارير الطبية اكتُشف أن العديد ممّن أنهى تشارلز حياتهم لم يكونوا في حالة خطرة، بل كانوا على وشك التعافي.. وهكذا بقي الدافع والرابط غير معروف.

نظر عبدالكريم إلى عاصم الذي ظل صامتًا، ثم قال:

- هذه الحالة هي الاستثناء الذي يثبت القاعدة، في رأيي أننا إما أن نجد النمط الذي يربط بين الضحايا، أو نعتبرها جرائم منفصلة.

- منفصلة كيف؟

- كل سيدة على حدى كان لديها من يُضمر لها الشر. فائزة على سبيل المثال ربما تشاجرت مع أم الخير فدفعتها من أعلى في لحظة غضب.. ودكتورة دلال، ربما لاحقها عادل مدير النشر وتسبب لها بالأذى.

- وروز وإيما؟

- بالمثل، إذا تحرينا عن علاقات كل منهما سنجد فيها مَنْ يصلح لأن يكون الجاني.

بدا عدم الاقتناع على ندى فسألها عاصم في جمود:

- وماذا تقترحين أنتِ؟

تجاهلت ندى البرودة في صوته وأجابته:

- النمط الوحيد الذي قد يربط بين المختفيات هو تجارة الأعضاء.

- ألم تسمعي كلام دكتور سعيد أمس؟ تجارة الأعضاء هذه محلها الروايات البوليسية.

نقرت ندى بطرف سبابتها على اسم د. سعيد الذي كتبه عاصم على طرف اللوحة مساء اليوم السابق قائلة في هدوء:

- ربما يكون دكتور سعيد أحد المشتبه بهم، هل ستأخذ بكلامه؟ لقد تواصلت أمس مع دكتور مراد، تعرفه بالطبع، كان المشرف على حالة نجية في المشفى النفسي، وهو الآن زوج أختي شيرين.. مراد لديه أقوال أخرى.

أزعجت عبارة ندى الأخيرة عاصم، لم يكن يعلم أن مراد وشيرين قد تزوجا، شعر باتهام ضمني في متن العبارة، لقد تزوج مراد شيرين بينما خسر هو ندى.. أخرج علكة نيكوتين وألقاها في فمه، بينما سألها عبد الكريم في اهتمام:

- ماذا قال دكتور مراد؟

- اتفق مع دكتور سعيد في أن زراعة الأعضاء شبه مستحيلة في هذه الأجواء.

- إذن ما الجديد؟

سأل عاصم فأردفت ندى:

- إلا أنه استثنى زراعة الكلى. عمليات نقل الكلى هي أسهل عمليات نقل للأعضاء وأكثرها انتشارًا، ولا تحتاج للكثير من التجهيزات الطبية.

ساد الصمت الغرفة فسألتها ندى:

- ألا تتفقان معي أن هذا احتمال قائم؟

تفكر الرجلان فيما قالت ثم زفر عاصم وقام من على كرسيه واقترب من اللوحة ينظر في صور النساء قائلاً:

- احتمال قائم بالفعل، فكما قال عبدالكريم: في علم الضحايا أو ما يعرف بالـ Victimology يجب أن يكون هناك رابط بين ضحايا المجرم الواحد، إما الفئة العمرية، أو الشكلية، أو حتى أشخاص في محيطهم. ولكن الاختلاف بين مواصفات السيدات المختفيات في قضيتنا لم يسمح لنا بتحديد أي نمط يجمع بينهن سوى كونهن نساء و..

أكملت ندى قائلة:

- ولكل منهن كليتان يمكن الاستفادة منهما، باستثناء فائزة التي وجدنا جثمانها كاملاً.

قال عاصم:

- ذلك لأن فائزة في رأيي ليست ضحية أصلية.. في الأغلب فائزة شريكة للمجرم، اختلفا فانقلب عليها وتخلص منها.

- ربما فائزة هي همزة الوصل التي سهلت للمجرم الوصول للسيدات وخطفهن، سيدة بسيطة تعمل مع كاترينا وأندريه وتحوز على ثقة الجميع بتبعيتها لهما، تستطيع أن تخلق الحجج لاستدراجهن، ثم ينقض عليهن المجرم.

- فرضية لا بأس بها.

قالها عاصم وهو يعود ليجلس على كرسيه خلف طاولة المكتب ويخرج من أحد أدراجها خريطة فردها قائلاً:

- إن كانت الجريمة خطف ونقل أعضاء فالمجرم يحتاج لمكان واسع وبعيد عن الأعين لاحتجاز الضحايا دون أن يستطعن الاستغاثة أو الهروب، وفي نفس الوقت مغطى ومناسب لإجراء عمليات جراحية.. ما رأيك يا عبدالكريم؟

- أنا منقول إلى ذهب حديثاً كما تعرف وليس لي علم بدروبها. نحتاج لشخص من أهلها يدلنا بدلاً من تضييع الوقت في التخمين.

- العرباوية والبدو لا يحبذون التعاون مع الشرطة..

قالها عاصم وهو يضطجع في كرسيه إلى الوراء متفكرًا، ثم أخرج هاتفه وأجرى اتصالاً قائلاً:

- إلا ربما..

وبعد قليل دخل عليهما دياب بجسده الضخم ذي الهيبة وصوته
الأجش:

- خيرًا يا سيادة المقدم؟

- دياب.. هذه خريطة ذهب، تأملها وخذ وقتك في التفكير، إن
كان هناك نشاط غير مشروع يحتاج لمكان واسع ومهجور وبعيد عن
العمران ومع ذلك به الخدمات الرئيسية مثل المياه والكهرباء، ويمكن
الوصول إليه بالسيارة، أين قد يقع؟

تأمل دياب الخريطة وحك ذقنه الخشن قبل أن يشير إلى نقطة ما
على الخريطة قائلاً باقتضاب:

- المستودع.

مكتبة
t.me/soramnqraa

مداهمة

ظلت إصبع دياب على الموقع المبهم على الخريطة وهو
يردف:

- اعتاد مهربو البشر إخفاء الزلطان هنا في المستودع بعيداً عن
أعين الشرطة حتى يحين موعد عبور الحدود.

- مَنْ هم الزلطان؟

سألت ندى في دهشة، ففسّر دياب:

- المهاجرون غير الشرعيين من الأفارقة، فالزلطان بلغة عرب
سيناء هم صغار الماعز ذوو اللون الأسود والجسد الضئيل، وهو
الاسم الذي أطلقناه على هؤلاء المهاجرين بسبب بشرتهم الدكناء
وهز الهم الشديد حينما يصلون إلى هنا بعد رحلتهم المنهكة عبر
دروب الصحراء.

- هجرة غير شرعية هنا في سيناء؟!

- هجرة الأفارقة إلى إسرائيل عبر سيناء كانت رائجة تماماً حتى

عام 2015.

- ثم ماذا حدث؟

امتعض عاصم من أسئلة ندى ولكنه لم يُعلّق، ربما فضولاً منه هو الآخر لسماع ما لدى دياب الذي أجاب قائلاً:

- سيئاء كانت مرتعاً لعصابات التهريب، وقد أدت الصراعات بينهم إلى مشاهد دموية عديدة جعلت السيطرة على التهريب على رأس أولويات الأمن، خاصة بعد أن استفحل إبان ثورة 25 يناير لمكاسبه المادية الكبيرة، فسعر تهريب الفرد تراوح ما بين ألف دولار إلى 25 ألف دولار. أتوا من دارفور وأريتريا ونيجيريا وغيرها من دول إفريقيا، وعبروا حدود السودان إلى مصر حتى نفق الشهيد أحمد حمدي الذي يعبر قناة السويس، ثم يدفع المهربون الرشاوى لتأمين مرورهم إلى سيئاء، ويخبئونهم في المخازن والمستودعات لأيام قد تمتد لأسابيع حتى تحين الفرصة لعبور الحدود.

- وكيف يتحركون في سيئاء؟

- يستعمل المهربون الدواب وسيارات دفع رباعي بدون لوحات ترخيص، مجهزة بالطعام والخيام والسلاح، وكل المستلزمات الغذائية المعلبة، التي تكفي المهرب أسبوعاً على الأقل.

- ألا توجد خطورة على حياتهم؟ الهاربون والمهربون على حد سواء.

أجابها دياب بنبرة عميقة:

- المهن الخطيرة لا يقوم بها إلا من لا مهنة لهم.

تدخل عاصم مفسراً:

- يدرك المهربون حجم خطر ملاحقة الأمن لهم، ولكن الدخل الذي يحققونه من التهريب يكفي لعيشهم ملوكاً، فأحياناً يجني المهرب في اليوم الواحد أكثر من عشرة آلاف دولار من هذا العمل.

اندهشت ندى، ثم سألت دياب في فضول:

- وهل تعرف مهربين هنا في دهب؟

افترت شفتاه عن ابتسامة خاطفة سرعان ما توارت ليعود لتجهمه المعتاد وهو يقول:

- المهربون معروفون لعشائرتهم وللأمن أيضاً، ولكن الوصول إليهم صعب، فالصحراء واسعة وتنقلاتهم كثيرة، ويعمل مع كل منهم 10 أدلاء أو أكثر، كل في نطاق قبيلته. ولكن انتهى ذلك العهد كما قلت، لقد أحكم الأمن قبضته حول جسر السلام ومعبر العوجة الذي كان يتم التهريب من خلاله للأراضي المحتلة فجفت منابع التهريب.

- والمستودع؟

- مدينة دهب لم تكن من بؤر التهريب الرئيسية لبُعدها عن الحدود مع الأراضي المحتلة، ولكن المستودع استُخدم أحياناً لإخفاء الزلطان حينما كان المهربون يستشعرون خطراً أمنياً.

صمت عاصم قليلاً ثم قال:

- إن كان المستودع معروفًا للجهات الأمنية ممّن سبقوني، فأستبعد أن يستعمله المجرمون مجددًا.

عقب عبدالكريم:

- ولكن هذا نشاط إجرامي مختلف، ربما لم يكونوا يعلمون عن سوابق المكان. وربما علموا وتوقعوا أن نستبعده كما قلت.

تنحّج دياب فانتبه له الحضور..

- في الحقيقة لقد رأيت سيارة أمام باب المستودع منذ يومين.

تبادل الضابطان النظرات، ثم هتف عاصم:

- لماذا لم تخبرنا؟

- أخبركم بماذا؟ أنني رأيت سيارة أمام مستودع مهجور؟!

- هل ميّزت السيارة؟

- سيارة بيك أب بيضاء..

- مثل التي كنت تقودها أنت أمس؟

هتفت ندى فقال دياب باقتضاب:

- تلك سيارة الحاج عرفة، أقضي له بها بعض الأمور.

وعقّب عاصم:

- ومثل سيارة أندريه، السيارات البيك أب البيضاء منتشرة هنا في

دهب. عبدالكريم، احصل على إذن النيابة، سنقوم بحملة مداومة على الفور.

أوماً عبدالكريم برأسه وهم دياب بالقيام قائلاً:

- حسناً، سأذهب أنا..

استوقفه عاصم قائلاً بنبرة ذات مغزى:

- ستظل معنا حتى نقوم بالمداهمة.

ثم مد يده..

- أعطني هاتفك المحمول.

ظهر الغضب على ملامح دياب واهتز شاربه الضخم، مرت لحظة ظنت ندى فيها أن الرجل سينفجر في عاصم إلا أنه امتثل لأمره أخيراً فأخرج هاتفه من جيب جلبابه الأبيض وناول له، بينما ساد الغرفة جو مشحون بالتوتر والترقب.

وقف عاصم وعبدالكريم بداخل المستودع ذي الرائحة النتنة الذي اقتحمته القوات الأمنية للتو، كانا يلهثان ويجعلان نظرها في المساحة الشاسعة الفارغة، التي أحالت شمس الظهيرة هواءها إلى سخونة فوهة بركان. لم يكن المكان فارغاً تماماً، إذ وجدوا فيه بقايا أطعمة معلبة، وآثار فضلات بشرية في الأركان فسّرت لهم سبب الرائحة. ظهر جلياً أن المستودع كان مأهولاً بعددٍ من البشر حتى مدة قريبة، وأنهم غادروا في سرعة تدل عليها الأغراض التي تناثرت في الأرجاء.

- لقد هرب المجرمون.

هتف عاصم وهو يركل زجاجة بلاستيكية كبيرة بقدمه في حنق، ثم رفع نظريه إلى دياب الذي وقف مستندًا إلى باب المستودع يتأمله بنظرة جامدة وكأنه تمثال. اقترب منه قائلًا في غضب:

- هناك مَنْ أبلغهم بالمداهمة.

- هاتفي معك..

قالها دياب ببساطة ألجمت عاصم، فحرك رأسه يمينًا ويسارًا يتأمل الصحراء من حوله في يأس، ثم ابتعد وتبادل بضع كلمات مع قائد القوة الأمنية، أصدر الرجل على أثرها أوامره للققوات بانتهاء عملية المداهمة، فتفرقوا في تراجٍ، بينما وقف عاصم يفكر في دلالة ما حدث.

عاد عاصم مع مساعده إلى القسم وقد تمكّن منهما الإنهاك فجلسا وجهًا إلى وجه، كلاً منهما شاردًا في أفكاره الخاصة. رن هاتف عاصم، وجد اسم ندى يضيء شاشته، أخبرها في خفوت بأنهم لم يجدوا شيئًا، ثم أنهى المكالمة.

كم يربكه وجود ندى بالجوار، والشد والجذب الحاصل بينهما، وسط قضية غامضة تحتاج لكامل تركيزه. لقد انفصل عن خطيبته السابقة ميهان رغم ضغوط والدته؛ لأنه آمن بأن الحب هو راحة وسكن وثقة متبادلة، وهي القيم التي وجدها لدى ندى واختارها من أجلها، ثم انتهت علاقتهما قبل أن تبدأ حينما اكتشف أنها لم تختلف

كثيراً عن ميهان. لقد ترك ندى عن اقتناع بعد ما فعلته، فما الذي تغير عند رؤيتها مجدداً في هذه البقعة النائية من البلاد؟ لماذا تجدد حنينه إليها؟ هل أخطأ في حكمه عليها؟ ولكن ما حدث لا يحتمل التأويل!

- سيادة المقدم.. ما رأيك؟

استفاق عاصم من شروده على سؤال عبدالكريم، واضطر أن يطلب منه إعادة ما قال.

- كنت أسألك عن المستودع.. هل تظن أن السيدات كن مختطفات فيه؟

فتح عاصم الصور التي التقطها بهاتفه للمستودع من الداخل وأخذ يتأملها ويكبر بعض المساحات فيها قائلاً:

- العناصر الموجودة في المشهد لها دلالات محيرة. عدد المعلبات الفارغة وكم الفضلات البشرية يشي بعدد كبير، لا ثلاث سيدات فقط.. وفي نفس الوقت لم تردنا بلاغات باختفاءات أخرى.

- ماذا سنفعل الآن؟

- ستتحرك في خطين متوازيين.. أولاً نبحث عن أماكن أخرى تصلح لإخفاء عدد كبير من البشر، فلا بد أن ساكني المستودع أيًا كانوا قد انتقلوا إلى مكان آخر، يجب أن نصل لنهاية ذلك الخيط.

- والخط الثاني؟

- البحث وراء السيدات المختفيات بعمق أكثر، علاقاتهن في
ذهب، وقبل ذهب، وأي صلة محتملة لهن بفايزة، وصفحاتهن على
مواقع التواصل الإلكتروني، واستعجل لنا سجل المكالمات أيضًا.

- سأفعل..

رن هاتف عاصم وكان المتصل هو الطبيب الشرعي، سأله عاصم
في لهفة:

- هل من جديد؟

- أردت أن أخبرك ببعض المستجدات لحين الانتهاء من الفحص
وإصدار التقرير الرسمي.

- هات ما عندك..

- بصمة فايزة موجودة على الحلي كلها.. ولكن الدلاية الذهبية
على شكل قوس وسهم عليها آثار دم بشري، وبصمة أخرى ربما تعود
لصاحبها.

- ماذا عن الخاتم؟

- بصمة فايزة وبصمات أخرى.. وكأن أكثر من يد قد تداولته،
واللافت للنظر أن ذلك ينطبق على السلسلة الذهبية ذات الصليب
أيضًا.. عليها بصمة فايزة وبصمات أخرى، منهم بصمة متطابقة مع
مثيلتها على الخاتم.. هناك يد واحدة تداولت الخاتم والسلسلة قبل
وقوعهما في يد فايزة.

- هل يمكن تحديد صاحب البصمة.

- البصمة واضحة ولكن ليس لها وجود في سجلات الشرطة.
سنأخذ بصمات المشتبه بهم ونقارنها بها ولكن ذلك سيستغرق وقتًا
بالطبع كما تعلم.

شكر عاصم الطبيب وأنهى المكالمة وهو يفكر بصوتٍ عالٍ:

- رابط آخر بين قطع الحلي وبين النسوة بالإضافة لفائزة. القضية
تتعقد بدلاً من أن تتجه إلى الحل!

- ربما هناك مَنْ سرق هذه الحلي في مواقف مختلفة ثم سلمها
لفائزة كي تبيعها، ولقاؤهما الأخير كان على حافة الجبل حيث سلّمها
سلسلة إيما ثم دفعها ليتخلص منها.

اقترح عبدالكريم، ولكن عاصم رفض هذه الفرضية قائلاً:

- إن كان سارقاً، فلماذا سيضحى بالمسروقات ويتركها مع فائزة
بعد قتلها؟ وإن كان قد سلمها لفائزة كي تصرفها له، فلماذا احتفظت
بها فائزة؟ وفي أماكن مختلفة في غرفتها.. لا، يجب أن يكون هناك
تفسير آخر.

في النَّزْلِ

افترق ضابطا المباحث دون أن تفترق أفكارهما الدائرة حول القضية التي ما انفكت تزداد غموضًا.

عرج عاصم قبل الصعود إلى غرفته على ساحة النَّزْلِ وانضم للجالسين بها. خبرته كضابط مباحث علّمته أن يتواجد وسط الناس، فالحقيقة التي يبحث عنها موجودة دومًا لديهم، كل ما يستلزمه الكشف عنها أن يتواجد في المكان والزمان المناسبين لتلقفها. وعلى مدار سنوات تدرّبت أذناه على سماع ما لا يسمع الآخرون، وعينه على رؤية ما لا يرون، وقلبه على أن يبصر ما لا يدركون. فعلى سبيل المثال، يتناهى للرائي أن جلسة الليلة مثل كل جلسة، والأحداث الدائرة هي نفسها، ولكن عاصم أحس بوجود رياح مختلفة. جلس وشبك أصابعه أمام صدره وأجال بنظره حوله لدقائق، ثم أغمض عينيه حتى ظنوه قد وقع في النوم، بينما عقله يعمل كالرادار يحاول التقاط أي نغمة شاذة.

فتح عينيه فجأة وسمرهما على د. سعيد الذي جلس يقرأ في هدوء كعادته كل ليلة، لكن ياقة قميصه كانت مجمدة على غير العادة، هل

يشغل باله أمر ما؟ أرخى عاصم جفنيه ثانية وراقب الطيب، فوجد أنه لا يقلب صفحات الكتاب، عيناه مثبتتان عليه دون أن يقرأ. عجيب!
- مساء الخير..

أخرجت تحية ندى الرقيقة عاصم من أفكاره، رأى القلق محفورًا على ملامحها، وكره نفسه لعجزه عن التحرك للأمام ولو خطوة واحدة نحو العثور على صديقتها.. توجهت نحوه من فورها وجلست على المقعد بجواره وسألته بصوتٍ منخفض:

- ماذا لو كان المجرم يختارهن عشوائيًا؟ ولا رابط بينهن سوى الفرصة، توافرت له الفرصة لخطفهن ففعل.

افترت شفتاه عن ابتسامة مرهقة وهو يجاريها قائلاً:

- إن كان الأمر كذلك فسيصعب علينا الأمر كثيرًا، ولكنني لا أظنه اختيارًا عشوائيًا، فهناك العشرات من الفرص الأسهل والأقل عناء، كثير من الفتيات والسيدات يعدن وحدهن إلى مساكنهن ناحية الجبل في جنح الظلام.. وهناك الكثير منهن لن يفتقدن أحد، فلماذا اختار روز التي يعرفها الجميع، أو دكتورة دلال الأستاذة الجامعية المرموقة، أو إيما السائحة التي لها صديقة تلازمها وجواز سفر أجنبي يعقد الأمور؟

صمتت ندى لحظة ثم عادت تقول:

- أتعلم؟ ربما الرابط بينهن مكان، ما رأيك؟ هنا.. هذا المكان..

- ركن أندريه؟!

- أجل، ألا يصلح رابطاً؟ روز كانت مقيمة هنا، وكذلك دكتورة دلال أقامت هنا قبل اختفائها، وإيما كانت تتردد عليه، وفائزة كانت تعمل فيه لفترة من حياتها.

- نحن نعتبر بالفعل الرجال المترددين على النُّزل على رأس قائمة المشتبه بهم.

اختلست ندى النظرات نحو سفيتلانا، ثم قالت:

- وسفيتلانا؟ إنها سيدة ولكن جسدها قوي ولديها عضلات واضحة، ثم إن لها صلة مع النسوة المختفيات مثلها مثل الآخرين، هي وكاترينا وأندريه وعمال النُّزل.. لن نستثني أحداً.

قالتها وهي تُجيل بصرها في الموجودين فحياها حمادة بيده مبتسماً، فهمست لعاصم فجأة:

- انتظر! إيما وصفت لي الأستاذ حمادة بأنه شخص سايكوباتي.

- ماذا؟ متى حدث ذلك؟

- قبل أن تختفي بيوم أو يومين لا أتذكر تحديداً.

- لماذا وصفته بذلك؟

عضت ندى على شفتها..

- لم تخبرني، ولم أسألها، ظننتها تطلق الاتهامات جزافاً، فلقد اعتادت المبالغة في مشاعرها سلباً أو إيجاباً، مثلما أحبت أندريه وتعلقت بكلبته بعد سويغات من لقاءهما. آه ترى أين هي الآن؟!

نظقت ندى عبارتها الأخيرة برقة دغدغت دفاعات عاصم، نظر إليها، في عينيها المشمشيتين الصادقتين، وسأل نفسه إن كان هذا هو الوقت المناسب للتحدث معها عمّا ألمَّ بقلبه، ولكن قبل أن يحسم أمره اقترب منه أندريه سائلاً:

- هل من جديد؟

رد قائلاً:

- ليس بعد.. كيف حال كاترينا؟

- أصرّت على الذهاب إلى المطعم في موعدنا المعتاد. لم تعطِ نفسها فرصة لكي تحزن. أخاف عليها كثيرًا..

- ربما هذه طريقته في الحزن يا أندريه، أن تدفن نفسها في العمل، وبمعرفتي بها، أظن أن هذا أفضل.

في هذه اللحظة استرعى انتباه ندى دخول شاب مربع الجسد والوجه، عنده ميل واضح في ظهره، يرتدي جلبابًا كالح اللون، ويحمل على كتفه شوالاً ضخماً من البطاطس يقترب به في سرعة وكأنه ريشة. استأذن أندريه من عاصم وتبادل مع الشاب بضع إشارات صعد على أثرها السلالم الجانبية للنُّزُل بخفة.. لاحظ عاصم نظرات ندى التي تابعت الشاب فقال:

- ألم تري مرعي من قبل؟

- لا.. من هو؟

- شاب يتيم ربّاه أندريه، يعمل هنا أحياناً ومع كاترينا في المطعم أحياناً أخرى.

- هل هو أخرس؟

- يمكنه التفوه ببضع كلمات، ولكنه يفهم أفضل بالإشارة.

عاد الشاب أدراجه ومر من أمام ندى في طريقه إلى المدخل الرئيسي، لاحظت ندى الحول الطفيف في عينيه ونظراته غير المستقرة، همّت بالكلام ولكن عاصم سبقها:

- إنه خفيف العقل وبه بعض البله، إلا أن لديه قلب طفل ويطيع أندريه ككلب وفي.

- هذا النُّزُل مليء بالمفاجآت.

قالتها ندى فأمنت على كلامها سفيتلانا التي اقتربت منهم قائلة:

- هذا صحيح، ولكن البرنامج الترفيهي لفندقنا سيبهرك.. لماذا لا تسهرين لدينا مثل إيما؟ كانت تقضي وقتاً ممتعاً في الرقص مع النزلاء.

تذكرت ندى سهر إيما في الفندق الذي تعمل به سفيتلانا أكثر من مرة بعد أن تعرفت عليها في نُزُل أندريه. أخبرتها إيما عن إصرار سفيتلانا على دعوتها للسهر والشراب مجاناً في قاعة الرقص بالفندق. لم تبدُ سفيتلانا تلك السيدة الكريمة لندى، فما غرضها إذن من تلك الدعوات المجانية؟

شروود ندى جعل عاصم يتطوع بالرد عنها على سفيتلانا قائلاً:
- ندى لا تحب السهر.

استفاقت ندى من أفكارها على عبارته فهتفت:
- ماذا؟!

واندلع صوت بداخلها يقول: مَنْ يظن نفسه كي يجيب بالنيابة
عنك؟ أنتِ لستِ قاصراً، وهو ليس وصياً عليك.
نظرت نحو سفيتلانا بابتسامة مرتبكة قائلة:
- أحب أن أُلقي نظرة، هيّا بنا..

احمرّ وجه عاصم، ونظرت سفيتلانا في حرج إلى طبق حلوى
«الكريم بروليه» الذي لم تمسه، فانتهاز جاسر الفرصة قائلاً:
- سفيتلانا لم تُنه طبقها بعد، تعالي سأوصلكِ أنا ونسهر سوياً حتى
تلحق بنا.

أسقط في يد ندى ولم تدّر بماذا ترد، بينما أشاح عاصم بوجهه،
لقد حاول إنقاذها مرة فأبت، فلتتحمل نتيجة نزقها. ساد الصمت فجأة
بانتظار رد ندى..

- فلنؤجلها للغد ونذهب جميعاً.. ما رأيكم؟

جاءت هذه العبارة بمثابة طوق إنقاذ لندى، نظرت نحو قائلها
فوجدته شاباً هادئ المحيّا، كستنائي الشعر، جمعه في ذيل حصان
خلف رأسه، وعلى وجهه نظارة طبية كبيرة مذهبة الإطار أعطته مظهرًا

جاءًا تناقض مع الوشوم التي غطت أجزاء كبيرة من ذراعيه، ابتسم لها فردت له ابتسامته في امتنان. تذكّرت أنها رأته منذ يومين في محل الدراجات حينما سألوا على دراجة إيما، ولكنه تواري سريعًا عن الأنظار يومها. عزّفها بنفسه قائلًا:

- أنا زيكاس..

زيكاس! أخبرها عاصم بأنه كان من المقربين من روز، هذا يجعله إما صديق، وإما.. على رأس قائمة المشتبه بهم!

على عكس ليلتها السابقة، نامت ندى نومًا عميقًا بلا أحلام، واستيقظت بعد الفجر بقليل شاعرة بنشاط وصفاء ذهن. يجب أن تتحرك. عاصم لديه خيوط عدة للبحث خلفها، أما هي فلا تعرف منهن سوى إيما، وهي من يجب عليها تكريس الجهد لإيجادها.

صلت ندى صبحها وارتدت ملابسها سريعًا وبعد دقائق كانت واقفة على الجسر الخشبي في الممشى، ترنو إلى البحر في شرود متفكرة في خطواتها التالية. تناهى إلى سمعها نباح كلب فالتفت لتجد أندريه على مرمى البصر يتمشى ممسكًا برسن كلبته من فصيلة الراعي الألماني، الكلبة التي أحببتها إيما وأخذتها في عدة جولات قبل أن تختفي. توقف أندريه بجوارها ينظر للأفق بدوره، تمللت كلبته من الوقوف فأخذت تنبح وتتحرك في دوائر محاولة الفكاك من قبضة صاحبها. فكها أندريه من الرسن فانطلقت تجري فسألته ندى:

- أليس خطرًا أن تتركها؟

- خطر هنا في دهب؟ لا شيء من هذا..

ثم عضَّ شفته السفلى مستدرِّكًا:

- أقصد لم نعتد على الخطر في دهب، الكلاب محبوبة يرحب بها الجميع وتتحرك في أريحية بين أقدام المتجولين.

صمت لحظة، ثم أردف في حزن:

- ولكن بعد ما حدث ويحدث.. أعتقد أن دهب ستتغير في خلدنا إلى الأبد.

واسته ندى قائلة في رقة:

- أنا آسفة لخسارتك.

- وأنا أيضًا آسف لخسارتك.. أحيانًا أقول لنفسي إنهن ما زلن أحياء يُرزقن، وأن هذا كابوس سنستيقظ منه قريبًا.. ولكن..

- ولكن؟

- يبدو أن عليَّ اعتياد الأحزان، فروز لم تكن أول ابنة أفقدها..

جفلت ندى من عبارته، وتساءلت مَنْ عساها تكون الابنة الأولى؟!

الابنة الأولى

أثارت عبارة أندريه عن ابنته الأخرى فضول ندى وجعلت قرون الاستشعار لديها تنتصب، ولكنها لم تجرؤ على سؤاله عن التفاصيل، مخافة تقليب المواجه عليه، بيد أنه استرسل قائلاً:

- قبل أن آتي إلى مصر، كانت لديّ زوجة وابنة جميلة، ذهبنا في رحلة تخييم بالسيارة، وفي طريق العودة تعرضنا لعاصفة فانزلقت السيارة وارتطمت بجذع شجرة ضخمة. حينما أفقت بعد أسبوع وجدت نفسي في قسم العناية المركزة بالمستشفى وكانت خسارتي معلنة؛ فقدت زوجتي وابنتي معاً، فغرقت في شعور عارم بالفقد والذنب لم يسكته سوى الشراب. كدت ألقى حتفي أنا الآخر حينما وقعت من على الدرج ثملاً وقضيت ما يربو على ثلاثة أشهر في المستشفى تغلف جسدي الضمادات، وحينما تماثلت للشفاء أخيراً اقترح عليّ أخي أن أسافر، واختار لي ذهب. خططنا لرحلة مدتها شهر، ولكنني تعلق بسيناء، وجبال سانت كاترين الساحرة، لدينا في فرنسا جبال كثيرة ولكن جبال سيناء مختلفة، لها سمت خاص لم أستطع الفكاك منه، عاد أخي إلى فرنسا وبقيت أنا. طلبت منه تصفية

أعمالي في نيس واشتريت التُّزل وبقيت فيه. ألهمتني رفقة المتردين
على التُّزل عن أحزاني الخاصة.

- وكيف تزوجت كاترينا؟

- آه هذه قصة طريفة.. أتت كاترينا إلى مصر كي تتزوج شاباً
تعرفت عليه من الإنترنت. أغراها بالحب والحياة الأسرية السعيدة،
ولكن حينما وصلت اتضح لها أنه كان شركاً من نصاب يبحث عن
جنسية أوروبية وفرصة للسفر فحسب. وصلت إلى دهب كسيرة الفؤاد
تجر خلفها روزاليندا الصغيرة ذات السنوات السبع، وجعلتها الصدفة
تقيم لديّ في التُّزل، تعلّق قلبي بالطفلة، إذ كانت شديدة الشبه بابنتي
الراحلة لونا، هي أيضاً تعلقت بي، فقد افتقدت وجود أب في حياتها
منذ ميلادها.. وهكذا وضعت أحزاني على أحزان كاترينا وتزوجنا
وأصبحنا أسرة. كاترينا كانت شغوفة بالطبخ، فأنشأت مطعمها الصغير،
وبعد أعوام استطاعت أن تنتقل إلى المطعم الكبير في الجبل وأصبح
لدينا العديد من الأصدقاء.. كانت حياتنا سعيدة لولا ما حدث.

اغرورقت عيناه بالدموع مع عبارته الأخيرة، فأطرقت ندى في
صمت احتراماً لحزنه، ولكنها لم تستطع إيقاف عبارته من التردد في
رأسها:

«روزاليندا كانت شديدة الشبه بلونا ابنتي الراحلة».

نبحت نيس فانتبهت ندى من أفكارها ونظرت إلى أندريه الذي
التمعت الدموع في عينيه، فشعرت بالخجل من أفكارها. لم تجد ما

تقوله سوى عبارات المواساة المعتادة، اعتذرت إليه بعدها بارتباك وانطلقت عائدة إلى الفندق تعبت برأسها ألف فكرة.

لم تكن ندى تصل إلى بوابة الفندق الخارجية حتى رأت العضلات البرونزية اللامعة التي لا يمكن أن تخطئها عين. وقف جاسر بقميص رياضي بلا أكمام التصق بجسده محدداً عضلات بطنه السداسية. ما إن لمحها حتى اتجه نحوها قائلاً:

- ما هذا النشاط؟ أظن أن اليوم مناسب لحصة غطس جديدة، أنا متفرغ لك اليوم، فهل أنت جاهزة؟

لم تكن ندى قد خططت لاستئناف حصص الغطس منذ اختفاء صديقتها، ولكن نظرة جاسر لها والشمس المشرقة ورائحة البحر جعلوها تضعف، ثم هي تريد الهروب من التفكير في إيما وفي عاصم..

- حسناً.. عشر دقائق وسأكون جاهزة.

أمام الشاطئ في منطقة «اللايت هاوس» أعاد جاسر تعليمات الغطس سريعاً على ندى وهي تومئ برأسها في ملل حتى انتهى، ثم ساعدها في تثبيت القناع وأنبوب الأكسجين على ظهرها وقفزاً معاً في المياه.

شعرت ندى بالبرودة المفاجئة لمياه الصباح تلسع جسدها برغم بدلة الغطس السميك، ثم سرعان ما اعتادتها.. تنفست بانتظام من

خلال القناع، وعاد لها الإحساس الذي أحبتّه، الصمت والسكون، وصوت تنفسها الرتيب في الأنبوب، والذي يهدئ أفكارها وينظمها مع الشهيق والزفير. حركت رأسها يمينًا ويسارًا في بطءٍ بحثًا عن الأسماك، رأت أسماكًا صغيرة منها الفضّي ومنها الملون تروح وتجيء في دعة واطمئنان وكأنها غير موجودة. رأت هذه الأسماك في مرات غطسها السابقة واعتادت أشكالها، تبحث دومًا عن سمكة جديدة لم ترها من قبل، اكتشاف جديد يخلب لُبّها ويمدها بالدوبامين.. تدقق في الشعاب المرجانية علّها تلمح كائنًا متواريًا فتكشفه. حرّكت قدميها بالزعانف برفق لتصل إلى عمق أكبر. لهذا اختارت الغطس، إذ أرادت سبر أغوار الأعماق ورؤية آفاق جديدة من الجمال في كل مرة. فجأة شعرت بحركة غريبة، جفلت وارتبكت ونظرت وراءها.. رأت جاسر يسبح خلفها كالمعتاد، فدوره كمدرّب غطس أن يظل قريبًا حتى تحصل على شهادة الغطس ويكون بوسعها الغطس وحدها. في العادة لم تكن تشعر بوجوده هي وإيما، فماذا حدث اليوم؟ هل تتخيل؟ شعرت بشعور سيئ لم تدرك منبعه. توقفت للحظة لا تدري ماذا تفعل، ثم قررت تنحية شعورها غير المفهوم ذاك جانبًا، لن تدعه يفسد أسعد أوقاتها.. رفعت رأسها وضغطت بأصابعها على الجزء العلوي من القناع، ثم نفخت بشدة كما علمها جاسر كي تتخلص من المياه العالقة به، ثم ألصقت لسانها بسقف فمها وضغطت على الزر المخصص، فاندفعت دفقة هواء طردت المياه من الأنبوب، فشعرت بالراحة مجددًا.

انتظمت أنفاسها ففردت جسدها وانطلقت..

رأت جسمًا وردّيًا لامعًا يتراقص بين الشعاب، اقتربت وانتظرت في سكون، شعر الكائن البحري بالأمان فبدأ يخرج من مكسّنه. كان له شكل هلامي غريب جعلها تتسمّر أمامه. شعرت مجددًا بحركة خلفها، وربما لمسة! انتفضت ولفّت جسدها بحركة سريعة من قدميها أثارت رمال القاع حولها فاختفى الكائن البحري. وجدت جاسر خلفها يرفع ذراعيه إلى أعلى وقد اتسعت عيناه من خلف القناع في اندهاش. هل تتوهم؟ لاحظت التماعة غريبة في أعماق عينيه، أم هو انعكاس المياه؟

أسرعت ندى بالخروج إلى السطح فخلعت القناع عن وجهها وقد تسارعت أنفاسها. خرج جاسر خلفها يسألها:

- ماذا حدث؟ لماذا خرجت؟

صمتت.. هل كانت تتخيل؟! رمقها بعينين بريئتين متسائلتين بانتظار ردها، أجابته متلعثمة:

- ظننت الوقت انتهى.

نظر إلى ساعة معصمه وهو يهتف:

- ماذا؟ لم تمر سوى عشرين دقيقة.

- يبدو أنني مجهدة.

- سلامتك. دعيني أساعدك في خلع الأنبوب.

قالها برقة ودماثة، نظرت إليه في حيرة واستسلمت له وهو يساعدها في خلع عدة الغطس، ثم فجأة وجدت نفسها تدفعه بعيدًا، نظر إليها

في اندهاش وكأنها مجنونة. رمت عدة الغطس على الأرض ولم تأبه بالنظرات الفضولية من حولها. عادت إلى الفندق جريًا.

انتظر أندريه كاترينا في الساحة الخارجية للنزل كي تشرب معه قهوة الصباح كعادتها قبل ذهابها إلى المطعم. في قرارة نفسه كان يعلم أنها لن تأتي، ولكنه انتظر.. مرت خمس عشرة دقيقة على موعهما اليومي ولم تظهر كاترينا. صعد إليها وطرق باب غرفتها، لم يسمع ردًا ففتح الباب ودخل.. وجدها جالسة على الفراش منتصبه الظهر وقد انتفش شعرها القصير المصبوغ حول رأسها، وبزغت تحت عينيها الغائرتين وسادتان متفختان. لم تتبه لدخوله ولم تنظر إليه. ظلت عيناها شاخصتين نحو النافذة كأنها في صلاة صامته. اقترب منها وجلس بجوارها، وضع كفه على كتفها فجفلت منه. يدرك أن هناك شرخًا قد تصدع بينهما منذ اكتشفت ما خبأه عنها من أسرار تخص روز. استقبلت ما حدث وكأنه إعلان أنه كان الأقرب لابنتها منها، وأنها لم تكن الأم المثالية التي طالما تمنّت أن تكونها. رسائل كثيرة متشابكة وصلتها واستقرت في وجدانها، يعلم أندريه أنه سيدفع ثمنها وحده. عليه أن يعترف بذلك ويتعامل معه، ويتحلى بالصبر حتى تسمح له كاترينا بفك التشابك والدخول إلى حرمة مرة أخرى. فبعد حقيقة أن روز ربما ذهبت إلى الأبد، أصبح الخيط الذي يربطهما واهنًا جدًّا.. ومهددًا بالانقطاع! وهو لم يكن متأكدًا من قدرته على البقاء إلى جوار زوجته ودفع الثمن المطلوب لإحيائها، كان منهكًا بدوره.. وحزينًا.

توجّه نحو الباب ليرحل .

- أندريه ..

توقف والتفت إليها في أمل .

- نحتاج لعاملة في المطعم بدلاً من فايضة .

قالتها بصوتٍ أجش، ثم عادت تنظر نحو الفراغ، أو ما أندريه برأسه في يأس، ثم خرج وأغلق الباب من ورائه دونما تعقيب، وقد توقع صدها له وإغلاق أبواب قلبها وعقلها دونه . لكم ودّ لو تركت لنفسها العنان كي تغضب .. كي تحزن .. كي تنعى ما فقدته ..

لربما تحررت!

ما حدث مع عاصم

لم تأبه ندى للفراش الذي تبلّل وشعرها الذي يقطر ماءً على الوسادة حينما ارتمت عليه بلباس البحر باكية، وشعور شديد بالاختناق يكتنفها، والمشهد لا يكف عن التكرار في عقلها. هل حاول جاسر التحرش بها؟

أم هُيئَ لها!

كم تكره عبارة «ربما هُيئَ لك» التي ترددها عليها والدتها كلما اشتكت من تصرف غير مريح، أو نظرة غير مقبولة، حتى اعتادت أن الخطأ دومًا هو خطأها في التقدير، وأنها هي مَنْ تتخيل ما تشعر به من إساءة، سواء في الأماكن العامة أو وسائل المواصلات، أو حتى من بعض المقربين أو الزملاء. كم مرة تعرضت لتعدّد على جسدها بشكل أو بآخر، ثم كذّبت نفسها ووصمتها بالتهيئات والتوهم.. كم مرة سكّنت في مواقف لم يكن ينبغي لها أن تسكّنت عليها، تركتهم يتعدّون حدودهم ويؤذونها، ثم يهربون بفعلتهم الدنيئة دونما حساب، وربما بابتسامة فخر!

هل لمسها جاسر؟ أم هُيئَ لها؟ ظنت أنها كبرت وأصبحت في أمان من التعرض لمثل هذه المضايقات، خاصة وأنها لم تُعد تستخدم المواصلات العامة بعد تشاركها هي وشيرين في قيادة سيارة الأسرة. فوسائل المواصلات شكَّلت لها كابوسًا.. في كل مرة تحاول تأمين نفسها بالجلوس بجوار فتاة أو بجوار النافذة ما أمكن لها ذلك، ولا تخرج إلا بصحبة ملف كبير تضعه حاجزًا بينها وبين الجالس بجوارها، ثم تأتيها اللمسة من حيث لا تدري أو تحتسب.. مرة من الخلف، وأخرى أثناء ركوبها أو نزولها. تجفل وتنظر للفاعل فتجده ينظر لمكان آخر في براءة، فتتكس رأسها وتقول لنفسها: «لقد هُيئَ لك»..

لم يدر بها أحد على سماع صوتها وتصديقه.

والآن تشعر بغضب كبير يتأجج بداخلها تجاه جاسر الذي أيقظ فيها كل هذه الأحاسيس المظلمة. تذكَّرت نصيحة جدتها لها باستخدام دبوس الطرحة في «عَزَّ» مَنْ يتجرأ ويلمسها، ولكنها لم تستطع فعل ذلك. خافت.. اعتادت الصمت..

ماذا تفعل الآن؟ هل تذهب لجاسر وتواجهه وتفضحه وسط الجميع؟ ماذا إن كذَّبها - وهو المتوقع - واستشهد بآخرين؟ سيأخذون صفَّه ويقولون لم نَر منه شيئًا. وهو المعتاد. كيف سيرون منه شيئًا، هل سيتحرش بهم كرجال؟ أو هل سيتجرأ على امرأة مثل كاترينا أو سفيتلانا ذات العضلات؟ ثم تساءلت: مَنْ مِنَ الفتيات اللاتي قابلتهن تعرضن لمضايقات منه؟ وهل سكتن؟ فكرت في روز الجميلة التي

سمعت عنها ولم ترها، هل تحرش بها هي الأخرى؟ ثم اتسعت عينا ندى، ربما لم يقف الأمر عند التحرش! ربما كان هذا الخيط الذي يبحثون عنه.. أيكون جاسر هو الجاني؟ حاولت تصفية أفكارها، الفرصة والدافع والوسيلة.. هل ينطبقون على جاسر؟ هل يحتاج المتحرش لنمط؟ التحرش ليس وليد رغبة جنسية بقدر ما هو وليد رغبة في الإيذاء وإثبات القوة، والمتحرش مثل الكلب الذي يشم رائحة الخوف والخرس لدى ضحاياه فيختارهن. الاختيار سيبدو للرائي عشوائيًا مكتبة سر من قرأ وبلا نمط ظاهر.

أرادت أن تشارك عاصم في أفكارها، أن تحتمي به، ولكن كيف تأمن جانبه ثانية؟ أنسيت ما فعله بها؟ وكيف جذبها معه إلى الذرى ثم رمى بها إلى الثرى!

كان ذلك بعد أن كشفًا معًا غموض قضية نجية والثلاث جثث.. نما تقارب دافئ بينهما وكانت توقن أكثر عقب كل لقاء أنهما خلقا لبعضهما البعض، مستوى التفاهم والتناغم والسكينة بينهما كان استثنائيًا.. وسرعان ما طلب منها زيارتهم في البيت والتعرف على أسرتهما..

وقفت ندى أمام المرأة تستعد لزيارة عاصم المرتقبة، مستسلمة لأنامل شيرين وهي تضع لها ظلال الجفون، ثم لم تلبث أن جفلت عندما رأت أداة ثني الأهداب بين يديها. كانت ندى تخشاها وتعتبرها من أدوات التعذيب في معتقل جوانتانامو، ولكن شيرين أصرت على

استخدامها للضغط على أهدابها لشيها إلى الخارج وإلى أعلى عدة مرات قبل الخطوة الأخيرة وهي وضع طبقات «الماسكارا». أتمت شيرين زينة أختها ونظرت إلى وجهها، ثم طبعت على جبينها قبلة، وابتعدت قليلاً للوراء تتأملها. قرأت ندى عيني أختها فقالت:

- هاتي ما عندك..

ابتسمت شيرين في ارتباك قائلة:

- لم أرد إفساد فرحتك.. ولكن يبدو أنني لا أحسن إخفاء الأمور.

- حسناً؟

- لماذا سيزورنا عاصم وحده دون أسرته؟

ارتبكت ندى بدورها وهي تجيبها:

- سيتعرّف على ماما وخالي أولاً.

نظرت شيرين في عينيها فأشاحت ندى بوجهها، ثم عادت فنظرت إليها قائلة بنبرة حانقة:

- أنتِ كثيرة الشكوك، وأنا لست مثلك ولا أريد أن أكون مثلك.

اغتصبت شيرين ابتسامة باهتة ووضعت كفها على كتف أختها مهدئة، فدفعت ندى يدها بعيداً ونظرت في ساعتها، ثم أمسكت هاتفها وضغطت على زر الاتصال بعاصم. أرادت أن تُسكت صوت شيرين الذي تردد بداخلها.. أرادت أن تطمئن.

أجابها صوت أنثوي رفيع، ظنَّ أنها أخطأت الرقم، نظرت إلى الشاشة فوجدت اسم عاصم واضحاً عليها بلا لبس، سألت بنبرة مرتعشة:

- عاصم؟

- أنا والدته.. ماذا تريد مني يا ندى؟

شعرت بغصة، ماذا تريد؟! كيف يمكنها أن تجيب عن سؤال كهذا؟ أعتفتها والدته من الرد بقولها:

- عاصم يحب ميهان وسيعود إليها.

لاحظت شيرين امتقاع وجه أختها، فاقتربت منها لتسمع ما يدور، بينما أكملت السيدة شهيرة كلامها قائلة:

- ابتعدي عن عاصم يا ندى، أنا أنصحكِ نصيحة مخلصـة.. مظهركِ المتحفظ ومستواكِ الاجتماعي العادي لا يتناسبان معه، الرجل يتزوج ليتنقل في السلم الاجتماعي إلى أعلى، أما أنتِ فستجريـنه للأسفل.. هل هذا ما تريد مني؟

أشارت شيرين لندى في غضب كي تخرج عن صمتها وتواجه السيدة، فأجابت بنبرة مكتومة:

- عاصم وأنا متحابان..

اندلعت ضحكة ساخرة عبر الهاتف قبل أن تردف السيدة شهيرة:

- يا لك من ساذجة! عاصم يحب ميهان ويتفقان الآن على تفاصيل الزواج.. لا تصدقيني؟ سأرسل لك صورة من المحادثة بينهما كي تتأكدي أنك لم تكوني في حياته سوى نزوة! عاصم لا يعلم ماذا يريد، انجذب لبراءتك وقلة خبرتك، ولكنه انجذاب مؤقت سرعان ما سيتلاشى، أما أنا فأعلم ما يريد، يريد امرأة جميلة تدير رءوس الرجال، من عائلة تفتح له أبواب النجاح.. أين ترين نفسك من هذه الصفات؟

لم تجبها ندى فعقبت بنبرة بدا فيها الازدراء واضحًا:

- هذا صحيح.. أنتِ غير موجودة في المعادلة من الأساس.. إن كنتِ تحبين عاصم فابتعدي عنه، من أجل مستقبله، ومن أجلكِ أنتِ أيضًا.. فأنتِ فتاة طيبة تستحقين رجلًا آآ.. يناسبك. لن أقول إلى اللقاء يا ندى.. بل وداعًا.

ثم أردفت بنبرة قاسية:

- لأنني لا أريد السماع عنك.. أو منك مرة أخرى.

وأنهت المكالمة.

ترقرقت عينا ندى بالدموع، وسال منهما خطان أسودان لطحًا وجنتيها المتوردتين. احتضنتها شيرين فبدأت في النهة. رنَّ الهاتف معلنًا وصول عدة رسائل متعاقبة، فتحتها ندى لتجدها صورًا مرسله من هاتف عاصم بها محادثة بينه وبين ميهان يتفقان

فيها على موعد الزفاف تمامًا كما قالت والدته. حاولت شیرين تخفيف الأمر قائلة:

- ربما هي محادثة قديمة بينهما.

- إنه يحدد معها تاريخًا للزواج بعد شهر من الآن.. المحادثة واضحة لا لبس فيها.. أنا المغفلة. ليتني استمعت إلى شكوكك.

لم تجد شیرين من الكلمات ما تواسي بها أختها فاكتفت باحتضانها. مرّت عدة دقائق قبل أن يرن هاتف ندى باسم عاصم. نظرت إلى شیرين التي ضغطت على زر الاستقبال ليأتيهما صوت عاصم قائلاً في حبور:

- سأتحرك في غضون عشر دقائق، أربعون دقيقة على الأكثر وأكون عندك.

- لا تأت.

أجابته ندى بصوتٍ أجش يبدو فيه أثر البكاء واضحًا.

- لماذا؟ هل أصابك مكروه؟

لم تتمالك شیرين نفسها فأجابت عوضًا عن ندى:

- أجل.. أنت! أنت المكروه الذي أصابها! كفاك تلاعبًا بأختي وعُد لخطيبتك التي اتفقت معها على الزفاف بعد شهر.

قالتها شیرين وأنهت المكالمة في غضب، حاول عاصم معاودة الاتصال فأرسلت له شیرين صورة من المحادثة التي أرسلتها أمه.

وصلت الصورة لعاصم، وظهرت بجوارها علامتا صح زرقاوين،
ثم.. اختفى عاصم ولم تسمع عنه ندى أو منه ثانية..

حتى التقيا هنا في دهب!

ضرر جانبي

جلس عاصم على كرسيه ذي المقعدة المتيسسة يفكر في المشتبه بهم، لم يستطع إبعاد صورة د. سعيد عن ذهنه، حدسه الأمني يخبره بأن هذا الرجل وراء ما وراءه، غير أن الحدس لا يكفي، يجب المضي قدماً في هذه القضية وفق القواعد، يجب تحديد الدافع والوسيلة قبل مد أصابع الاتهام. ففكر أن مهنة د. سعيد وصمته الدائم يتوافقان مع مسألة نقل الكلى التي طرحتها ندى نقلاً عن د. مراد، يجب أن يتحرى عن الرجل وعن ماضيه، فما الذي يجعل طبيباً مرموقاً وحاذقاً يترك القاهرة بكل مكاسبها المادية وقيم في مكانٍ ناءٍ؟ خاصة وهو لم يُبدِ ولعاً بذهب أو بأنشطتها. وهناك حمادة الذي وصفته إيما بالسيكوباتي، يستحق هو الآخر التحري الدقيق. سيكلف عبدالكريم بأن يبدأ بهما قبل الآخرين..

أخذ يذرع الغرفة متفكراً، ثم وقف أمام لوحة الضحايا، أراد أن يجدول الأحداث ليرتب أفكاره فكتب:

- الاثنين 6 أبريل: اختفاء روز

- الاثنين 18 مايو: اختفاء د. دلال

- الاثنين 7 يونيو: الإبلاغ عن اختفاء إيما

- الاثنين 7 يونيو: مقتل فائزة - اكتشاف جثتها الثلاثاء صباحًا.

دخل عبدالكريم الغرفة واقترب من اللوحة يقرأ ما كتبه عاصم ثم هتف:

- يوم الاثنين، كل الأحداث وقعت يوم الاثنين!

- لا بد أن لذلك اليوم دلالة لدى المجرم.

- ما الذي يميز يوم الاثنين إذن؟

فكر عاصم قليلًا، قبل أن يصحح فرضية عبدالكريم قائلاً:

- بل قل يوم الأحد، فالاختفاءات اكتُشفت يوم الاثنين، ولكن السيدات الثلاث لم يرهن أحد بعد مساء يوم الأحد.. فائزة فقط هي التي قُتلت يوم الاثنين.

- حسنًا.. ما الذي يميز يوم الأحد؟

- لديّ تصور جديد.

أعلن عاصم وعيناه معلقتان على اللوحة، ثم أردف:

- لقد طرحنا فرضية أن فائزة شريكة للمجرم وأنها كانت الطعم لجذب النساء، ثم اختلفت مع شريكها فأجهز عليها.

- أجل.

- ماذا لو كانت فائزة ضحية للمجرم أيضًا؟

- ولكنه ترك جثتها بخلاف الأخريات. نمط إجرامي مختلف.

- لأنها لم تكن هدفًا في ذاتها، وإنما ضرر جانبي. ماذا لو لم تكن فائزة شريكة للمجرم، بل كشفته وحاولت ابتزازه فاضطر لإسكاتها. قتل فائزة تم خارج المسار الأصلي للجاني.

- هذا الطرح يتماشى بالتأكيد مع مسرح الجريمة حيث وجدت جثة فائزة، كما تقول أنت؛ لقد كشفت المجرم وساوومه، فتقابلًا في مكانٍ غير مطروق واختلفا، فدفعها وتخلص منها.

- والآن كيف نُسكِّن ما وجدناه معها من حلي في هذه الفرضية؟

- امم.. دفعها لها المجرم كطعم كي تسكت.

- لقد وجدنا قطعة في يدها وقطعتين في منزلها، فهل يعني ذلك أنها كانت تساومه منذ فترة؟

- ربما..

- إذن لماذا قتلها الآن؟

- ربما طمعت وازدادت طلباتها.

هزَّ عاصم رأسه غير مقتنع، ثم تنهد قائلاً:

- هناك أمر لا ينسجم مع هذه الفرضية، ولكنني لا أراه.

- هناك سؤال يجب أن نجيب عنه: هل نتعامل مع اختفاء السيدات الثلاث كجرائم خطف أم قتل؟

- أكره أن أقول ذلك، ولكنه في رأيي خطف تطور إلى قتل. لا يمكن أن يكنَّ أحياء حتى الآن.

- ولكننا لم نجد أي جثامين لهن.

- لقد أجاد القاتل إخفاءها فحسب، الصحراء هنا شاسعة، والجبال والبحر.. كلها أماكن مثالية لإخفاء الجثث بخلاف المدن، وأي تمشيط باستخدام الكلاب سيستغرق أيامًا وربما أسابيع.

- أقترح أن نبدأ التمشيط بالكلاب في المناطق القريبة.. لن نخسر شيئًا.

رَنَّ هاتف عاصم وأتاه صوت أندريه:

- عاصم، أنا قلق على ندى..

انتفض عاصم من على كرسيه:

- ندى.. ما لها؟

- يبدو أنها أصيبت بنوبة هلع أثناء الغطس.. رأيتها ترمي المعدات وتجري، ثم أخبرني جاسر بما جرى.

- حسنًا سأتواصل معها. شكرًا أندريه.

جلس عاصم على كرسيه ثانية وقد تسارعت أنفاسه، أخبر عبدالكريم بما قاله أندريه ثم عقَّب قائلاً:

- حينما قال إنه قلق عليها تصورت أنها.. أنها قد أصابها مكروه.

سأله عبدالكريم وهو يُشير إلى اللوحة في توتر:

- هل تظن أن المجرم سيفعلها من جديد؟

- طالما لم نقبض عليه سيظل ذلك الاحتمال قائمًا، خاصة أننا لم نعرف دافعه بعد.

ثم أشار إلى التواريخ التي كتبها مردفًا:

- لاحظ كيف تقلصت المدة بين القتلة الثانية والثالثة إلى ثلاثة أسابيع تقريبًا، بعد أن دامت شهرًا وأسبوعًا بين القتلتين الأولى والثانية.

- وتيرته تتسارع.. هل نطالب برفع التأمين في المدينة، خاصة على النساء؟

- لا أريد إثارة الذعر في البلدة الهادئة.. سأستعجل تقرير الطب الشرعي وسجلات الهاتف ربما تفضي بنا إلى شيء.

قالها وهو يتجه نحو طاولة مكتبه ويخرج خريطة ذهب من درجها ليفردها على سطح الطاولة قائلاً:

- وريثما تصل تلك التقارير، علينا البحث عن المكان الجديد الذي انتقل إليه مَنْ كانوا بالمستودع، لا يمكننا ترك هذا الخيط دون الوصول إلى نهايته.

تململ عبدالكريم في وقفته فسأله عاصم:

- ماذا؟

- ألن تتصل للاطمئنان على ندى؟

بدت الدهشة على عاصم، لم يتطرق الحديث بينهما إلى مسائل شخصية من قبل، عاد عاصم إلى كرسيه وقذف بعلكة نيكوتين في فمه مضغها في صمت، بينما ظل سؤال عبدالكريم معلقاً.. وجد رؤوسه ينظر إليه في انتظار الإجابة، فقال باقتضاب:

- إنها علاقة معقدة..

- أشعر بالجو مشحوناً بينكما وأنا محشور في المنتصف.

- ياله من وصف!

شعر عبدالكريم بالحرَج فقال:

- آسف إن تطفلت على حياتك الخاصة.

ساد صمت مريبك للحظات حتى ظن عبدالكريم أن عاصم سيطلب منه المغادرة، إلا أنه فوجئ منه بزفرة عميقة قال بعدها:

- لا عليك.. يبدو أنني أحتاج للحكي.. لقد التقيتُ بندي في قضية سابقة، كنت حينها خاطباً لفتاة اسمها ميهان؛ امرأة يدير سحرها أعنى رؤوس الرجال، ومن أسرة ذات نفوذ قوي في المجتمع. لم تكن لدي صورة ذهنية واضحة للفتاة التي ستكون زوجتي، وأقنعتني أُمي أن الزواج يعني الارتقاء في السلم الاجتماعي، واختارت لي ميهان.. لا أخفيك قولاً، أسكرني الشعور بالقوة والهيمنة حينما كنت أتأبط ذراعها وأمشي معها وسط الناس فأرى نظرات الانبهار والحسد في العيون.

- ثم التقيت بندى؟

- لقائي بها أربك مشاعري. انجذبتُ إلى براءتها ورقتها وجمالها الطبيعي الخالي من المحسنات البديعية المصطنعة. الكلام معها كان يُشعرني بالراحة والبراح، لم تتحايَل عليّ ولم يكن هناك أي شيء بشأنها يبعث على الحذر، على عكس ميهان التي كنت أشعر معها بالتلون والملاوعة وكأني على صفيح ساخن. حينها.. عرفت ماذا أريد في الفتاة التي ستكون فتاتي.. واختار قلبي ندى.

- وأنهيت خطبتك بميهان؟

- فسختُ الخطبة حينما جعلتها الغيرة والرغبة في الانتقام تؤذيني في عملي، ولكنني سرعان ما رضخت لضغوط والدتي ووالدها وأعدت خاتم الخطبة إلي إصبعي، فكان وكأنه قيد من شوك. ثم انتهت قضية نجية وأثبتتُ جدارتي بالقبض على القاتل وظننت حينها واهماً أنه يمكنني الاختيار، خلعتُ خاتم الخطبة وطلبت من والدتي إبلاغ أسرة ميهان بانتهاء علاقتنا، وتقربت من ندى حتى أتى اليوم الذي طلبت فيه تحديد موعد لزيارة أسرتها.

- ها؟

- وفي اليوم الموعد.. أوصلتها إلى منزلها وعدت لكي أستعد.. وقبل أقل من ساعة من الموعد وجدت ندى ترسل لي صوراً من هاتفها بها محادثة خاصة بيني وبين ميهان نتفق فيها على موعد الزفاف.

- محادثة مفبركة؟

- لا.. المحادثة حقيقية، ولكن الصدمة كانت كيف حصلت ندى عليها؟

- لا أفهم! ألم تكن قطعت صلتك بميهان وقتها؟

- كما أخبرتك، طلبتُ من والدتي إنهاء الخطبة فأقنعني بالصبر ومجارة ميهان في خطط الزواج حتى تمر حركة التنقلات بسلام خوفاً من بطش أبيها، وفي المقابل وعدتني أُمي بأنها ستنتهي الخطبة بطريقتها الخاصة دون ضرر أو ضرار في خلال أسبوعين على الأكثر.

- وماذا فعلت؟

- اضطررتُ لتنفيذ خطتها درءاً للضرر.

بدا الاستنكار في عيني عبدالكريم وهو يتساءل:

- واعدت الفتاتين في آنٍ واحد؟

- حينما تصيغها هكذا تجعلني أبدو كوغدا!

- عفواً يا سيادة المقدم.

- لا عليك.. يبدو أنني كنت وغدًا بالفعل.. ولكنني قلتُ لنفسِي وقتها إن أسبوعين ليسا بالأمر الجلل.

- وماذا فعلت مع ندى حينها؟

- صُدمتُ فيها.. لم أصدق أن الفتاة التي اخترتها لصراحتها والثقة التي نمت بيننا، تراقب هاتفي وتختلس منه المحادثات. اكتشفتُ أنها

لا تختلف كثيراً عن ميهان وعن تصرفات والدتي مع والدي. كرهتُ حياة الشك والمراقبة والتجسس التي نشأتُ عليها في بيتنا وظننت أنني سأحظى بحياة مختلفة مع الفتاة التي وثقتُ فيها وسلمتها قلبي فوجدتني أقع في تلك الحياة ثانية وأدركتُ أنه لا فكاك، وكأنني أجتذب لنفسني تلك الأنواع من النساء.

- هل واجهتها بذلك؟

- وما فائدة المواجهة؟ أمي كانت على حق، اختياري لندي جاء متسرّعاً، انجذاب مؤقت لفتاة ظننتها مختلفة، نزوة أفقتُ بعدها على حقيقة أن النساء كلهن متشابهات، وأن التلاعب و«اللوع» جزء أساسي من شخصية المرأة أيّاً كانت.

- وعدت بعد ذلك لميهان؟

- لا.. رفضت ميهان فغضبت أمي وهددت بمقاطعتي، ولأول مرة أواجهها وأرفض اختيارها. أبلغتُ ميهان بفسخ الخطبة، وفي غضون أيام وجدت نفسي منقولاً إلى رفح كما توقعت أمي، والبقية أنت تعرفها.

- التقيت بندي هنا ثانية ونشأ بينكما ذلك التوتر غير المرئي.

أوماً عاصم برأسه فسأله عبدالكريم:

- وماذا تنوي أن تفعل؟

- لا شيء.

- ألن تحاول أن تفهم ما الذي جعلها تتصرف كذلك؟ ربما كان هناك تفسير ما.. إنكما تستحقان على الأقل خاتمة لائقة لما كان بينكما.

- ربما أنت على حق.. ولكن الوقت غير مناسب، نحن في خضم قضية صعبة، وهي في حالة قلق بسبب اختفاء صديقتها.

- بل هذا هو الوقت المناسب.. إنها وحيدة الآن، وإذا كانت تعرضت لنوبة هلع أثناء الغطس كما قال أندريه، فهذا يعني أنها وحيدة وخائفة!

في البازار

رن هاتف ندى باسم عاصم. كانت قد نامت دون أن تشعر وسط
دموعها وبلل لباس السباحة خاصتها. اعتدلت في الفراش ومسحت
وجهها بيدها ثم أجابته.

- ندى، هل أنت بخير؟

استغربت ندى لسؤاله، هل أخبره أحد أم خبره حدسه؟

- أنا بخير..

- أين أنت؟

- في غرفتي بالفندق.

- حمداً لله.. سمعت أنك تعرضت لنوبة هلع.

- ماذا؟!

- رآك أندريه ترمين عنك عدة الغطس، فسأل جاسر الذي أخبره

بما جرى.

الحيوان.. تمتعت ندى في غضب.

- ماذا قُلْتَ؟

- لا شيء. لم تكن نوبة هلع، فقدت اهتمامي فجأة بالغطس فخرجت.

- يفضل أن تقلصي أنشطتك قدر الإمكان.. حتى نوقف الجاني.
جعلتها كلمة «الجاني» ترتجف، أياكون هو جاسر؟ وكانت هي التالية على قائمته؟!

- هل من جديد في التحقيقات؟

- ليس بعد، لديّ بضع فرضيات أدرسها مع عبدالكريم.

- أريد أن أشارككم، هل آتي الآن؟

- سنغادر القسم بعد قليل، لدينا مهمة ميدانية..

تذكرت ندى ما عرفته صباحًا من أندريه، فقالت في لهفة:

- انتظر.. لديّ معلومات أريد مشاركتها معك..

همهم عاصم بكلمات لم تتبينها لشخص ما بجواره، ثم قال:

- حسنًا.. أمامنا عشر دقائق للتحرك، هاتي ما عندك..

- لماذا لم تخبرني بأن أندريه فقد ابنة له في الماضي؟

صمت عاصم للحظة، ثم سألها:

- ما علاقة ذلك بأي شيء؟

- ألسنا نبحث عن دافع؟ ألا تجد أن فقدان أندريه لابنة شديدة الشبه بـروز يجعله يبحث عن بديلة؟ على الأقل خيط يستحق أن نبحث خلفه.

ميّزت ندى الدهشة في صوت عاصم وهو يقول:

- شديدة الشبه بـروز! مَنْ أخبركِ بذلك؟

- أندريه.

- هكذا يراهما هو. ربما من شدة حبه لكل منهما، ولكنهما مختلفتين في الشكل. ألم تري صورة لونا لديه في الإطار الخزفي على مكتبه بداخل التُّرُل؟

احتارت ندى مَنْ تصدق، فحثها عاصم:

- حينما تذهبن للتُّرُل، انظري في الصورة.. ستجدينها على طاولة المكتب..

عزمت ندى على أن تفعل، تحب أن ترى بنفسها وتقرر، ولكنها قالت:

- لا بأس.. حتى لو كانتا مختلفتين في الشكل، حقيقة أن أندريه يراهما متشابهتين تحمل في طياتها علامة مقلقة.. ألا ترى ذلك؟

- أندريه ليس فوق المشتبه بهم، وسيتم التحقيق معه في الوقت المناسب، ولكن الآن لدينا مهمة كما أخبرتك.

شعرت بالاستعجال في صوته فقالت:

- هناك نقطة أخرى مهمة تحتاج إلى تفسير.. في حالة روز ودكتورة دلال، حرص المجرم على أن يوحى للجميع بأنهما اختفتا

بمحض إرادتهما ولم يصبهما مكروه، مثل الرسالة التي أرسلها من هاتف دكتورة دلال، والنقود التي تركها لأندريه بالغرفة، وأغراض روز الشخصية التي اختفت، وذلك أجل اكتشاف اختفائهما كثيرًا.. أما في حالة إيما فلم يفعل ذلك.. لماذا؟

أجابها عاصم باهتمام:

- نقطة جيدة تأخذنا لأحد احتمالين: إما أن الفرصة لم تواته بسبب وجودك.. وإما أنه لم يهتم.. إذا تتبعنا الاحتمال الأول فهو يوحي بأن نُزّل أندريه هو مساحة راحة المجرم، يتحرك فيه بأريحية ولا يُعد وجوده فيه غريبًا أو منتقدًا.

- وذلك منطقي، كل السيدات اللاتي اختفين ارتبطن بنُزّل أندريه بشكلٍ أو بآخر..

تجاهل عاصم النبوة التي قالت بها ندى عبارتها الأخيرة قائلاً:

- أما إذا تتبعنا الاحتمال الثاني فذلك يعني..

توقف لحظة، ثم أكمل بنبرة قلق:

- يعني أن الجاني يتسارع ويفقد حذره.. وأن هناك أخريات على قائمته.

ارتجفت ندى من عبارته متسائلة إن كانت هي التالية.

- يجب أن أذهب، أراك مساءً في ركن أندريه.

- حسنًا..

- ندى .. احترسي لنفسك .

شعرت ندى باختلاف نبرة عاصم في عبارته الأخيرة، هل اكتسبت
دفعًا وعمقًا؟

أم هُيئَ لها؟

تبًّا للتهيئات ..

اغتسلت ندى وشعرت بالانتعاش بعد مكالمة عاصم .. وجدت
الساعة تقترب من الثالثة فصلتَ فرضها، ثم دهنت طبقتين من وافي
الشمس اتقاءً لشمس منتصف اليوم اللاهبة، واعتمرت قبعته القشبية
وخرجت ..

قبل أن تختفي إيما، فضلت الفتاتان ممارسة أنشطتهما في الصباح
الباكر ومن بعد غروب الشمس، أما وقت الظهيرة والعصر فكان من
نصيب غرفة الفندق في الجو البارد لأجهزة التكييف، ولكن اليوم لدى
ندى العديد من الأعمال على جدولها .. أولهم: زيكاس!

انطلقت عبر الممشى حتى وصلت إلى بازار على شكل مركب
خشبي قديم. دخلت من الباب فأصدرت الأصداف المعلقة فوقه
خشخشة ذات رنين محجب .. أشعرها الدخول بالانتقال فجأة في
الزمن بضعة عقود إلى الوراء. وجدت نفسها محاطة بمصنوعات
يدوية نحاسية وخشبية وجلدية شديدة الدقة والجمال، وتدلّت
من السقف مصابيح زجاجية ملونة أضاءت المكان بألوان وظلال

مختلفة. لفت نظرها النظام الشديد لرص المنتجات بحسب الحجم والصنف واللون، خاصة العرائس الروسية الخشبية الملونة التي تراصت متجاورة في انتظام بديع. انتبه زيكاس لدخول ندى فرحب بها ودعاها لجولة في البازار، تتبعت خطواته في حذر مخافة الارتطام بأيٍّ من المنمنمات الخشبية والخزفية التي امتلأ بها المكان. شرح لها في سرعة محتويات البازار المختلفة ثم سألها:

- عمّ تبحثين؟ هدايا لصديقاتك بالقاهرة؟ أرشح لكِ مرايا الجيب المزخرفة يدويًا. هدية مميزة لا تستغني عنها أي فتاة.

لاحظت ندى المرايا التي رصّعت جدران وأرفف البازار من حولها بكل الأشكال والأحجام، فانعكست من عليها الأضواء، لتساهم في ترسيخ حالة النوستالجيا التي خلقتها الأجواء بالداخل، إلا أنها هزت رأسها يمينًا ويسارًا قائلة:

- أشكرك، ولكنني لم آتِ من أجل الهدايا.

أشار لباب جانبي رسم عليه تنين أسود كبير وسألها وهو يرمقها بشك:

- هل تريدين وشمًا؟

- لا لا.. لا أريد وشمًا.. في الحقيقة، أتيت للتحدث معك.. عن روز.

ظهرت مسحة من الألم على ملامح زيكاس.

- لا أريد أن أضايقك، ولكن كما تعلم اختفت صديقتي و..

لم تجد ندى كلمات مناسبة تُكمل بها عبارتها، إلا أن زيكاس أعفاها من الكلام قائلاً:

- لا بأس.. تفضلي.

قالها وهو يزيح بيده ستاراً مجدولاً من الخرز، ويشير إلى جلسة صغيرة وراءه:

- هنا سستمع بالخصوصية المطلوبة لمثل هذا الحديث.

هل سمعت رنة سخرية في صوته؟ رمقت المقعدين الراحين تحت إضاءة حمراء في توجس.

- لا تخافي!

قالها وهو يتسم ابتسامة عريضة جامدة ذكرتها بابتسامة الجوكر.. تجهمت وهي تقول:

- لستُ خائفة.

وأتبع قولها بالدخول وراءه والجلوس على أحد المقعدين. انغلق الستار الخرزى من ورائهما بصوت منغم وكأنه آلة «كلارينيت» موسيقية فعزلهما عن باقي المكان. سألته ندى:

- ألن يفتقدك زبائنك؟

- لا أحد يأتي في هذا الوقت من اليوم، وإن أتى أحدهم ستنهني الأصداف على الباب.

- آه الأصداف..

تمتت ندى. سألتها:

- حسنًا.. من أين سنبدأ؟

- احكِ لي عن روز.. هل كنتما صديقين؟

- أجل.. كنّا مقربين كثيرًا..

- تتكلم عنها بصيغة الماضي!

- منذ اليوم الأول الذي علمتُ فيه باختفائها وأنا أعرف أن مكروهاً أصابها، لم تكن لترحل دون أن تودعني، ولم تكن لترحل وتنقطع عني كلية بهذا الشكل دون اتصال واحد أو حتى رسالة.

- ألم تحاول حث الشرطة على البحث عنها؟

- أشفقت على أندريه وكاترينا من مواجهة الحقيقة، برغم كونها واضحة كالشمس إلا أنني أدركت رغبتهما في إنكارها والتشبث بحبل الأمل الواهي. لا يستطيع أحد مواجهة مثل هذه الحقيقة بسهولة.

- حسنًا، أخبرني كيف كانت؟

- كانت محبة للحياة واللهو والمرح.

- اللهو؟

أرادت ندى أن تسأله عن علاقة روز مع الجنس الآخر، ولكنها لم تجد صيغة للسؤال لا تكون مسيئة للفتاة، فكفأها زيكاس ذلك بقوله:

- لهوبريء. روز كانت عذراء ولطالما افتخرت بذلك. أحاط بها العديد من الشباب خاصة من نزلاء ركن أندريه، يتغيرون كل موسم. تصاحبهم وتهزر معهم، ثم تضع حدودًا صارمة لمن يحاول التجاوز معها.

- وأنت؟

- كنت صديقًا مخلصًا لها..

اختلجت نبرة صوته.

- هل أحببتها؟

- الحب خارج صلاحياتي.. أنا أعمل هنا كي أوفر مصروفات دراستي الجامعية.

- ولكن هل أحببتها؟

اغتصب ابتسامة وسرحت عيناه وهو يتمتم:

- ومن لا يحب روز؟!

ثم استدرك قائلاً:

- ولكنني لم أبح لها بحبي. خفت أن يضع اعترافي حاجزًا بيننا وفضّلت الاحتفاظ بها كصديقة على أن أفقدها كحبيبة.

- كم عمرك؟

- 21 عامًا.. لماذا؟

- تتكلم كخبير في الحب والعلاقات.

أشار لعدة كتب مرصوفة على الإفريز العريض لكوة النافذة الدائرية قائلاً:

- أحب القراءة..

مرت ندى بعينها على عناوين الكتب التي كانت مرتبة ترتيباً دقيقاً حسب الحجم واللون وقرأت: سيكولوجية الجماهير - كيف حكم المرضى النفسيون العالم - الرجال من المريخ والنساء من الزهرة - علاقات خطيرة - نظرية الفستق - حكمة السيكوباتيين.

أمسكت الكتاب الأخير وقرأت على غلافه: دروس في الحياة من القديسين والجواسيس والسفاحين.

نظرت إلى زيكاس واعترتها رعشة مفاجئة.. جعل انعكاس الضوء على زجاج نظارته ذات الإطار الذهبي من الصعب عليها قراءة نظارته، ساد صمت ثقيل أرادت تبديده قبل أن يزداد الوضع غرابة فسألته:

- اسمك الحقيقي زيكاس؟

- زياد.. اسمي زياد.

اغتصبت ندى ابتسامة مجاملة وأعادت الكتاب إلى الرف، فأخرجه زيكاس من الموضع الذي وضعت فيه ندى وأعاد له مكانه الأول، ثم مر بأصابعه على كعوب الكتب، يدفع هذا بإصبعه ستيماً إلى الورا، ويسحب آخر مليمترًا إلى الأمام، حتى تأكد أنها كلها متحاذية قبل أن يلتفت إلى ندى، لاحظ ارتباكها فعلق قائلاً:

- عناوين غريبة؟ في الحقيقة أحب أن أقرأ في كل شيء. ولكن هذه هي المجموعة التي أحضرتها معي من زيارتي الأخيرة للقاهرة.

- هل كنت هنا حينما اختفت روز؟

- كنت في القاهرة أطمئن على والدتي التي أصابتها وعكة صحية مفاجئة استدعت سفري لها. حينما عدت وجدت أندريه يسألني عنها، أخبرته بأنني لا أعرف شيئاً، فغاب عدة أيام ثم عاد فأخبرني بأنها هربت.

- ألا يمكن أن تكون هربت بالفعل..

هزّ زيكاس رأسه يميناً ويساراً فاهتز شعره المعقود في ذيل حصان مع رأسه.

- لطالما حكّت لي عن أحلامها بالسفر إلى إيطاليا والحقاق بأسرة والدتها، ولكنها لم تكن قد حددت موعد السفر بعد، ولم تكن لتسافر دون أن تتواصل معي.

- سمعت أنها كانت مرتبطة بشاب أمريكي أتى لمدينة شرم الشيخ في زيارة..

- تقصدين جوناثان؟ لم يكن ارتباطاً بالمعنى الذي تفهمينه، كانت صداقة عادية، جوناثان مصور سينمائي، وظنت روز أنه قد يفتح لها أبواب الشاشة الفضية، أو على الأقل يمنحها جلسة تصوير خاصة تستخدم صورها في البحث عن عمل في مجال الفن وعرض الأزياء في إيطاليا.

- وهل التقيا؟

- هذا ما لا أعلمه. كان يفترض به زيارة شرم الشيخ في الفترة التي اختفت فيها، ولكن كما أخبرتك كنت منشغلاً بمرض والدتي، وحينما عدت وجدت روز قد اختفت.

- ما تفسيرك لاختفائها إذن؟

- حينما أفكر الآن لا أجد أمامي سوى.. سوى سفّاح ذهب. جفلت ندى.

- ماذا؟

- سفّاح ذهب الذي يقتل النساء. يجب أن تحترسي، ألم يقتل صديقتك؟ قد تكونين التالية!

امتقع وجه ندى فأشاح زيكاس بذراعه المليء بالوشوم قائلاً بنبرة اعتذار:

- لم أقصد إخافتك، ولكن ذهب كلها تتكلم عنه.

- لا تطلقوا عليه القاباً، إن كان دافعه الحصول على الشهرة والأضواء فأنتم تحققون له ذلك، ومن ثمّ تشجعونه على الاستمرار في القتل.

قالتها ندى بصوتٍ أجش، ثم أشارت إلى الكتب على كوة النافذة قائلة بنبرة ذات مغزى:

- ربما تعرف ذلك أفضل منّي بالنظر إلى قراءاتك.

نظر زيكاس في عينيها من خلف نظارته الطبية الكبيرة، فزحفت برودة مفاجئة إلى أطرافها إثر نظرتة، هل كانت تهديد؟ قامت من على الكرسي وفتحت بيديها الستار الخرزى لتخرج..

- انتظري!

ألح عليها شعور بالهرب ولكنها لم تُرد أن تظهر أمامه بمظهر الخائفة، فتوقفت ونظرت إليه من فوق كتفها.

- هل وجدتم دفتر روز الأحمر؟

ضيق ندى عينيها.

- ماذا تقصد؟

- روز احتفظت بدفتر ذي غلاف جلدي أحمر كتبت فيه مذكراتها. إن كانت هربت فلا بد أنها أخذته معها، أما إذا أصابها مكروه، فستجدونه مخبأ بإحكام في غرفتها.

- مخبأ؟!

- لم تكن تحب لأحد أن يطلع على أفكارها.

- حسناً.

- إذا وجدته هل تخبريني؟ أود أن أعرف ماذا كتبت عني، وأحب أن أقرأ كلماتها الأخيرة.. إن كان ذلك ممكناً.

أومأت له ندى وولت خارجة من الركن الداخلي إلى بهو البازار. فقدت المنمنمات سحرها في عينيها وحمل المكان بأسره طاقة باعثة

على التوتر. فتحت الباب فرنّت الأصداؑ؁ بدا صوتها مزعجاً وشاذاً.
خرجت إلى الشمس واعترتها راحة مفاجئة.

المداهمة الثانية

تكرر مشهد المداهمة ثانية.. ولكن هذه المرة، كُِّل بالنجاح!

أحاطت القوة الأمنية بالمخزن المتهالك الذي قادهم إليه عاصم،
وقد أوشكت الشمس على الغروب..

تمركز عدد من أفراد القوة المدججين بالسلاح على جانبي
المدخل، ثم تقدم أحدهم فكسر القفل الضخم على بابه بكعب
سلاحه، فاندفع عدد من أفراد القوة بستراتهم الواقية ووجوههم
المقنَّعة بالأسود إلى الداخل. سُمعت عدة صرخات خافتة ولكن
لم يُبدِ أي من الأفراد بالداخل مقاومة تذكر. استحثهم أفراد القوة
الأمنية للخروج بصيحاتهم الجهورية وإشاراتهم بالأسلحة فخرجوا
من المخزن في صف بائس مستسلمين مطأطيء رؤوسهم. لم يحتاج
الجمع للكثير من الضغط حتى يدلوا بأقوالهم التي فجَّرت رغم لغتهم
الإنجليزية الركيكة مفاجأة!

جلس د. سعيد على المقعد أمام طاولة المكتب في غرفة التحقيق واضعاً قدماً على الأخرى في غطرسة واضحة. أشاح بكفه وهو يقول في برود:

- أنت لا تفهم.. نحن ملائكة رحمة.

- حقاً؟! وكيف ذلك؟

سأله عاصم في تهكم تجاهله الطبيب مردفاً في جدية:

- نحن نساعد هؤلاء الأفارقة في الحصول على المبالغ المالية اللازمة ليتمكنوا من إتمام رحلتهم عبر الحدود. لولنا لعذبهم المهربون. ألا تعلم مصير مَنْ تنفذ أمواله ولا يستطيع ذووه إرسال المزيد؟ يتعرض أولئك للتعذيب الممنهج، ثم القتل.. بدم بارد.

- تنفذونهم بسرقة كلياتهم وتقول إنكم ملائكة؟

احتد د. سعيد قائلاً:

- لا أسمح لك! نحن لسنا لصوصاً. نحن أطباء محترمون نساعدهم في مقايضة كلياتهم بحياتهم. وذلك يتم برضاهم، بل ويترجوننا لفعل ذلك، ويتسابقون لوضع أسمائهم على اللائحة. كل منهم يعلم جيداً أن كُليته لن تساوي شيئاً لصاحبها إذا فقد حياته، ولكن يمكنه العيش بكُلية واحدة أعواماً مديدة في إسرائيل منعماً مكرماً.. أليس كذلك؟

عجز عاصم عن الرد على منطق الطبيب العقيم. لم يصدق أن هذا التشكيل العصابي استوطن في ربوع دهب الساحرة دون أن يدري، بل وتزعّمه الطبيب المحترم الذي كان يجالسه كل ليلة!

اعتدل عاصم في كرسيه ذي المقعدة اليابسة التي جرّفتها سنون جلوس من سبقوه عليها، وأخذ نفسًا عميقًا، ثم قال بهدوءٍ لا يعكس غضبه الداخلي:

- اسمع يا دكتور سعيد، قضية الكُلى ليست من اختصاصي، هناك جهات أخرى ستتولى التحقيق معك في ذلك.

قاطعته سعيد رافعًا حاجبه في تساؤل:

- إذن لماذا أنا هنا؟

- من أجل النسوة المختفيات.. هذه هي قضيتي.

- لا تقل إنك تقصد إيما ودكتورة دلال.. ما صلتني أنا بهما؟

سأل الطبيب في اندهاش بدا لعاصم حقيقياً ممّا أثار ريبته فأجابه:

- أعلم أنك نقلتھن إلى مكانٍ خاص بعد أن طرح الأستاذ حمادة فكرة نقل الأعضاء.

- ولماذا أنقلھن هن بالذات؟

- لأنك لا تريد أن يضاف الخطف إلى قائمة التهم الخاصة بك.

- هذا غير صحيح..

أكد الطبيب مردفًا بثقة:

- أنا لا أعرف أين هؤلاء النسوة، ولم أكن لأخطف أو أسرق كُلى كما تتهمني، فأنا طبيب محترم أساعد الناس كما أخبرتك؛ أنقذ حيوات من فشلت كُلياتهم، وأدخل السرور على قلوب ذويهم بمنح

أحبائهم بضع سنوات إضافية، وأمّول بالمقابل رحلات الحالمين بحياة أفضل.. كيف تكون هذه تهمتي؟!

- لن تخرج من هنا حتى تعترف..

- اسمع يا سيادة المقدم، أنا أحترمك كثيرًا وأحترم عملك، كما أود أن تحترم عملي، هاك نصيحتي: أنت تُضَيِّع وقتك هنا معي بينما المجرم الحقيقي حر طليق. حل قضيتك ليس عندي. لماذا أورط نفسي في خطف وإكراه بينما كما قلت لك يتسابق راغبو الهجرة غير الشرعية في التعاون معي ولديّ قائمة انتظار طويلة منهم؟ من خبرتي فلكل منّا جانب مظلم، وكل شخص هنا لديه ما يخفيه، ابحث وراء الآخرين ربما تجد خيطًا حقيقيًا ينفعك.

قال الطبيب عبارته الأخيرة ووقف بقامته الممشوقة أمام عاصم الذي حدّجه بنظرة طويلة، ثم زفر وأشار برأسه لأمين الشرطة الموكل لحراسته ليقنّاهه إلى خارج الغرفة لاستكمال التحقيقات في قضية الاتجار في الكُلى بواسطة الفريق المختص. سأله عبدالكريم في دهشة:

- هل ستركه يرحل؟

- ألا ترى أن كلامه منطقي؟ لماذا يرفع مخاطر جريمته بخطف السيدات، ثم يتكبد عناء نقلهن وإبقائهن في مكان منفصل؟ ولديه كما قال العشرات من المهاجرين غير الشرعيين الذين ينتظرون دورًا لبيع كُلياتهم وقبض الثمن!

أطرق عبدالكريم مفكرًا، ثم قال بتسليم:

- أنت محق، والآن ماذا؟

نظر عاصم في ساعته ثم أردف:

- سنعمل بنصيحة دكتور سعيد ونبحث خلف الآخرين.. هيّا بنا إلى التُّزل، لا بد وأن أخبار القبض على دكتور سعيد قد وصلتهم، دعنا نستمع للأحاديث الدائرة لعلنا نقع على معلومة مفيدة.

- خاصة وندى بانتظارك هناك..

قالها عبدالكريم بنبرة ذات مغزى جعلت عاصم يبتسم ابتسامة متعبة ولكنه لم يُعقّب، تنازعت عواطف عدة؛ الرضا بالقبض على د. سعيد وكشف تشكيكه العصابي، ثم الإحباط لأن ذلك الكشف لم يقربهم من الجاني في قضية النسوة المختفيات، مع القلق من كون المجرم لا يزال طليقًا، وأخيرًا.. مشاعره المرتبكة تجاه ندى ونصيحة عبدالكريم له بمواجهتها!

ركب الرجلان سيارة عاصم الحمراء وانطلقا نحو التُّزل، سأله عبدالكريم في فضول:

- كيف عرفت مكان ذلك المخزن؟ إنه مهجور وفي مكان غير مطروق.

- حدسي..

- ما الذي جعلك تتجه شمالًا في البحث وتركز على الطريق بين دهب وطابا؟

- قُلْتُ لَكَ حَدْسِي .

أجابه عاصم في اقتضاب، إلا أن الإجابة أججت فضول عبدالكريم
فخمن قائلاً:

- وردتك معلومة، أليس كذلك؟ لقد توجَّهت إلى المكان بدقة
مَنْ يعرفه مسبقًا.

ابتسم عاصم، فأكمل عبدالكريم قائلاً:

- إنه ذلك الاتصال الذي أجرите مع دياب، أليس كذلك؟

لم يُجبه عاصم، فهتف قائلاً في حق:

- ما وجه السرية لا أفهم؟ ألسنت زميلك وذراعك الأيمن؟ ألسنا
في هذا سويًا؟ ألا تثق بي؟

- ليست مسألة ثقة ولكن..

- ولكن ماذا؟

- حسنًا.. إنه دياب، ولكن إذا عرفت قبيلته أنه يتعاون مع الشرطة
سينبذونه.. أنت تعرف كيف هو الأمر هنا في عُرف قبائل عرب سيناء.

- ولكنه تعاون معك، كيف أجبرته على ذلك؟

- لم يكن إجبارًا.. لقد ساعدني طواعية.

- لماذا تثق به؟ أليس أحد المشتبه بهم؟ هو الذي وجد جثة فايذة
في مكان غير مطروق بالجبل، وهو الذي ضللنا في المداهمة الأولى.

اضطر عاصم للإفصاح عن القليل قائلًا:

- منذ عدة أشهر اتهمت إحدى السائحات دياب بالتحرش بها،
كان ينقلها بسيارته كما هو معتاد هنا في دهب، وما إن ترجّلت منها
حتى صرخت واتهمته بمحاولة تقبيلها.

- وهل فعل؟

- أنكر ذلك تمامًا، وقد بدت على ملامحه الصدمة والشعور
بالإهانة.. فمثل هذه التهمة هي بمثابة تحطيم لسمعته هنا.

- وأنت صدقته؟

- السائحة كانت ثملة وأقوالها غير متسقة، أخبرني حدسي بأنه
الطرف المظلوم فانتصرت له، على عكس المتوقع في مثل تلك
النزاعات التي تنتهي بالانتصار للأجنبي على حساب ابن البلد.

أوماً عبدالكريم برأسه في شرود ولم يُعقَّب، فمعلومة اتهام دياب
بالتحرش سابقًا كانت جديدة عليه، وتساءل في صمت إن كانت لها
دلالة مرتبطة بالقضية الراهنة، وإن كان ذلك هو السبب الحقيقي الذي
جعل دياب يكشف لعاصم عن مكان المخزن المهجور ويدله على
د. سعيد لصرف الأنظار عن نفسه وعن علاقته باختفاء النساء في
دهب. أثر عبدالكريم كتم شكوكه عن عاصم مؤقتًا، فحالة الإنهاك
التي هو فيها الآن، ولقاؤه المرتقب بندى، لا يجعلان الوقت الراهن
هو الأمثل لبثه شكوكه في الرجل الذي أهدها فتحًا جنائيًا هامًا بالقبض
على ذلك التشكيل العصابي الكبير.

وصلا إلى وجهتهما فأوقف عاصم السيارة في الشارع الرئيسي وترجّلا منها، اتجه عبدالكريم نحو أحد المحال القريبة لشراء مشروب غازي، بينما اتجه عاصم نحو المدخل الخلفي للنُّزل يفكر في كيف سيبدأ كلامه مع ندى، لم يُرد أن ينتهي اليوم دون أن يخبرها بحقيقة مشاعره. تسمّر عاصم في مكانه فجأة، رآه عبدالكريم وعيناه تتسعان وشفثاه تنفر جان قليلاً، ثم زم فمه وعقد حاجبيه واستدار نحو سيارته بخطى سريعة.. رآته ندى التي كانت تنتظره في ساحة النُّزل فهرولت وراءه تناديه:

- عاصم.. عاصم..

توقف عاصم ورمقها بنظرة جامدة فارتسمت الحيرة على وجهها وهي تخاطبه بنبرة مترددة:

- هل.. هل يمكن أن تُعيدني إلى الفندق؟

أشار عاصم إلى جاسر الواقف على مبعدة قائلاً في جفاء:

- اجعليه يصطحبك..

ثم.. ولدهشة عبدالكريم أردف قائلاً:

- لديّ عمل يجب أن أنهيه.

وركب سيارته وابتعد بسرعة جعلت عجلاؤها تصدر صريراً صمّ آذان الثلاثة الذين خلفهم وراءه.

على الدرب الأخير

نظرت ندى لعبدالكريم غير فاهمة ما حدث، فرفع كتفيه وخفضهما كناية عن عدم فهمه هو الآخر. احمرَّ وجهها وقد أحسَّت بالخرج، ثم تحول خرجها إلى غضب فاحتضنت حقيبتها وابتعدت تمد الخطي، بينما اقترب جاسر من عبدالكريم قائلاً:

- تتابها نوبات غريبة.. أحياناً تكون في منتهى اللطف ثم تنقلب فجأة دون مبرر.

رمقه عبدالكريم بنظرة استخفاف وهمَّ بالابتعاد، فأوقفه جاسر:

- ألم تقبضوا على السفاح بعد؟

- السفاح؟!!

أشاح جاسر بذراعه قائلاً:

- الجميع يتكلم.. أثق في براعتكما بالطبع ولكن يجب أن تسرعا..

قالها ثم نظر نحو ندى التي ابتعدت، وأردف في سخرية:

- فَمَنْ يَعْلَم مَن سَتَكُون الضحية القادمة؟!

رغبت ندى في الهروب بأسرع ما يمكن وهي تحمل كرامتها الجريحة..
أسرعت خطاها حتى كادت تهوّل وهي تحدث نفسها في حنق: أنا
المخطئة، ظننته يهتم لأمرى، كان يجب أن أتمسك بموقفي وأستمر في
صده بدلاً من منحه هو الفرصة كي يدير ظهره لى.. هذه فرصته كي يتقم
منّى ويصدني.. مَنْ يظن نفسه كي يخبرني في تعالٍ بأن أذهب مع جاسر
وكأنه يتخلص منّى، وكأنني مسئولة ثقيلة لا يطيقها فيرميها على كاهل أي
شخص آخر.. ثم جاسر ذلك الحقير، قالتها وهي تجز على أسنانها..

كيف تجرأ وأتاها من خلفها ومد كفيه يخبئ بهما عينيها كي يفاجئها..
مَنْ يظن نفسه هو الآخر؟ لو لم تكن رأت عاصم في تلك اللحظة وأرادت
للحاق به قبل أن يرحل لكانت صفعت جاسر على وجهه. قالتها ثم عضّت
على شفتها.. فهي تعرف أنها أجب من ذلك!

احتشدت الدموع في مقلتيها وشعرت بهوانها على الناس..
وجدت نفسها بجوار محل الدراجات فدخلت واستأجرت إحداها.
كانت في حاجة لبذل مجهود بدني كبير كي تصفي أفكارها بدلاً من
الانكباب على الفراش والبكاء حتى الصباح..
اعتلت الدراجة وانطلقت بها صوب الجبل.

أوقف عاصم سيارته على مقربة يفكر فيما جرى..

اختلج قلبه حينما رأى ندى على مرمى بصره تقطع الطريق على دراجة هوائية، أراد أن يتبعها.. أن يرافقها ويحميها.. ثم عاد فذكر نفسه بأنها لم تعد له ولا يصح أن يفرض عليها نفسه.. لقد أخطأ حينما تردد في مصارحتها حتى فاز بها جاسر.. تذكر ما لاحظته من اهتمام جاسر بها حينما أتت معه إلى القسم منذ يومين، واللفظ الزائد تجاهها في النزل، وساعات الغطس الطويلة.. قال لنفسه حينها في غرور إن الأمر لا يعدو محاولات فاشلة من جاسر للتقرب منها.. رفض أن يصدق أن الانسجام قد جمعهما، ولكن بعد التقارب الجسدي الذي رآه بينهما اليوم لن يستطيع أن يكذب عينيه. إن اختارت هي جاسر فعليه أن يحترم اختيارها وليهنأ أحدهما بالآخر. شعر بغصة في قلبه، ثم عادت إليه صورتها وهي تهوّل نحوه منذ دقائق تاركة جاسر خلفها لتطلب منه هو في براءة أن يعيدها إلى الفندق. نفس النمط يتكرر. تتلاعب به وتتلوّن أمامه، ولم تكد تمر لحظات على تقاربها مع آخر. ماذا تريد؟ هل ترغب في إبقاء كل خيوط اللعب في يديها؟ النساء كلهن على نفس الشاكلة، لم يجدر به أن يناقش الأمر مع عبدالكريم ويسمح له أن يؤثر بكلامه على قراراته..

أدار محرك السيارة وابتعد بها في غضب.

لم يكن عاصم يعرف أن ندى تسير على خطى إيما الأخيرة.

وأنها تقود دراجتها على نفس الدرب الذي سار بصديقتها نحو المجهول.

استيقظ عاصم صباح الجمعة مجهداً بعد ليلة جافاه فيها النوم وتصارعت بداخله أصواته المتشاكسة. نظر في ساعته فوجد موعد صلاة الجمعة وشيكاً فاغتسل سريعاً وخرج من التُّزُل باتجاه المسجد القريب. وجد الرجال والأطفال من حوله يتراخضون بجلابيهم البيضاء والقبعات الصغيرة المزركشة على رؤوسهم وكل منهم يحمل سجادة صلاة صغيرة في يده، وآيات القرآن الكريم تصدح من مكبرات الصوت.

«قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا»..

جعلته الآية الكريمة ووجوه الأطفال البريئة وكل ذلك البياض المحيط به يشعر وكأن همومه كلها قد تضاءلت ولم تعد ذات بال. قرر أن ينحي مشاعره المتضاربة ويستغل هدوء يوم الجمعة لينظم أفكاره لحل القضية الراهنة، فلا شيء أهم من مستقبله، ويكفيه ما أصابه من تشتت بسبب وجود ندى حوله.

وصل إلى المسجد المحاط بالبُسْط الخضراء المفروشة على الأرض، واتخذ مكانه في الساحة الخارجية المغطاة، فاستمع لخطبة الجمعة ثم صلى الركعتين وعاد إلى التُّزُل ببالٍ رائق. اشتدت حرارة الجو في وسط النهار ففضل الجلوس في القاعة الداخلية المكيفة. لم

يكن من هواة القراءة، إلا أن القضية الراهنة جعلته راغبًا في مراجعة ما درسه في المواد الشرطية عن السفاحين والقتلة المتسلسلين علَّه يتمكن من إمطة اللثام عن النمط الإجرامي لما يحدث. فتح هاتفه وبحث عن مقالات متعلقة بالموضوع وجلس يقرأ في هدوء. تسلفت إلى أنفه رائحة سجائر، تَلَفَّت حوله فوجد سفيتلانا جالسة مع حمادة حول إحدى المناضد يتهاامسان وهي تأخذ أنفاسًا عميقة من سيجارتها بين فينة وأخرى. دغدغت الرائحة حواس عاصم وخلخلت إرادته، ماذا سيحدث إن دخن سيجارة واحدة؟ واحدة فقط! تذكر كم المرات التي عاد فيها إلى التدخين بعد إقلاع دام شهرًا وأحيانًا سنوات بسبب أكذوبة السيجارة الواحدة، وحمد الله أن سفيتلانا لم تقدم له سيجارة لأنها لو فعلت لقبلها على الفور. يحتاج إلى أن ينفث دخانها وينفّس معه قلقه وتعبه وتساؤلاته. ألقى بقطعة من علكة النيكوتين في فمه، امتصّها واستحلبها حتى هدأت قليلًا من رغبته المستعرة. وقع أثناء بحثه على الإنترنت على مقال هام لأستاذة الطب الشرعي الشهيرة د. سمر عبدالعظيم، تكلمت فيه عن الصفات الوراثية والجينات المشتركة بين السفاحين والقتلة المتسلسلين، وذكرت أنها تنحصر في ثلاث صفات أساسية: عدم احترام حدود الآخرين، والاندفاع الشديد، والقابلية للعنف. تنهد وهو يحاول تصنيف المشتبه بهم في القضية وفق تلك المعلومات، كتب الأسماء على هاتفه ثم وضع نجمة بجوار اسمين منهما وجد أن الصفتين الأولى والثانية تنطبق عليهما، فالاثنان يشتركان في عدم احترام حدود الآخرين، وقد لاحظ ذلك في الطريقة التي يفرضان بها دعواتهما المُحبة وعطاءهما المبالغ فيه على مَنْ

حولهما، والضغط الذي يمارسane عليهم، فهل يا ترى لديهما قابلية للعنف؟ لم يرَ دليلاً على ذلك.. ولكنه رأى العنف لا قابليته فقط في تصرفات اثنين آخرين.. رأى أحدهما وهو يركل كلباً في الممشى بلا سبب، كما رآه يدفع رجلاً عجوزاً تشاجر معه على أحقيته في الدور بصف أحد محال الأكل. أما الآخر فهو مشهور بصيد الحيوانات البرية في الجبال. نظر للأسماء وتحير. مَنْ مِنَ الأربعة هو القاتل؟ أم يكون شخصاً خارج نطاق الشبهات؟

توقف عن القراءة وفكر في ندى. هل تسرّع بالتخلي عنها أمس؟ ترقّب المساء ليجتمعوا كعادتهم في ساحة التُّزلّ قائلًا لنفسه: سأجس نبضها اليوم وأراقب تصرفاتها مع جاسر وأحسم أمري.. قالها دون أن يدري أن قراره جاء متأخراً.. متأخراً جداً!

اختفاء.. وحلية ذهبية جديدة

أبت ساعات النهار أن تمر وكأنها متضامنة مع ندى فشعر بها كأيام من الانتظار لا ساعات معدودة. أتى المساء أخيرًا فارتدى سرواله الجينز وقميصًا أبيض مكويًا أغلق أزراره جميعًا وأدخله في السروال وأحكم ربط الحزام الجلدي الأسود على خصره، نظر لنفسه في المرأة فوجد أمامه سيادة المقدم عاصم بحذافيره، وقارن بشكل لا إرادي بينه وبين مظهر جاسر العصري المتحرر. أخرج القميص من السروال وفتح أزرار الأكمام وثناها عدة ثنيات، ثم فتح زر الياقة والزر الذي يليه وأعاد النظر في المرأة، شعر بقدر من التحرر أرضاه، فبخ عدة بخّات من عطره ونزل مسرعًا إلى الساحة، حيث وجد سفيتلانا وحمادة وزيكاس وأندرية. يلعبون الورق ويصيحون، عدا أندرية الذي كان يضع بطاقاته في بطاء وشرود. انتظر عاصم أن تظهر ندى فلم تفعل، ولم يظهر جاسر كذلك. وبغياهما وجد عاصم الإجابة لسؤاله. ناداه حمادة:

- ألا تلعب معنا؟ أندرية يريد الانسحاب ونحتاج للاعب رابع.

قام أندرية ووقف بجوار البوابة الداخلية للتزلّ يتأمل فروع شجيرات الجهنمية الملونة التي تغطيها، ثم ظهر على وجهه الانتباه

ولَوْح بذراعه. نظر عاصم فوجده يشير إلى أم الخير التي اقتربت وعلى رأسها محفة فوقها أطباق وطواجن كالعادة. جعلها أندريه تضع ما معها على المنضدة وسط الجالسين ونفحها عدة أوراق مالية أخذتهم ممتنة، ثم هرولت إلى خارج النُّزْل في سرعة. فتح حمادة لفائف الطعام وبدأ يأكل، ثم وجَّه كلامه لعاصم وأندريه الواقفين بجواره قائلاً بفم مليء بالطعام:

- ألن تأكلا معنا؟ المسقعة مليئة بالشطة والزبيب تمامًا كما تحبها يا أندريه.

اقترب أندريه ووضع قليلاً من المسقعة على لقمة عيش فوضعها في فمه ثم طقطق بلسانه إعجاباً، وسحب مقعداً جلس عليه وأخذ يأكل منها حتى أجهز على ما تبقى بالطاخن وحده. انتبه إلى أنه لم يترك للآخرين شيئاً، فنظر لهم معذراً:

- يبدو أنني كنت جائعاً دون أن أدري.

- لا أفهم كيف تكون متزوجاً من كاترينا عملاقة الطبخ، ثم تهفو نفسك إلى تلك الأكلات الرخيصة؟!

- لا أعرف لماذا تعاف نفسي اللحوم هذه الأيام؟ يبدو أنني سأصير نباتياً، خاصة وأكل أم الخير يشجعني على ذلك. ربما أعقد معها اتفاقاً أن تمدني بغداء كل يوم.

- وكيف ستنجو من كاترينا؟

سألته سفيتلانا ضاحكة، بينما قال حمادة:

- لديّ فكرة، ألا تحتاج كاترينا لمساعدة في المطبخ بدلاً من فائزة رحمها الله؟ ما رأيك في أم الخير؟ نعرفها جيداً ونفسها في الأكل لا يُعلى عليه. وهكذا تفوز بأفضل طباختين في دهب يا أندريه.

رفع أندريه نظره إلى حيث ابتعدت أم الخير وهز رأسه بلا تعقيب. مد زيكاس يده عبر المنضدة نحو أحد الأطباق ومزق غلافه البلاستيكي قائلاً لعاصم:

- هيا.. باسم الله. إذا فاتتك المسقعة فلا تنازل عن حقك في المحشي.

بدا المحشي شهياً وحبّات الأرز الممزوجة مع قطع الطماطم والخضرة تطل من كل حبة، ذكرته رائحته بمحشي والدته الذي يفقده، مد يده، ثم أعادها إلى جواره، لم يجد لديه شهية للأكل.

ظهرت كاترينا مبكرة عن مواعدها المعتاد للرجوع من المطعم، اقترب منها أندريه ولف ذراعه حول كتفها. ناداهما حمادة مماًزحاً:

- كاترينا.. أندريه أكل طعاماً من الشارع من ورائك!

وأضاف زيكاس:

- يقول إنه لم يُعد يطبق اللحوم، هل ستسكتين؟

توقف أندريه وتصلبت كتفاه بينما استدارت كاترينا إليهما بنصف جسدها الأعلى ومنحتهما نظرة لا مبالية، ثم استمرت تصعد السلالم الخارجية للنزل. أوصل أندريه زوجته إلى شقتهم في الأعلى، ثم عاد إلى الجمع.. سأله عاصم:

- ألا تزال غاضبة منك؟

- ليتها غاضبة، غضبها كان ليخفت مع الوقت، ولكنها مصابة بحالة غريبة من الصمت وعدم الاكتراث.

أشار عاصم برأسه نحو حمادة قائلاً:

- هل استشرته؟

- قال إنها ستأخذ وقتها في التعافي وإن دوري هو ملازمتها دون أن أضغط عليها بالحديث.

هزَّ عاصم رأسه ولم يجد كلامًا يهَوِّن به على صديقه، فاستأذن منه وقرر أن يذهب للتجوال كي يصفى ذهنه. ما إن ابتعد حتى شعر بمسحة من القلق تحيك في صدره لم يجد لها مبررًا. أهى بسبب شيء وقع أمامه؟ أم عبارة سمعها؟ أم قلق مبهم على ندى التي لم تظهر؟

خرج من النُّزل وأخذته خطواته باتجاه الفندق الذي تقيم به ندى. تساءل أين هي الآن؟ هل تسهر مع جاسر في ساحة الفندق الخارجية؟ أم تتمشى معه في الممشى وتقف أمام المصنوعات اليدوية للبدو فتبدي إعجابها بألوانها المبهجة ليشتري لها جاسر واحدة كتذكار؟ أم يأكلان الآيس كريم معًا فيمنحها إحدى ابتساماته اللزجة بين قضمة وأخرى؟ وكأنما تجسدت أفكاره أمامه، وجد جاسر يأكل الآيس كريم فعلاً، ولكنه ليس بصحبة ندى، بل بصحبة فتاة أخرى ممتلئة الجسد، ذات شعر أسود فاحم. أين ندى إذن؟ تساءل عاصم، وكأنما ردد الصدى سؤاله، أسرع جاسر خلفه يسأله:

- أين ندى؟ مررتُ اليوم على الفندق كي أطمئن عليها فأخبروني بأنها رحلت.

- رحلت؟!

قطع عاصم المسافة إلى فندق ندى عدوًا ووقف أمامه لاهثًا. انتظر حتى انتظمت أنفاسه قليلًا ثم دخل وتوجّه نحو الشاب الواقف خلف مكتب الاستقبال. منحه الشاب ابتسامة آلية واتسعت عيناه قليلًا بانتظار ما سيطلبه عاصم، فسأله مباشرة عن ندى، تبدلت آنذاك ملامح الشاب المرحبة إلى الامتعاض وهو يقول:

- لقد رحلت الآنسة ندى في الصباح الباكر دون أن تُكَلِّف نفسها عناء إبلاغنا مسبقًا برغم أن حجزها يمتد لنهاية الأسبوع، كما تركت الدراجة في المدخل كي نعيدها إلى المحل حينما يفتح أبوابه.

تقافز فأر القلق في جوف عاصم وقرض جوانحه في عنف وهو يسأل:

- هل كان حسابها مدفوعًا؟

- كان عليها يومان فتركت لنا حساب أربعة أيام.

- ألم يرّها أحد وهي ترحل؟

حلّ الاستغراب محل الامتعاض لدى الشاب وهو يجيب:

- لا، لم يرّها أحد، لماذا؟ ماذا حدث؟

- سَفَّاح ذهب يضرب من جديد!

فاجأت العبارة عاصم فالتفت وراءه كي يرى القائل فوجده جاسر واقفاً يلحق الآيس كريم في تِلْدُذ بعد أن ألقى عبارته. ظهر الغضب في عيني عاصم فتراجع جاسر خطوة إلى الوراء دون أن يفقد ابتسامته المتبجحة.

تجاهله عاصم وطلب من موظف الاستقبال تفتيش غرفة ندى فقاده إليها الشاب وفتحها ببطاقة الغرف الممغنطة وهو يقول في امتعاض:

- في حالات الرحيل المفاجئ دون إبلاغ مسبق يتم إخلاء الغرفة من أغراض النزيل وتوضع في الأمانات، ولكن لدينا اليوم عجز في عاملات نظافة الغرف فأَجَلْنَا إخلاء وتنظيف هذه الغرفة إلى الغد.

- خاصة وأن حسابها مدفوع ليومين آخرين.

عَقَّب عاصم وهو يدخل الغرفة وينظر في أرجائها، وجد بجوار الباب حقيبة وردية كبيرة فوقها حقيبتان قماشيتان صغيرتان مزمومتان.

- أهذه أغراض ندى؟

- لا أعرف، لحظة سأستدعي نبوية.

خرج الشاب وعاد بفتاة شابة قصيرة القامة تفوح منها رائحة عرق نفاذة. سألها عاصم:

- هل هذه أغراض الأنسة ندى؟

نظرت نبوية إلى حيث أشار عاصم وهي تلوك علكتها ببطء بفم مصبوغ بالأحمر الفاقع، ثم قالت:

- لا.. إنها أغراض الأمريكية.

ثم أضافت بنبرة العالم ببواطن الأمور:

- أغراض الأنسة ندى أرخص وأقل عددًا.

ظهر جاسر من خلف الفتاة العاملة يسألها:

- متى رحلت ندى؟ هل تعرفين؟

نقلت الفتاة نظراتها بين الرجلين، ثم مصمصت شفيتها قائلة:

- منه لله الذي كسر قلبها.

سألها عاصم في نفاد صبر:

- هل رأيته ترحل؟

حشرت علكتها في ركن فمها بلسانها لتجيب بصوتٍ نائح:

- لا طبعًا.. هل تظنني مقطوعة من شجرة لا أهل لي كي أظل في

الفندق ليل نهار؟ لا بد أنها رحلت قبل الثامنة صباحًا موعد بدء نوبتي بالعمل.

تقدم عاصم خطوتين إلى داخل الغرفة وتفقد لها بعينه فسألته الفتاة

في فضول:

- هل تبحث عن شيء؟

- هل تركت ندى أي أغراض وراءها؟

- لم أنظف الغرفة بعد، لكن لو وجدت شيئاً سأسلمه للأمانات على الفور.

رمقها موظف الاستقبال بنظرة متشككة، فأضاف عاصم بنبرة صارمة:

- راجعي نفسك.. أم تريدين القدوم معي إلى القسم كي تنتعش ذاكرتك؟

بدا الارتباك على الفتاة وتزايدت سرعة مضغها للعلكة، ثم خبطت بكفها على جبهتها بافتعال وهي تقول :

- تصور نسيت.

ثم مدّت يدها في «عبّها» وأخرجت سواراً ذهبياً رقيقاً تتدلى منه قواقع بيضاء صغيرة، قائلة:

- وجدت هذه حينما أرسلني مستر شريف لأتفقد الغرفة صباحاً.
- حلية ذهبية!

هتف عاصم، فمد جاسر رأسه من خلفه ينظر، ثم بدت عليه الصدمة وهو يقول:

- كيف تركتها؟ لقد كانت هدية منّي.

ضيق عاصم عينيه وهو يسأله:

- أهديتها بسوارٍ من ذهب؟

- ذهب؟! لا لا إنه تقليد بالطبع.

- لو أهدى الأستاذ جاسر كل فتاة يعرفها سوارًا ذهبيًا لاحتاج ثروة، وهو على حد علمي لا يملك شيئًا.

قالتها نبوية هازئة وهي تحدج جاسر بنظرة ذات مغزى، فبدا الحرج عليه وهو يمد يده لأخذ السوار، ولكن عاصم سبقه فأخذه من الفتاة ووضعه في منديل في جيبه معلناً:

- هذا سيظل معي.

ثم وجّه كلامه لموظف الاستقبال قائلاً:

- أغلق الغرفة وتأكد ألا يدخلها أحد ولا حتى للتنظيف حتى أخبرك بغير ذلك.

أظهر الشاب الاستياء وهو يقول:

- أرجو ألا نتجاوز الليلتين اللتين دفعتهما الأنسة ندى زيادة على حسابها وإلا سيتعرض الفندق للخسارة ولن يرحمني صاحبه.

وقف عاصم في مكتبه بالقسم وفرد سوار ندى الذهبي ببطءٍ على سطح طاولة المكتب ورفع لعبدالكريم عينين يملأهما القلق. حاول مرؤوسه طمأنته قائلاً بنبرة عجز عن بث الثقة فيها:

- أنا متأكد أنها بخير.

- حقًا؟! وماذا عن اختفائها المفاجئ؟ وتركها لمبلغ أكبر من المطلوب؟ والدراجة التي لم تُعدها.. وأخيرًا الحلية الذهبية التي تركتها خلفها.. ألا يذكرك ذلك بنمطٍ ما؟

حاول عبدالكريم الحفاظ على هدوئه وهو يجيبه:

- لكل ما قلت تفسير منطقي. ندى اختفت لأنها غاضبة.. لقد رأيتُ وجهها بعد أن أدت لها ظهرك وابتعدت.

عضَّ عاصم على شفته السفلى في ندم بينما أكمل عبدالكريم قائلاً:

- وأما المبلغ الذي تركته فربما أرادت تعويض الفندق عن جزء من المدة التي حجزتها ولم تلتزم بها. والدراجة.. كيف كانت ستعيدها والمحل لا يفتح أبوابه إلا ظهرًا إذا كانت قررت الرحيل مبكرًا؟

- والسوار؟ هدية جاسر التي تركتها وراءها؟

- أهذا ما يغضبك؟ بالعكس تركها للسوار دليل على عدم اهتمامها به ولا بصاحبه..

- بهذه البساطة تتجاهل النمط الواضح وتجد تفسيرًا منفصلًا لكل عنصر في المشهد.

- أرى أن القلق والغضب يحيدان بك عن التفكير السليم.. فلنحاول الوصول إلى ندى أولاً قبل أن نجزم باختفائها.

- هل تظنني لم أحاول؟ هاتفها مغلق!

- ليس كل هاتف مغلق يعني أن صاحبه قد خُطف.. هل لديك أي وسائل تواصل أخرى؟

بدت الحيرة على وجه عاصم فذكره عبدالكريم:

- ذلك الطبيب زوج أختها، فهمت أنكما تعارفتما في قضية سابقة.

- هذا صحيح!

هتف عاصم في حماس وهو يفتح هاتفه للاتصال بالدكتور مراد.

بعد نصف ساعة من المحاولات المختلفة، انتقل القلق إلى عبدالكريم. فمحاولة الاتصال بمراد باءت بالفشل، ثم تذكر عاصم أنه مسافر بالخارج فأرسل له عدة رسائل على تطبيق «الواتساب» فلم يتلقَ ردًا. حاول عبدالكريم طمأنته أن ذلك بسبب فرق التوقيت وأنه سيرد عليه حينما يستيقظ. اتصل عاصم بعدها بالأستاذ مجدي خال ندى ورئيس تحرير صحيفة «الحبر الحر». أجاب الرجل مكالمته على الفور وأخبره بأنه لا يعلم شيئًا عن ابنة أخته، ووعدته أن يستعلم من والدتها ويعود إليه. وبعد عشر دقائق تلقى منه مكالمة أخبره فيها بأن والدتها أكدت وجودها في دهب مع صديقة شيرين الأمريكية.

فهم عاصم أن ندى لم تخبر والدتها عن اختفاء إيما فشكر الخال وأنهى المكالمة ونظر إلى مرؤوسه بعينين امتزج فيهما القلق بلوم النفس. أفصح عن أفكاره قائلاً:

- لو لم أتصرف بصيانية أمس.. لو كنت أوصلتها إلى الفندق لكانت بيننا الآن.

- لا تفتح باباً للشيطان.. الأهم.. ماذا سنفعل الآن؟
قفز عاصم من على كرسيه قائلاً:

- سنفترق. أنا سأستجوب السائقين والعاملين في المحطات وأنت تستجوب العاملين في المحال القريبة من الفندق لعل أحدهم رآها. وسأستمر في محاولة الوصول إلى دكتور مراد. إن كان هناك مَنْ يعلم أين ندى ستكون شيرين أختها ولا ريب.

وافترق الرجلان كل إلى مهمته وهما يتوقعان الأسوأ ويأملان في الأفضل.

مكتبة

t.me/soramnqraa

حب بين شقي الرحى

استيقظت ندى مفزوعة بعد كابوس شاهدت فيه إيما تستغيث بها
من بين ألسنة النيران المستعرة وتمد إليها ذراعيها وهي غير قادرة على
الوصول إليها وإنقاذها. لأول وهلة لم تميز أين هي.. انتابها الهلع
ومدت كفها لتحسس الفراش القاسي من تحتها فوجدت نفسها بداخل
حقيبة نوم رقيقة على أرض رملية. أصاحت السمع فتناهى إليها صوت
موج خفيف وعواء ذئب آتٍ من بعيد. حركت جسدها فوجدت نفسها
غير مقيدة بخلاف ما توقعت. أغمضت عينيها بشدة ثم فتحتها عن
اتساعهما وقد أدركت أين هي!

ابتسمت وخجلت من نفسها أن تملكها الرعب وهي من أتت
إلى هذا المكان النائي بقدميها. تسارع الأحداث والكابوس الذي
استيقظت منه جعلها تفقد الإحساس بالوقت والمكان ولكنها
سرعان ما استرجعت ما حدث: قرارها الغاضب بالرحيل، ودموعها
التي غشيت عينيها وهي تجمع أشياءها من غرفة الفندق وتضعها
في حقيبتها بشكل عشوائي.. والسوار الذهبي الذي ذكَّرها بحقارة
صاحبه فرمته بعيداً.. وأغراض إيما التي وضبتها في حقائبها ثم لم

تدري ماذا تفعل بها فتركها بجوار باب الغرفة.. خروجها من الفندق بعيد الفجر بقليل واستقلالها لسيارة أجرة نحو ذلك المخيم البدائي الواقع في منطقة «نوبيع» الساحرة، والذي رأت عنه فيديو على تطبيق «الإنستجرام» حيث الخيام البسيطة على شاطئ البحر مباشرة، والانعزال عن المدنية، بلا كهرباء ولا تغطية للهواتف المحمولة.

مكان مثالي للهروب من كل شيء.

قامت وحرّكت جسدها للتخلص من تيبسه ثم فتحت باب الخيمة وخرجت.. كانت اللحظات الأشد إظلامًا في الليل قبل انبلاج الفجر بقليل ولا صوت سوى الموج الرقيق الذي يداعب الشاطئ، والرياح الهادئة التي تلف من حول الخيام.. رفعت رأسها إلى السماء وشهقت.. لم تر هذا الكم من النجوم البراقة من قبل.. قطعة من المخمل الأسود المرصع بالماس. جلست على الرمل وعيناها معلقتان بالنجوم تحاول تذكر أشكال المجموعات النجمية وتحديدها على صفحة السماء، بحثت عن مجموعة الدب القطبي دون جدوى حتى شقت أشعة الشمس الظلام لتعلن بزوغ يوم جديد.

سمعت صوتًا آتيًا من بعيد، نظرت حولها فرأت على امتداد البصر عاصفة ترابية صغيرة تقترب في سرعة. انضم لها أحد العاملين في المخيم وهو يتساءل عن القادم إليهم في هذا الوقت المبكر. ظهرت في الأفق سيارة جيب أثارت عاصفة من الرمال حولها. سيارة تعرفها ندى جيدًا!

ترجّل عاصم من السيارة وتقدم بخطواته الواسعة نحو ندى.. منع نفسه بصعوبة من الإمساك بكتفيها وهزّها وقد تمكنت منه مشاعر متضاربة. أراد أن يحمد الله على سلامتها، وأن يغضب ويصرخ فيها بسبب اختفائها المفاجئ الذي أربكه وأرعبه، أراد أيضًا أن يعترف لها بمشاعره، أن يزيح هذا الحمل من على كاهله ويخبرها في حسم بأنها لن تكون لغيره.. وفي خضم كل ما أراد قوله، تسمّر في مكانه ينظر إليها في صمت..

أما هي.. فنظرت في عينيه وقرأت فيهما ألف كلمة وكلمة.. وعلمت أن ما سيأتي، لن يكون مثل ما مضى!

أصرّ عاصم على أن تجمع ندى حاجاتها وتغادر المخيم معه إلى دهب. أخبرها بأنه لن يكون مطمئنًا، ولن يستطيع مباشرة عمله إلا وهي بجواره وأمام عينيه.. دغدغت كلماته أحاسيسها، كانت خطتها تقتضي البقاء في نوبع عدة أيام هروبًا من كل شيء؛ من حزنها على إيما وعجزها حيال ما حدث لها، ومن ارتجافة قلبها كلما رأت عاصم. ولكن بعد مجيئه وكلماته الدافئة استسلمت.. وبعد قليل كانت بجواره في السيارة يقطعان المسافة معًا إلى دهب.

ساد الصمت بينهما، كل منهما غارق في مشاعره وأفكاره، هو يحث نفسه على مصارحتها والعمل بنصيحة عبدالكريم.. وهي تتساءل إن كان بحثه المحموم عنها ومجيئه إلى المخيم يعنيان شيئًا، كسرت الصمت بسؤالها:

- كيف وجدتنني؟

تنهد قائلاً:

- من دكتور مراد.. اتصلت بكل الأشخاص المشتركين بيننا ولم أستطع الوصول إليك، كنت كما المجنون أمر على السائقين في دهب أريهم صورتك، والجميع لا سيرة لهم سوى عن السفاح.

ابتسمت في خجل وهي تدرك مدى خوفه عليها.

- آسفة.. لم أقصد إقلاقك..

سألها بنبرة عتاب:

- لماذا تعمّدت إغلاق هاتفك؟ اتصلت بك عشرات المرات.

امتعضت قليلاً من عبارته، هي لم تعمّد شيئاً..

- لم أغلقه، ولكن المخيم ليس به تغطية.

ساد الصمت مجدداً، حتى قال عاصم:

- ندى..

قالها بنبرة عميقة استرعت انتباهها فوجّهت وجهها الذي غزته الحمرة إليه وتعلقت عيناها به بانتظار ما سيقول..

- لم أتوقع أبداً أن تفعلني مثل ميهان وتختلسي المحادثات من هاتفي.

- ماذا؟!!

احتقن وجه ندى وهي تُحدِّق إليه في عدم تصديق. لم تُجبه بل وضعت كفها على مقبض باب السيارة الداخلي قائلة:

- أنزلني هنا.. قِف وأنزلني.

- هنا أين؟! نحن في وسط الصحراء..

نظرت حولها، إنه محق، ولكنها لن تبقى معه في مكان واحد بعد ما قال! حاولت فتح الباب بعناد فلم يكن منه إلا أن أمسك بيدها لتنبعث الشرارة إياها من جديد.

- ندى.. يجب أن نتكلم.

نظرت إليه وبدأت الدموع تحتشد في عينيها، حاولت جاهدة السيطرة عليها وإبقائها حبيسة مقلتيها، لم تُردِّ الظهور ضعيفة أمامه، كيف يجرؤ أن يتهمها بذلك؟!

- ألا تعرفني؟

وجدت نفسها تسأله بصوتٍ مختنق..

- هذا كان سبب صمتي وانسحابي. شعوري المفاجئ والصادم بأنني لا أعرفك.

- ألم تفكر في أي احتمالات أخرى، غير أن تجعلني أنا المتلصصة والمختلسة وخائنة الأمانة في روايتك؟

- أخبريني أنت..

صمتت للحظة ثم عادت تواجهه من جديد بصوت أكثر صلابة:

- سأخبرك.. ولكن أوقف السيارة أولاً.. لأن ما سأقوله سيكون آخر كلمات بيننا.. بعدها سأرحل.

- ليس هكذا تُحل الخلافات يا ندى..

- أوقف السيارة من فضلك.

انصاع لها عاصم وأوقف السيارة فمدَّت يدها في حقيبتها وهي تقول:

- لن أخبرك.. بل سأريك.

أخرجت هاتفها وفتحت المحادثة بينها وبينه.. أمسك عاصم الهاتف يحاول استيعاب ما يرى، ثم نظر إليها فقالت:

- والدتك هي مَنْ أرسلت لي المحادثة.

- أمي؟!

- وأنت.. بدلاً من الشعور بالخجل والذنب لتلاعبك بي في حينها، تقلب عليَّ المنضدة وتتهمني بخيانة الثقة!

نفرت عروق جبهته ويديه الممسكتين بالمقود وهو ينظر أمامه لا يرى من الأفق شيئاً بسبب الضباب الكثيف الذي نزل على عقله وعينه. أمه وراء كل ما حدث ولم تخبره! كم يليق بشخصيتها ما فعلت.. اصطادات في المياه العكرة وشوّهت صورة ندى أمامه وهي تعلم أن فتاته بريئة وأنها هي المتهم الوحيد. كيف سمح لتلك الغشاوة أن تغطي بصيرته؟ ندى محقة، كان يجدر به أن يعرفها، وإذا عرفها حقاً

لكان قادرًا على نفي ظنونه دون حتى أن يسألها.. لقد أخطأ في حقها
وفي حق نفسه ولا يجب أن يضيع دقيقة واحدة بعد الآن..
- ندى.. أنا أحبك.

تفاجأت الفتاة.. لطالما تمنيت أن تسمعها منه.. أرادت أن تفرح، أن
تجيبه بالمثل.. ولكنها قالت:

- لن ينجح الأمر يا سيادة المقدم.. الثقة هي أساس العلاقات،
وقد تدمرت بيننا.

- ولكنني لم أكن أتلاعب بك، علاقتي بميهان كانت قد انتهت
حقًا، إلا أن أُمِّي طلبت منِّي تأجيل الإعلان عن ذلك حتى تخبر هي
والدها بطريقتها كي لا يسعى للانتقام منِّي وتدمير مستقبلتي. كنتُ
أجاريها مضطرًا.. ولم أكن سعيدًا بذلك صدقيني.

لم تجبه ندى فأردف بنبرة فيها استجداء:

- علاقتنا تستحق فرصة ثانية نعرف فيها بعضنا أكثر ونعوّض ما فاتنا.

أرادت أن توافق، ولكنها شعرت بأن حبه لها سيظل دومًا بين شقي
الرحى، أمه وقلبه. وهي لا تريد ذلك، بعدما حدث تعلم أنها لن ترضى
سوى بحب حر بلا معوقات.. ولكن هل يوجد مثل ذلك الحب؟

ميهان!

ظلَّ الصمت مخيمًا على الثنائي في السيارة حتى وصلا إلى دهب. بقدر ما احتشدت الأفكار في رأسيهما إلا أن الكلمات تعثرت على الشفاه ولم تجد لها طريق خروج آمن.. ترجّلت ندى أمام الفندق بعد أن طمأنها عاصم أن حجرتها كما هي لم يشغلها أحد. طلب منها أن تحرص على إبقاء هاتفها قريبًا منها فوافقته بهزة من رأسها. أخبرها بأنه سيكون بالنزل مساء، فبعد القبض على د. سعيد وثبت أن لا علاقة له بالنسوة المختفيات أصبح لزامًا عليهم البحث عن مشبه جديد، ولن يجد أفضل من التُّزَل لمواصلة تحرياته.

دخلت غرفتها وخلعت عنها ملابسها وتمددت على الفراش تفكر في غرابة الأحداث التي مرت بها في الأربع والعشرين ساعة الأخيرة، تفكرت في عاصم، في كلامه لها، واعترافه الدافئ بالحب. ذلك الاعتراف الذي لا تستطيع الفكاك من أثره عليها. ظلت كلمة «أحبك» تتكرر كصدى صوت في جوفها، أو كمذياع أصابه العطب.. لا تستطيع تجاوزها، فهي أيضًا قلبها يخفق له وتشعر بالسعادة في وجوده، أليس هذا هو الحب؟ ودّت لو أن هناك «كتالوجًا» أو اختبار أسئلة الاختيار من

متعدد تضع علامات الصح كي تتأكد إن كان هذا حبًّا أم لا.. يجب عليها خفض صوت عقلها والاستماع لصوت قلبها، ماذا يقول؟ يخبرها بأنها لن تخسر شيئًا بإعطاء عاصم فرصة ثانية، هي تعرف تأثير والدته عليه، وإن أحبته حقًّا فيجب عليها أن تعينه على التحرر من سيطرتها وإيجاد صوته. لقد اعترف لها بحبه وهذا ليس بالأمر الهين، لقد انتظرت هذه اللحظة كثيرًا ولا تريد أن تفقدها.. هما الاثنان يستحقان فرصة ثانية، إما أن تنجح العلاقة وتثمر عن حب حقيقي قوي، وإما أن تكون الفرصة الأخيرة التي تتحرر هي بعدها من ذكراه وتشق سبيلًا آخر.

في تمام السابعة، عبرت ندى بوابة النُّزُل المطلة على الممشى. أرادت أن تبدو فاتنة الليلة فارتدت فستانًا قطنيًا أبيض، له أطراف من الدانتيل المخرم، وحجابًا بلون المشمش الناضج أبرز جمال عينيها التي أطرتهما بقليل من الماسكرا البنية على أهدابها، وزينت شفيتها بطلاء بلون الخوخ جعل بشرتها تتوهج بما اكتسبته من سمرة خفيفة في الأيام الفائتة. لم تحمل حقيبة ظهرها المعتادة، بل حملت حقيبة ذهبية صغيرة تلاءمت مع صندلها الذهبي الرقيق. بحثت بعينيها عن عاصم، تريد أن ترى أثر فتنتها في عينيه.

رأته..

واقفًا على مبعدة ومعه..

ميهان!

هتفت لنفسها بالاسم في خفوت وهي ترى الفتاة الطويلة ذات القوام الرشيق والشعر الأسود الغزير الذي تموّج على ظهرها العاري كشلالٍ طاغٍ. لمحها عاصم ويبدو أنه قال شيئاً لميهان فاستدارت إليها وهي تضحك..

لم تكن ميهان!

بل فتاة شديدة الشبه بها بخلاف لون بشرتها البرونزية وعينيها العسليتين. تسمّرت ندى في مكانها فاقترّب منها عاصم مع الفتاة قائلاً:

- هذه غنى.. أتت اليوم من بيروت وستُقيم معنا هنا في نُزل أندريه.

مدّت لها ندى كفّاً تيبست أصابعها من البرودة المفاجئة التي أصابتها. سلمت عليها الفتاة بحرارة ورحبت بها ببضع عبارات تفيض دلّعاً لبنانياً خالصاً جعل ندى تشعر بكم هي باهتة بجوارها، فسحبت أول مقعد وجدته وجلست عليه. لم ينضم إليها عاصم وبدأ جليّاً أنه لم يرها فاتنة في ظل الصاروخ اللبناني الملتهب. راقبت ندى كيف اجتمع الرجال حول غنى، هذا يأتيها بشراب بارد، وذاك يعرض عليها خدماته، وطبعاً جاسر يمنحها حصّة غطس مجانية، وسفيتلانا دعته لقضاء سهرة مجانية في فندقها. كانت غنى كالوهج الذي تتجمع حوله الفراشات بلا إرادة ولا إدراك بخطورته الحارقة. ولكن هل كانت غنى خطرة؟ لا تعلم، ولكن ماذا عن غنى مع عاصم؟!

عادت ندى إلى غرفتها بالفندق محبطة، لم تستطع الانفراد بعاصم لحظة واحدة وهي التي ظنت أن الليلة ستشهد تقاربًا بينهما. ثم ماذا عن التحقيقات التي قال إنه سيتواجد في التُّزل من أجلها؟ لقد قضى الليل هائمًا في فلك الفتاة اللبنانية..

اغتاظت من نفسها أن انهارت دفاعاتها سريعًا أمام كلمات عاصم المعسولة واستعدادها لاستئناف العلاقة بينهما.. كيف تجاوزت السبب الرئيسي للمشكلة؟ تلاعبه بها واتفاقه مع ميهان على الزواج أثناء تواصله معها. أسكرتها كلمة الحب وأنستها ألم قلبها وبكاء لياليها..

حسنًا، هذا لا يهم الآن، بل ربما كان ظهور غنى على الساحة مكسبًا لها كي تفيق ولا تقع في فخ عاصم مجددًا.. المهم الآن إيما.. توقعت أن تجد أبناء القبض على د. سعيد وتشكيله العصابي لا تزال مخيمة على الأحاديث الدائرة، ولكن كل شيء تبخر أمام فتنة غنى ودلالها. حسنًا.. فلينسوا هم نساء هم المختفيات كما يشاءون، ولكنها هي لن تنسى صديقتها.

قررت الذهاب إلى عاصم في القسم صباحًا. بالتأكيد لن تجد غنى هناك.

وفي الصباح.. وصلت ندى إلى القسم مبكرًا فلم تجد غنى.. ولا عاصم!

وحينما سألت عبدالكريم عنه أخبرها في حرج بأن عاصم مع غِنَى..

بدت الصدمة على وجه ندى واستدارت كي ترحل، بيد أن عبدالكريم أوقفها بقوله:

- الأمر ليس كما يبدو لك.

- حقًا؟!

- اجلسي من فضلك.. لديّ ما أخبركِ به.

جلست ندى وهي تهز قدميها في نفاذ صبر، فابتسم عبدالكريم وقال:

- هل تعلمين ما هو اليوم من أيام الأسبوع؟

- الأحد.

- نعم الأحد.

- وماذا في ذلك..

قطعت ندى عبارتها وهي تشهق، ثم تنهدت في فهم قائلة:

- الأحد.. اليوم الذي اختفت فيه إيما.. والباقيات.

- هذا صحيح. عاصم وأنا ناقشنا الأمر ونخشى أن يكرر المجرم فعلته اليوم. عاصم يظن أن غِنَى هي التالية على القائمة؛ لذلك قرر البقاء معها بنفسه. وأوصاني أن أتصل بكِ لحمايتكِ ولكنكِ سبقتيني بالحضور، كما حذر أندريه ألا تغيب كاترينا عن عينيه. تعلمين أننا

نعتبر النُّزُل منطقة عمل المجرم؛ لذا تركيزنا منصب على السيدات المرتبطات به.

أرادت ندى أن تسأله عن سر اختيار عاصم لمرافقة غنى بينما هي من نصيب عبدالكريم إلا أن كرامتها أبت عليها. أومأت برأسها وهمت بالخروج فأوقفها عبدالكريم ثانية قائلاً:

- إلى أين ستذهبين الآن؟

- سأعود إلى الفندق.

- جيد.. سأتي معك.

ابتلعت ندى ريقها ولم تجد بُدًا من الموافقة.

في المساء، لم تهتم ندى بارتداء شيءٍ مميز، وإنما نزلت من غرفتها بالفندق لتجد عبدالكريم بانتظارها في البهو. وصلا إلى النُّزُل دون أن يتبادلا كلمات تذكر، وهناك رأت عاصم جالسًا مع غنى والآخرين. لاحظت ندى فك عاصم المشدود وعينيه اللتين تدوران في كل مكان برغم انخراطه في الحديث بشكل يبدو طبيعيًا، فانتقل إليها توتره على الفور. انضمت له وللجالسين معه، حيّاها برأسه ومنحها نظرة اهتمام عميقة، وبعد لحظات وجدت أندرية يستأذن للحاق بأصدقائه في الحانة القريبة. انتحى به عاصم قائلاً:

- ألم نتفق ألا تترك كاترينا وحدها الليلة.

- لا تقلق. لقد غادرت المطعم مبكرًا وهي عائدة الآن إلى النُّزل
يرافقها مرعي وقد أوصيته بملازمتها.

قالها أندريه مطمئنًا عاصم الذي سأله:

- هل يجب عليك الذهاب؟

ظهرت على وجه أندريه ملامح الحزن والانكسار وهو يقول:

- هذه هي الليلة الوحيدة في الأسبوع التي أسمح لنفسي فيها
بالشرب والنسيان. وأنا أحتاج لهذا الأمر الآن أكثر من أي وقت آخر.
لن أتأخر ولن أثمل. أعدك.

تفهم عاصم ما قاله أندريه وتركه يرحل. دخلت كاترينا من البوابة
لحظة خروج زوجها، اقترب منها وربت على ظهرها، أراحت رأسها
على كتفه للحظة خاطفة ورأى عاصم في عينيها نظرة تفاءل بها.
اتجهت نحو السلم الخارجي فهرول مرعي خلفها. اطمأن عاصم
قليلاً ونظر نحو غنى وندى، فتاتان مختلفتان كل الاختلاف، ذكر نفسه
بأن مهمته الليلة هي حمايتهما لا المقارنة بينهما. انحصر همه في
أن تمر الليلة بسلام وأن يأتي الصباح فلا يردهم بلاغ اختفاء جديد.
انتحى في ركن بعبد الكريم وراجع معه ترتيبات المراقبة، ثم تواصل
من خلال اللا سلكي بالقوات الأمنية المنتشرة في المدينة تحت غطاء
مدني وأعطاهم التعليمات الأخيرة، قبل أن يعود إلى مجلسه وسط
الجمع يتبادل معهم أطراف الحديث. بعد فترة استأذن حمادة للرحيل
مبكرًا عن مواعده المعتاد، سأله زيكاس مدهوشًا:

- سترحل الآن؟

أجاب بوجه شابه الاصفرار:

- يبدو أنني أصبت بضربة شمس قوية اليوم.

قالها الأخصائي النفسي بنبرة متعبة، ثم ابتعد في هدوء دون أن يلاحظ أحد رحيله سوى زيكاس الذي أخذ يراقبه حتى اختفى، ثم قال لندى:

- لديّ ما أخبرك به.. على انفراد.

رفع عاصم حاجبًا ثم أنزله دون تعقيب، بينما انتقلت ندى مع زيكاس إلى منضدة قريبة. استهل كلامه قائلاً:

- هذا الطبيب..

التفت ندى لا إرادياً نحو المقعد الذي شغله حمادة قبل أن يرحل وهي تسأل:

- الأستاذ حمادة؟ إنه أخصائي نفسي وليس طبيباً.

- أيّا كان.. لقد وجدت صفحته على «الفيس بوك».. بها كتابات كثيرة سيئة.

- ماذا تعني؟

- أعطني رقم هاتفك لأرسل لك الرابط.

ترددت ندى في إعطائه رقم هاتفها، ولكن نظرت التي تسلّطت عليها من خلف نظارته الكبيرة أثّرت عليها وجعلتها تمليه عليه. لم

تدرِ لماذا جعلتها لمعة عينيه ترتجف، أم إن خوفها الليلة جعلها ترتاب في الجميع؟

رأت كاترينا تهبط السلم يتبعها مرعي واتجهوا نحو البوابة، نظرت لعاصم فوجدته مشغولاً بحديث هاتفي. انتبه عبدالكريم فاقترب وحال بين كاترينا والبوابة قائلاً:

- كاترينا، ألم يتفق معكِ أندريه أن تلزمي غرفتك اليوم؟

- يجب أن أعود للمطعم، أظنني لم أخفض نار الموقد على اللحم، سيحترق.

- سأذهب أنا..

انفجرت كاترينا في ثورة مفاجئة صارخة:

- لن تحبسوني في منزلي.. أنا لا آبه بالسفاح، ولا أخاف الموت.. فبعد روز ابنتي حياتي لا تختلف كثيراً عن الموت.. ابتعد من أمامي هيّا!

تحولت أنظار الجميع إليهما وقد قطعت كلمة «السفاح» كل حديث دائر. نظر عبدالكريم إلى عاصم الذي لم يكذب يقترب منهما حتى وجد سفيتلانا وغنى في أثره وسفيتلانا تقول:

- الأجواء هنا متوترة، سنذهب إلى الفندق عندي. وربما تبين معنا غنى اليوم، فمن حقها هي أيضاً ليلة مجانية مثل الجميع.

- غنى ستبيت هنا في غرفتها بالتُّزل.

نظرت إليه غنى مدهوشة ولسان حالها يقول: وما شأنك أنت؟ سكت عاصم يحاول موازنة الأمور في عقله بسرعة، لم يرغب في نشر الخوف وتركيز الإشاعات الدائرة بوجود سفاح طليق، وفي نفس الوقت وجد العقد ينفطر بإصرار كاترينا على الخروج وغنى على المبيت في الخارج. أنقذه عبدالكريم من حيرته قائلاً بنبرة ذات مغزى:

- سأذهب معهما، فأنا أحتاج للترويح عن نفسي قليلاً.

أوما عاصم برأسه على مضض، فقالت كاترينا وقد استردت هدوءها:

- وأنا لن أتأخر، سأطمئن على الموقد وأعود.

راقب عاصم كاترينا تخرج يتبعها مرعي بحركاته الخرقاء، ومن بعدهما غنى وسفيتلانا ومعهما عبدالكريم. اقتربت منه ندى وسألته بنبرة حاولت جعلها رسمية:

- لديّ سؤال.. هل وجدتم دفتر روز الأحمر؟

بدت الدهشة على وجه عاصم، فأضافت:

- زيكاس أخبرني..

- آها.. كنت تتكلمين مع زيكاس! وهل أخبرك عن الفترة التي قضّاها في المشفى النفسي عقب وفاة والدته المفاجئة؟

- ماذا؟

- ندى.. نحن نعلم الكثير ممّا لا تعلمين والتحقيقات جارية
على قدم وساق.. المهم أن تحترسي لنفسك ولا تسمحى لأحد
باستدراجك لأي أحاديث جانبية.. خاصة الليلة.

ثم نظر حوله فوجد الجمع كاد أن ينفض فلم يبق سوى جاسر
وزيكاس، فأردف:

- أرى أن أصطحبك إلى الفندق الآن.. لديّ ليلة مراقبة طويلة.

بعد منتصف الليل

عادت أم الخير إلى عشتها بعد منتصف الليل بقليل، فأنزلت المحفة من على رأسها ونظرت إلى الأطباق الثلاثة التي تبقت من أكل اليوم، سيتعين عليها أكلهم إن لم تُرد لهم أن يفسدوا، فبقاء الأكل طيلة اليوم بالخارج يجعله عرضة للفساد بسرعة فلا يتحمل مبيت الليل. لم ترغب في المرور بنزّل أندريه حتى لا تخرجه، فكل مرة يراها يصبر على أخذ ما معها من طعام وينفحها مبلغًا ماليًا جيدًا. رجل كريم ولكنها لا تريد استغلاله، خاصة بعد أن رفض رهن صندوقها وأعطاه ما فيه القسمة حينها.. لا يعلم أحد في البلدة أن زرجينة، البلطجي ومدمن ومروّج المخدرات، هو ابن أختها الراحلة. لا تريد أن ينزاح الستر عن ذلك الأمر وإلا لنظر لها الجميع نظرة أخرى. لا يكف زرجينة عن طلب المال، ثم بات يهددها بإفشاء علاقته بها، عرف نقطة ضعفها واستغلها. شعرت بدمعة دافئة تنزلق على وجنتها فتعجبت، ظنت أن مقلتيها قد أصبحتا عقيمتين، فامرأة وحيدة مثلها أكل الزمن عليها وشرب وبال، فقدت رفاهية البكاء. قامت تُلهي نفسها في العمل فلا قيمة لاجترار الأحزان.. أخرجت من المجدد أكياس اللحم والدجاج ووضعتهم

في الحوض كي يسبحوا بحلول الفجر فتطبخهم وتُعد بقية الأصناف لتقف على الممشى في موعدها اليومي بحلول أذان الظهر. تحمد الله أن أصبح لها زبائن ثابتون يكفلون لها دخلاً لا بأس به، ولولا زرجينة لوصفته بالدخل الوفير، ولكن ما عساها أن تقول.. أمر الله. حاولت التهوين على نفسها فابتسمت قائلة إنها برغم بلطجة زرجينة وكونها امرأة وحيدة تشقى على أكل عيشها بلا سند، إلا أنها على الأقل نجت من برائن السفاح. تذكّرت روز برقتها وحنوها عليها فنزلت دمعة جديدة.. ماذا دهاها الليلة؟! ثم من يكون ذلك السفاح الذي أقصّ أمن المدينة وتجراً على نسائها.. حاولت حصر الرجال الذين تعرفهم وهم كثر، استطاعت مع الزمن تقييم المترددين عليها منهم وتقسيمهم إلى مجموعات حسب نظراتهم لها. هناك المحترمون وهم قلة، ثم المتبجحون ذوو النظرات اللزجة وكأن الجنيهاً التي يدفعونها تتيح لهم النظر إليها كما يحلو لهم.. ثم هناك الخطرون.. نعم.. تعرف أنهم خطرون، قنابل موقوتة من العنف لم يثن لها أن تتفجّر بعد.. ترى من منهم سَفّاح ذهب؟ أم يكون زرجينة؟!

نفث هذا الهاجس سريعاً قائلة لنفسها إن زرجينة أضعف وأتفه من ذلك، ثم تذكّرت فجأة شيئاً رأيته منذ عدة أسابيع.. في الليلة التي لم ترَ دكتورة دلال بعدها. شعرت بالقلق والتوتر يموجان في جوفها، يجب أن تسأل عن تفسير ما رأت.. ولكن من تسأل؟ حاولت الانشغال بغسل الخضر وتقشيرها ولكن الفكرة أبت أن ترحل، بل قفزت على كتفها ودللت ساقها وظلت تهمس في أذنها.. استسلمت أم الخير

للزن وقررت أن الأمر لا يمكن أن ينتظر إلى الصباح، مسحت يديها في جلبابها وفتحت باب عشتها وخرجت مسرعة، وحينما وصلت إلى وجهتها، وجدت شبحًا متسرّبلاً بالظلام يتسلل من البوابة فقررت اتّباعه عن بعد..

لم تدرِ المسكينة أن هذا القرار قد يكلفها حياتها!

استيقظت ندى بعد ليلة مؤرقة اتصل بها فيها عاصم عدة مرات، وكاد يفتحهم الفندق في المرة الأخيرة حينما تأخرت في الرد عليه لانزلاق عينيها في النوم..

بيد أنها وبالرغم من أرقها وليلتها المتعبة إلا أنها كانت سعيدة.. فهي بخير لم يصبها مكروه وطمأنها عاصم أن أندريه عاد قبل الفجر وانضم لكاترينا، وعبدالكريم أبلغه أن غنى ظلت تحت عينيه حتى شروق الشمس، ولم تردهم أي بلاغات جديدة.. كانوا جميعًا في أمان.

جلست على الفراش ولم تدرِ ماذا ستفعل اليوم، اهتمام عاصم بها وقلقه عليها دغدغ دفاعاتها من جديد.. هل تعطي علاقتهما فرصة أخرى؟ أرادت أن تتصل بشيرين وتحكي لها وتأخذ رأيها، ولكن نظرة منها للساعة ذكرتها بأن شيرين ستكون قد خلدت للنوم منذ عدة ساعات.. ثم قررت أنها لا تريد رأي شيرين، حان الأوان أن يكون لها صوتها الخاص إذا أرادت أن يتحرر عاصم هو الآخر من والدته

ويحصل على صوته الخاص.. إنها معركتهما مع نفسيهما ويجب أن يخوضاها ويتخطياها كي يصلا لبعضهما بعضًا، هي لا تضمن أن يفعل هو ذلك، لكنها تريد أن تقوم بالجزء الخاص بها، ستفوز بنفسها وإن خسرت.

أعلن هاتفها وصول رسالة من عاصم، يطلب منها أن تستعد ليمر بها في الثالثة عصرًا كي يصطحبها إلى مطعم كاترينا. رفر قلبها.. هذه هي المرة الأولى التي يدعوها فيها عاصم إلى الطعام وحدهما، وستكون المرة الأولى لها أيضًا التي تتذوق فيها طعام كاترينا الذي يتحاكون عنه. شعرت بأن توقيت الرسالة وهي في خضم حيرتها وتخطبها تجاه علاقتهما لهي علامة كي تمضي قدمًا وترى ماذا سيحدث. تحمست للفكرة وتمنت ألا ترد عاصم أي بلاغات اختفاء حتى موعدهما..

وقد كان لها ما تمت.

مؤقتًا!

مر بها عاصم في مواعده وأبدى إعجابه بتنويرتها الهندية المزخرفة بأفيال ونباتات وزهور زاهية، والتي ارتدت عليها قميصًا قطنيًا أبيض، ربطت طرفيه من الأمام على شكل عقدة. تذكّرت كيف خططت لأخذ سراويلها المريحة فقط لرحلة دهب، وإصرار شيرين على أن تأخذ معها ملابس متنوعة كي تحضر بها حفلات السمر في المساء. إنها مدينة لشيرين كالعادة.

وصلا إلى مطعم كاترينا في تمام الثالثة والرابع، وجلسا على منضدة صغيرة بجوار الحائط المزين باللوحات والستائر المخملية الحمراء، يتنسمان الهواء البارد للقاعة المكيفة بعد حرارة منتصف النهار بالخارج. أقبلت عليهما كاترينا ترحب بهما في حيوية افتقدتها عاصم فيها الفترة الماضية، وأيقن أن المطعم هو مكانها الطبيعي الذي تفتتح فيه وتعود إلى طبيعتها. راقبها وهي ترتب الطاولات وقد بدا عليها الإرهاق وظهرت بقعتا عرق أسفل ذراعيها، فرشت المفارش ذات المربعات البيضاء والحمراء، ثم المفارش البيضاء فوقها، وآنية الزهور الصغيرة في وسط كل منضدة لتوحي بأجواء إيطالية مميزة، لم يرها تفعل ذلك من قبل، كان دومًا يصل إلى المطعم في موعده ليجده جاهزًا تمامًا لاستقبال الزبائن، إلا أنه تذكر عدم وجود فائزة وأنها لم تأت بأخرى بعد. أنهت ما تفعله ومرّت بهما في طريقها للمطبخ فوعدتهم بأطباق لن تُنسى.

ووفت كاترينا بوعددها.

فعلى أنغام صوت وردة والألحان العبقريّة لبليغ حمدي، قطعت ندى قطعة من اللحم ووضعتها في فمها، اتسعت عينها غير مصدقة طراوتها وهي تلوّكها في بطن، فتذوّب في فمها بلا مقاومة تُذكر لتملأه بعصارة لذیذة امتزجت مع الصلصة المُتبلّة بعناية، فأغمضت عينها لتُحلّق في سماء اللذة، مستمتعة بتجربة أكل لا تُنسى. انتظر عاصم حتى عادت إلى أرض الواقع، ثم أخبرها مبتسمًا بأن كاترينا تترك اللحم أكثر من عشرين ساعة في الموقد على نار هادئة، وتستخدم

خلطة توابل سرية أحضرتها معها من إيطاليا، ثم أصبحت تستوردها لحسابها من زنجبار.

أطربت ندى أسماع كاترينا بالإطراء فابتسمت في حبور وأصرّت أن تقدم لهما أطباق الحلوى الإيطالية «التيراميسو» هدية منها، برغم طقوس عاصم المعروفة بتناول حلوى «الكريم بروليه» من يدي أندريه. لم تستطع ندى مقاومة أصابع الكيك الهشة المشبعة بالقهوة، الغارقة في طبقة غنية من كريمة جبن الماسكاربون اللذيذة، فأنهت قطعها كاملة. وبعد ساعتين من دخولهما، خرج عاصم وندى معًا من المطعم متخمين وغير قادرين على التنفس من فرط ما أكلوا. وبرغم أشعة الشمس اللاهبة، طلبت ندى من عاصم أن يتجولا معًا في ظل الجبل الشاهق لبعض الوقت، قاوم عاصم شعوره بالمسئولية تجاه القضية التي لم تزل قائمة حتى ولو لم يضرب السفاح من جديد.. أراد أن تستمر لحظاته الهائلة مع ندى إلى أبعد ما يمكن، فقرر مد فترة راحته ساعة إضافية، واقتراح عليها أن يصعدا إلى أعلى الجبل، حيث الاستراحة البدوية، ليشربا الشاي الزردة والقهوة على الرمل، وسط هواء الجبل العليل والأجواء البدوية الساحرة. تحمست ندى للفكرة ولم يكادا يضعان أقدامهما على السلالم الحجرية حتى رنَّ هاتف عاصم، أتاه صوت أندريه يهتف:

- لقد فعلها السفاح!

الضحية الخامسة

كاد عاصم يفقد توازنه إثر عبارة أندريه..

- ماذا تقول؟

- أم الخير..

- ماذا أصابها؟

- لم أجدها في مكانها المعتاد بالمشى، ولم يرها أحد منذ الصباح، وهاتفها مغلق. أنا ذاهب إلى محل سكنها الآن أرجو أن تقابلني هناك.

زفر عاصم وهو يقول:

- سأتيك حالاً.

أنهى المكالمة فسألته ندى بصوت مرتعش:

- هل فعلها المجرم؟

أجابها وهو يتجه نحو سيارته:

- لا ندرى بعد.. أرجو أن يكون أندريه مخطئاً.

وبعد دقائق نزلت ندى أمام مدخل الفندق، ثم عاد عاصم إلى الطريق الرئيسي وانحرف يمينًا نحو المنطقة الواقعة مقابل الكمين الأمني الدائم، حيث تتناثر عشب البدو المشيدة من الخوص والخيزران وأحيانًا ألواح الخشب القديمة. ترجل من السيارة وتلفت حوله فرأى أندريه واقفًا أمام إحدى العشش يشير إليه. اقترب عاصم من العشة فوجد بابها مواربًا، دفع الباب ودخل فوجد المكان نظيفًا ومرتبًا من الداخل وأواني الطبخ المصنوعة من الألمنيوم مرصوفة في برج صغير من الأكبر إلى الأصغر، تلمع من الخارج كأنها جديدة لم يمسه أحد.

تبادل الرجلان النظرات، ثم قال أندريه:

- لقد أصابها مكروه.. أنا متأكد.

- لا تسبق الأحداث يا أندريه، أم الخير متغية منذ بضع ساعات فقط.

- هي لم تغب عن الممشى أبدًا، وليس لديها أقارب كي تذهب إليهم.

تلفت أندريه حوله ثم اقترب من الحوض المعدني الصغير بجوار الموقد في ركن العشة وهتف:

- انظر! هذا هو الدليل.

نظر عاصم في الحوض فوجد عدة أكياس بلاستيكية بها لحم مفروم وسجق وقطع دجاج كلها نيئة وقد نزلت منها الدماء وقفت عليها ذبابة أو اثنتان.

- لقد أخرجت اللحوم من المُجمّد مساء أمس كي تطبخها فجرًا
كما اعتادت.. أم الخير خرجت من هنا على أنها ستعود.

أكمل عاصم عبارته في بطاء:

- ولكنها لم تُعد!

اجتمع عاصم مع عبدالكريم وندي في غرفة مكتبه بالقسم،
قال عبدالكريم:

- هذا أسرع اكتشاف اختفاء في السيدات الأربع.. إنها فرصتنا
للقبض على المجرم.

سألته ندي:

- هل تظنها لا تزال على قيد الحياة؟

أشاح عبدالكريم بوجهه ففهمت الإجابة وأطرقت في حزن. ضرب
عاصم سطح طاولة المكتب بقبضته وصاح بصوت جهوري:

- هذا ليس وقت اليأس، بل وقت العمل.. ماذا لدينا؟

انتقل بعض حماسه لعبدالكريم فقال:

- سأستجوب الجميع حول أماكن وجودهم أمس وأتأكد من
وجود شهود يدعمون كلامهم.

انخرط عبدالكريم مع عاصم في حديث متخصص حول آليات
الاستجواب وتوزيع القوات الأمنية وغيرها من التفاصيل الفنية التي

أشعرت ندى بالملل، ففتحت هاتفها تزجي به الوقت فوجدت رسالة من زيكاس: «هل رأيت منشوراته؟ ما رأيك؟»

تذكرت ندى كلامه عن حمادة أمس وتعجبت من أنها نسيت الأمر، نظرت إلى الرابط وتوجست.. ماذا لو كان رابطًا مزيفًا لاختراق هاتفها؟ ثم نفضت الفكرة عن رأسها غير راغبة في الانسياق لنظريات المؤامرة، ضغطت على الرابط لتظهر أمامها صفحة حمادة وبها صورة حديثة له وهو يتسم ابتسامة واسعة لمعت فيها أسنانه وصلعته وقد شبك يديه أمام صدره لتظهر ساعته الثمينة بوضوح. سحبت مؤشر الصفحة إلى أسفل تتساءل إن كان زيكاس محققًا فيما قال، فوجدت منشورًا يعود تاريخه إلى يومين يُعلّق فيه حمادة على حادثة العريس الذي ضرب عروسه في يوم الصباحية، قائلًا إن ضرب المرأة هو الوسيلة المثلى لإخضاعها، وإن الرجل الذي لا يُصَبِّح امرأته كل يوم بـ«عَلَقَة» لا يُعَدُّ رجلًا. شحب وجهها وهي تسحب المؤشر إلى الأسفل بحثًا عن المزيد من المنشورات، فوجدته قد شارك منشورًا قديمًا لداعية اعتبرته ندى دومًا مثيرًا للجدل، يعزو فيه سبب التحرش لما ترتديه الفتيات، وقد علّق عليه حمادة موافقًا إيّاه على رأيه وداعيًا الشباب لتأديب الفتيات «الكاسيات العاريات» في الشوارع، فقفزت صورة جاسر إلى مخيلة ندى لتجعل الدم يغلي في عروقها.. ثم تذكرت كيف اعتذر حمادة ورحل مبكرًا في الليلة السابقة فارتجفت. لاحظ عاصم شحوبها المفاجئ فقطع حديثه مع عبدالكريم ليسألها:

- ندى، ما الأمر؟

مدّت له هاتفها في صمت، فأمسكه وقرأ المكتوب فتغير وجهه
وأعطى الهاتف لعبدالكريم الذي هتف:

- لقد تركنا مبكرًا أمس.

- اذهب لإحضاره على الفور.

عاد عبدالكريم خالي الوفاض وقد قاربت الشمس على المغيب..
لم يجد حمادة لا في شقته المستأجرة في إحدى البنايات السكنية
القريبة من الجبل، ولا في عيادته الواقعة في أحد المباني المطلة على
الممشى.. وحتى هاتفه وجده غير متاح!

قالت ندى:

- باختفائه وقّع وثيقة اتهامه.

حكّ عاصم ذقنه قائلاً:

- ليس بعد يا ندى.

- ألم ترَ ما كتب على صفحته؟

- الآلاف يكتبون مثل تلك المنشورات كل يوم ولكن ذلك لا
يجعلهم خاطفين ولا قتلة.

- المسألة ليست فقط ما كتبه على صفحته، وإنما التناقض بين ما
كتبه وبين معاملته لنا كنساء، هل لاحظت كيف يتسم بتكلف، وكلماته

المعسولة وتزلفه المبالغ فيه.. هذه تصرفات رجل مريض تؤهله بشدة ليكون رجلنا المنشود.

أطرق عاصم متفكرًا فناشدته:

- على الأقل حذر المقربين منه. كاترينا وسفيتلانا.

تدخل عبدالكريم قائلاً:

- لقد لاحظت نظراته لغنى أمس.. يجب أن نحذرها هي أيضًا.

ثم لاحظ شرود عاصم فسأله:

- ما الذي يدور في خلدك يا سيادة المقدم؟

- لماذا أم الخير؟

انبرت ندى مجيبة:

- المسكينة لم يكن لديها مَنْ يحميها، هي الوحيدة من النساء المرتبطات بالنُّزُل التي تُركت وحيدة ليلة أمس، وإذا كان المجرم يختارهن عشوائيًا بتوافر الفرصة فهي كانت الفرصة الأنسب.

هزَّ عاصم رأسه غير مقتنع، فقالت ندى:

- إن لم يكن هو فَمَنْ؟

- جاسر.. زيكاس.. أندريه.. نحن لم نعرف بعد حجة غيابهم، وربما شخص آخر لا نعرفه.

قفزت إلى مخيلة ندى صورة شخص ضخم الجثة، قوي البنية، قليل الكلام، ذي لمحة قسوة في عينيه فهتفت فجأة:

- أين دياب؟ لم نره الأيام الفائتة.

تبادل الرجلان النظرات، ثم قال عاصم:

- دياب سائق نقل ثقيل يعمل بين دهب والقاهرة، تغيبه لعدة أيام أمر طبيعي.. ولكن سنتأكد من حجة غيابه هو أيضًا، لا نريد ترك أي ثغرة.

أكد عبدالكريم على كلام رئيسه قائلاً:

- سأحقق في حجة غياب كل من هؤلاء الرجال وأخبركما بالمستجدات.

وجَّهت ندى كلامها لعاصم قائلة بتوسل:

- ألا يمكنك توزيع أوصاف حمادة على الكمائن احتياطيًا؟ ربما كان في طريقه للهرب الآن.

أجابها باقتضاب وألف فكرة تدور في عقله:

- سنقوم باللازم.. حان موعد عودتكِ إلى الفندق.. هيّا بنا.

عاد عاصم إلى القسم مجهّدًا تتوق عيناه للنوم، إلا أنه أقسم بينه وبين نفسه ألا يغمض له جفن حتى يقبض على المجرم، إذ لم يبارح مخيلته وجه أم الخير الطيب.. وقف أمام لوحة الضحايا والجنّة يضيف اسمها بغضب عاجز. وما زاد الطين بلة المكالمة التي وردته من القيادات في القاهرة، والتوبيخ الذي ناله لتفشي أمر سفاح دهب

بين العامة. أخبره رئيسه بأنهم بصدد إرسال فريق متكامل وعليه أن يسلمهم جميع ملفات القضية، كما ستصدر تعليمات بإبلاغ جميع الفنادق بتحذير النزلاء، وسيعلن حظر تجوال في المدينة ساعات الليل وبضع ساعات من النهار. شعر عاصم بغصة وهو يستمع إلى تلك الإجراءات، على عاتقه تقع مسئولية حماية هذه المدينة الساكنة وبسط الأمن فيها، ما ذنب أصحاب الفنادق والمحال والعاملين بالمدينة كي تنهار الأمور بهذا الشكل؟ نجح عاصم بصعوبة في تأجيل تنفيذ تلك القرارات لمدة 24 ساعة، وقد وضع استقالته على المحك في مغامرة متهورة منه وغير محسوبة وبلا أي مداد. ولم يكدينهاي المكالمة حتى قابلته عاصفة جديدة، ولكن هذه المرة من الداخل. احتجَّ عبدالكريم على قرار عاصم بتأجيل إرسال الفريق المختص معلناً بآس أنهما باتا عاجزين عن الوصول للجاني، وبحلول الصباح سيكون قد مرَّ أسبوع كامل على أول بلاغ عن اختفاء إيما، ومنذ ذلك الحين لم يتقدموا ولو خطوة واحدة نحو القبض على المجرم. زفر عاصم نفساً عميقاً ثم جلس على كرسيه المنحول قائلاً في هدوء:

- أنت مخطئ. لقد كشفنا التشكيل العصابي الخاص بالدكتور سعيد، وألقينا القبض عليهم وأزحناه عن طريق شكوكنا.

- ولكن أم الخير ذهبت ضحية.

- هذا اليأس سيهزمنا. لا بد من وجود ضحايا للقاتل، ولكن الأمر بأيدينا كي نوقفه وننقذ حيوات أخرى من أن تتحول إلى ضحايا.

- حسنًا.. ماذا سنفعل؟

- أنت ستذهب الآن لأخذ قسط من النوم كي تكون في أفضل حالاتك في الصباح لاستجواب المشتبه بهم والتثبت من حجج غيابهم.

- وأنت؟

أشار عاصم نحو اللوحة على الحائط قائلاً:

- سأبقى هنا لأدرس جميع تفاصيل القضية مجدداً، بالتأكيد أهملنا شيئاً ما.

الصندوق الخشبي

فتح عاصم عينيه بغتة على صوت طرقات. اكتشف أنه سقط صريعًا للنوم لبضع دقائق بعد ليلته الطويلة. اعتدل في كرسيه وقد تيبست مؤخرته وسرى فيها تنميل مزعج. دلف أندريه من الباب فهاهنا عاصم ما آلت إليه حالته، فدعك عينيه ليتأكد أن هذا الشكل ليس من تصميم أحد كوايبسه. أندريه الرجل الفرنسي الأنيق على الدوام الذي لم تنم شعيرات ذقنه يومًا واحدًا ولم تتفرق خصلات رأسه أبدًا ظهر أشعث الشعر وقد طالت لحيته فظهرت شعيراتها التي غزاها الأبيض، لتكسبه عمرًا فوق عمره.

- ما الأمر؟

هتف عاصم في قلق، فرمى أندريه بنفسه على المقعد أمام طاولة المكتب قائلاً:

- لا أصدق أنني سأخبرك.

صمت عاصم مستحثًا الرجل على الكلام، فلم يلبث أن أردف:

- إنها كاترينا..

قفز عاصم من على كرسيه:

- اختفت؟

- لا لا.. بل على العكس..

لم يفهم عاصم كلام أندريه الملغز فطلب له كوبًا من الليمون
بالنعناع وحثه على شربه حتى هدأ قليلاً ثم سأله:

- ما بالها كاترينا؟

- وجدت لديها شيئًا يخص أم الخير.

قفزت إلى مخيلة عاصم صورة حلية ذهبية جديدة، إلا أن أندريه
أردف:

- صندوق خشبي مُطعمٌ بالنحاس ورثته أم الخير عن والدتها
وكانت تحتفظ فيه بملابسها. رأيت الصندوق صباحًا في غرفة
كاترينا.

- وكيف تأكدت من أنه لأم الخير؟

أشاح أندريه بوجهه ولم يرد ممّا ترك لذهن عاصم العنان لتخيل
الأسوأ، سأله مجددًا:

- هل أنت متأكد؟ وهل طلبت منها تفسيرًا؟

- أعرف الصندوق جيدًا، ولكنني لم أسأل كاترينا، أنت تعرف
كيف هي العلاقة بيننا هذه الأيام.

- سأحصل على إذن من النيابة ونذهب للتفتيش.

- لا داعي للإذن، يمكننا فعل ذلك وديًا بعد أن تذهب كاترينا إلى المطعم.

ابتلع عاصم ريقه وأخذ يتأمل أندريه، ترى هل هو صادق؟ تساءل إن كان يعرفه حق المعرفة، متذكرًا مقولة أبيه المفضلة: «تعرف فلان؟ أعرفه. عاشرته؟ لا.. يبقى ما تعرفوش». قال لأندريه:

- حسنًا.. عُد أنت إلى التُّزل وسأمر عليك.

امتلأ أندريه لكلام عاصم فقام واتجه نحو الباب وكأنه رجل آلي ممّا أثار ريبة عاصم أكثر، وأثناء خروجه ظهرت ندى التي تابعتة بناظرها حتى خرج، ثم قالت:

- ماذا دهاه؟

ثم انقبض قلبها وهي تسأل:

- كاترينا.. هل أصابها مكروه؟

- بل على العكس..

أثارت عبارة عاصم حيرة ندى تمامًا كما أثارته حينما قالها أندريه، ففسر لها الأمر سريعًا. بدت على ندى ملامح الاشمئزاز:

- هذا الرجل، إن لم يكن هو المجرم، فهو رجل سيئ للغاية.

- سيئ!

- يأتي ويلفت الأنظار لزوجته وكأنها مجرمة، هكذا دون أن يسألها أولاً عن مصدر الصندوق؟ أندريه يدّعي أنه يحب كاترينا، لكنني لم أستشعر هذا الحب أبداً. لا في نظراته لها ولا في تصرفاته معها. حينما أراهما معاً أشعر بأنه يريد الهروب.. أرى ذلك في عينيه.

أوماً عاصم برأسه متفكراً، لم تخطر له هذه الفكرة من قبل، لكن حينما ذكرتها ندى وجد لها قبولاً في عقله. أندريه كان مغرماً بروز وكأنه قبل كاترينا فوق البيعة ليحصل على روز كابنة بديلة. والآن ذهبت روز، ماذا سيفعل مع كاترينا؟ كرهه أن يفكر فيه كمجرم وضع يقتل النساء، ثم ما الدافع؟

قطعت ندى أفكاره بسؤالها:

- هل تفعلها أنت؟

- ماذا؟

- تبلغ عن زوجتك كما فعل أندريه؟

ابتسم عاصم لسؤالها ثم ردّه إليها قائلاً:

- هل تفعلينها أنت؟

- إذا تزوجت شخصاً فسيكون ذلك عن اقتناع وعن حب، ولذلك سيتطلب الأمر شيئاً أكبر بكثير من وجود صندوق خشبي كي أشك فيه، ثم حينها سأفضي له بشكوكي وسأستمع لتبريره، سأعطيهِ فرصة واثنان وثلاث قبل أن أغلق قلبي من دونه.. وإن فعلت، فلن أكون على ذمته حين آتي للإبلاغ عنه.

أعجب عاصم بمنطقها وهَمَّ بالرد عليها لولا دخول عبدالكريم
وقد تسارعت أنفاسه، فسأله عاصم متعجلاً:

- هل من جديد؟

- حمادة ليس رجلنا.. وجدته مصاباً بنزلة معوية حادة ونزيراً في
قسم العناية المركزة بمستشفى ذهب العام.

- والآخرين؟

- الجميع لديهم حجب غياب متينة، وكأن هناك مؤامرة كونية
ضدنا.

- التفاصيل؟

- جاسر سهر طيلة الليل مع غنى وسفيتلانا في قاعة الرقص
بالفندق.. أنا شخصياً شاهد على وجوده. زيكاس كان في البازار
حيث أتته مجموعة من السياح الروس لدق الوشوم فاستغرق الليل
بطوله للانتهاء من طلباتهم، وقد تأكدنا منهم بالطبع عن ذلك.

- ودياب؟

- دياب وصل من القاهرة فجر اليوم كما أفاد ضابط الكمين.

- هل تحققت من حجة غياب أندريه؟

ظهر الاستغراب على عبدالكريم من سؤال عاصم.

- أندريه قضى ليلته في البار حتى قبيل الفجر بقليل، وقد شهد
بذلك الساقى وبعض أصدقاء أندريه، ثم عاد إلى التُّزل وانضم إلى

كاترينا التي شهدت بذلك، كما شهدت أن مرعي لم يفارقها منذ أن عادا من المطعم.

- هل يعني هذا أن كاترينا ظلت مستيقظة طوال الليل؟ بالتأكيد لا.

- هل تشك في كاترينا؟

- بل أقول إن شهادتها ليست كافية كحجة غياب لأندريه أو مرعي.

تدخلت ندى في المناقشة قائلة:

- ولماذا تكون كاترينا فوق الشبهات؟

- نحن نبحث عن رجل في أواسط العمر، هكذا يقول النمط الإجرامي.

- لا شيء يحول دون أن يكون المجرم سيدة.. أنا لا أتهم أحداهن بعينها ولكنني أقول لا أحد فوق الشبهات.. وحجج الغياب هذه منهم فيهم، نحن لا نعرفهم جيدا ولا نعرف مَنْ قد يكون متواطئا مع مَنْ.

أخذ عاصم نفسا عميقا ثم أخرجه ببطء من فمه قبل أن يقول لعبدالكريم:

- ندى محقة في مسألة كون الشهود من دائرة واحدة ممّا قد يجعل شهادتهم لبعضهم غير صحيحة، أو على الأقل غير دقيقة. قُم بتفريغ كاميرات المراقبة في الفندق للتأكد من حجج غياب جاسر وسفيتلانا،

وكذلك عند البازار للتحقق من زيكاس، وكاميرات البار والتُّزل
للتحقق من مكان تواجد كل من أندريه ومرعي وكاترينا طيلة الليل،
وابحث عن أي كاميرات مراقبة في محيط سكن أم الخير لعلنا نعرف
في أي اتجاه ذهبت.

- سيأخذ هذا الأمر وقتًا..

- ليس أمامنا سوى هذا المسار.

- لو طلبت تفريغ كاميرات التُّزل سيغضب أندريه.

رفع عاصم عينيه المتعبتين إلى عبدالكريم بنظرة فهمها مرؤوسه،
فانطلق يفعل ما كُلِّف به. تذكرت ندى شيئًا فسألت عاصم:

- أين دفتر روز الأحمر؟

- فيمَ تفكرين؟

- روز هي التي بدأ عندها الأمر كله. دفترها سيكشف مَنْ هم
أصداؤها المقربون، أحلامها وطموحاتها، وقد يدلنا ذلك على
معلومة غائبة أو على شخص ما.. حتى الآن سمعنا من المحيطين
بروز ولكننا لم نسمع منها هي. ماذا لو كان أمر السفر كله مختلًا من
أندريه؟

- مسكين أندريه، لقد علقَتِ على شماعته كل الخطايا.

- هذا ليس قصدي.. ولكن هل تذكر كيف رسمت مذكرات نجية
شخصيتها في عيني وأرشدتني إلى الحقيقة في قضيتنا السابقة؟ ربما

يفعل دفتر روز كذلك، سأستطيع تحليله بخبرتي في علم النفس وربما أجد فيه ما يشير إلى القاتل.

- حسنًا.. سأذهب الآن للتحقيق في مسألة صندوق أم الخير، وسأسأل أندريه عن الدفتر وأخبرك.

تنحنحت ندى فنظر إليها عاصم متسائلًا، صارحته بشكوكها
قائلة:

- إن كان أندريه هو الفاعل فلن يعطيك الدفتر. أقترح أن تباعته باستصدار أمر من النيابة بالتفتيش.

عودة إلى نقطة الصفر

في غرفة كاترينا.. وأمام صندوق خشبي قديم مُطعم بالنحاس، وقف عاصم مع أندريه. استغرب عاصم عندما تقدّمه أندريه إلى غرفة صغيرة يتوسطها سرير فردي قائلاً إنها غرفة كاترينا، علّق دون موارد:

- تنامان في غرفتين منفصلتين؟!

- هذه كانت رغبتى حينما تزوجنا. لقد عشت طويلاً في وحدة وكان من الصعب عليّ أن يشاركني شخص آخر غرفتي.

- حتى لو كانت زوجتك؟

ابتلع أندريه ريقه ولم يعقب، فالتفت عاصم نحو الصندوق، صندوق ثقيل يبدو عليه القدم.

- هل أنت متأكد أنه يخص أم الخير؟

رفع أندريه غطاء الصندوق وأشار لنقش صغير في ركنه الداخلي قائلاً:

- انظر! هذه العلامة خاصة بأسرتها. لقد مرّت أم الخير بضائقة مالية منذ عدة أشهر وأرادت أن ترهنه وطلبت منّي أن أئمنه، ولكنني رفضت بعد أن عرفت أن الأسر السيناوية تتوارثه كإرث عائلي يضعون فيه أغراض العروس حين زفافها، أعطيت أم الخير حينها مبلغاً من المال فكّته به ضائقتها، وحينما علمت كاترينا ذلك غضبت كثيراً، أنت تعلم كم هي مولعة بالأنتيكات.. أرادت مثل هذا الصندوق بشدة وقد أوصت بائع الأنتيكات الذي تتعامل معه أن يبحث لها عن صندوق مماثل، إلا أنه أخبرها بأنها لن تجد أسرة سيناوية تقبل التفريط فيه.

- ربما يكون ملكاً لشخص آخر من أسرة أم الخير.

- صندوقها لم يكن موجوداً بعشتها أمس، فلا تقنعني أن الأمر مصادفة.

- حسناً.. قبل أن أتعامل مع الأمر رسمياً، أريدك أن تسأل كاترينا من أين جاءت به؟ هل يمكنك أن تفعل ذلك الآن؟

أوما أندريه برأسه وأخرج هاتفه واتصل بكاترينا التي ردت عليه مندهشة من اتصاله بها خلال اليوم، فسألها عن الصندوق وتلعثم حينما سأله عن سبب دخوله حجرتها، فتعلل ببحثه عن دواء مُسكّن للصداع، أخبرته كاترينا بأن تاجر الأنتيكات اتصل بها مساء أمس وأخبرها بأنه وجد صندوقاً مثل الذي تريده، وأرسل لها صورته على هاتفها المحمول، ف وقعت في غرامه على الفور وطلبت منه إحضاره وأنقذته ثمّنه فوراً. أجابها أندريه ببضع عبارات غير مترابطة توحى

بالمباركة، ثم أنهى المكالمة وأعطى عاصم اسم تاجر الأنتيكات الذي ميّزه على الفور وقرّر استجوابه لاحقاً..

خرج أندريه من الغرفة متوقعاً أن يلحق به عاصم إلا أنه وجد عاصم يناديه:

- أندريه.. هناك أمر يجب أن أخبرك به.

ثم اتجه نحو النافذة ورفع الستارة مشيراً للعدد من أفراد الأمن يقفون بالأسفل في ساحة التّزلّ قائلًا:

- لدينا أمر بتفتيش غرفة روز.

احمرّ وجه أندريه وصرخ:

- ماذا؟! كيف؟ أنا لن أسمح لأحد بتدنيس غرفة ابنتي.

- اهدأ يا أندريه.. هذا إجراء روتيني تم مع كل من اختفين.. ألا تريد أن نصل للمجرم؟

تردد أندريه قبل أن ينكس رأسه قائلًا:

- حسنًا.. افعلوا ما تريدون.

قالها وخرج من غرفة كاترينا نحو غرفة روز ففتح بابها وأشار لعاصم بيده، ثم ابتعد وجلس في غرفة الجلوس ميمّمًا وجهه العابس شطر النافذة.

استدعى عاصم القوة الأمنية للتفتيش ووقف خارج الغرفة يراقبهم وهم يقلبونها رأسًا على عقب. كان قد أخبرهم بأن الغرض من التفتيش هو

العثور على دفتر جلدي أحمر، وأوصاهم بالرفق، ولكنهم لم يجدوا مفرًا من تمزيق حاشية الفراش حينما لم يجدوه في أي مكان آخر بالغرفة، وبالفعل وجدوه بداخلها وسلّموه لعاصم الذي عاد به لأندرية. شحب وجهه حينما رآه. تساءل عاصم إن كان ذلك الشحوب علامة على أنهم سيجدون بداخله أسرارًا قد تدينه، أم لأنه دليل آخر على عدم اختفاء روز بإرادتها.

قال أندرية بصوتٍ مهزوز:

- هذا الدفتر ملك لنا، وبه أسرار تخص روز.

- سنعيده لكما بالطبع، ولكن يجب أن نفحصه أولاً.

- بماذا سيفيدكم الفحص؟

- هذا عملنا يا أندرية، أرجو أن تتفهم..

هزّ أندرية رأسه يمينًا ويسارًا في أسى وهو يشير نحو غرفة روز قائلاً:

- سيُجن جنون كاترينا حينما تعرف بما فعلتم.. لن تغفر لك ذلك أبدًا.

زفر عاصم وأراد أن يخبر أندرية بأنه إنما يفعل ذلك من أجله، وأجل ذوي الضحايا الآخرين، إلا أنه أثار الصمت.

اتجه عاصم نحو متجر الحاج عرفة للأنتيكات، الذي لم يكن يبعد عن النُّزل كثيرًا. دفع عاصم الباب الخشبي المُطعم بالمرايا الصغيرة

ودخل إلى المتجر البارد، كان المكان معتمًا بالداخل وقد خلا من الزبائن، فبدت التماثيل وقطع الأنتيكات كأشباح ضخمة تملأ المكان وتتلاعب بظلالها على الجدران. اعتادت عينا عاصم العتمة بالداخل فبحث بعينه عن الحاج عرفة خلف طاولة مكتبه الخشبي العتيق، فلم يجده ووجد مكانه ابنه الأكبر سالم. وقف الشاب بقامته الطويلة المهية ومد لعاصم كفه مصافحًا في إباء أقرب للكبر بينما أطلَّ الحذر من عينيه الجاحظتين. سأله عاصم عن الصندوق الذي أخذته كاترينا فتبدد الحذر من عيني الشاب وظهر ارتياح جزئي على محيَّاه وهو يخبره بنبرته المتمهلة بأن أم الخير قد أتت بنفسها إلى المتجر منذ يومين وأخبرته بأنها تريد بيع الصندوق، فرحب بها ونقدها الثمن الذي طلبته، ثم انتظر يومًا تحسبًا لتراجعها عن البيع، فهو خير من يعرف قيمة تلك الصناديق لدى أصحابها، ولكن حينما لم تظهر أم الخير ثانية اتصل بكاترينا التي فرحت ووافقت على الثمن الذي طلبه والذي بلغ ضعفي ما دفعه لأم الخير. شكره عاصم وخرج من المتجر يتفكر فيما أدلى به من معلومات، ذلك الشاب لديه ما يخفيه ويجب عليه العودة إليه والنش وراءه لاحقًا.

التقى عاصم بندي في المقهى الملحق بالفندق الذي تقيم فيه. كانت تنتظره في بقعة ظليلة وأمامها كوبان من عصير الليمون المثلج. حكى لها عن الصندوق وعن الدفتر الأحمر فقالت بلهفة:

- أعطه لي..

- إنه يُعتبر من ضمن أحرار القضية.

- ماذا تعني؟

- يجب أن أسلمه لفريق البحث الجنائي.

رمقته ندى بنظرات غاضبة قائمة في حق:

- أنا التي أخبرتك عنه.. إنه اكتشافي.. وأنا سأستطيع فك شفرته.

- هناك طريقة..

تبدلت نظراتها للأمل.

- بعد الانتهاء من فصحه بواسطة البحث الجنائي يمكن انتدابك

كأخصائية نفسية، وهكذا أستطيع تسليمك إيَّاه بصورة رسمية.

- حسنًا سأنتظر.

قالتها بنبرة شابها الإحباط، ثم عادت فقالت:

- هل يمكن على الأقل أن تصوّر لي صفحاته الأولى بهاتفك كي

نكسب وقتًا؟

أوماً عاصم برأسه فتنهدت في ارتياح، ثم سألته:

- بخصوص الصندوق، لماذا رهنته أم الخير؟ هل وجدتم في

عشتها شيئًا قيمًا اشترته بدلًا عنه؟

- لا.. فيم تفكرين؟

- فكرة مجنونة..

ظهر التوجس على وجه عاصم فضمت أصابع كفها في إشارة له كي ينتظر تفسيرها وهي تُردف:

- هل يمكن أن تكون هي القاتلة؟ وهناك مَنْ عرف ذلك فابتزها فاحتاجت للمال كي تُسكته حتى تهرب؟ لقد كانت بنيتها قوية، أظنها قادرة على الخطف والقتل، وربما كانت الآن على بعد مئات الكيلو مترات وأنتم تحققون في اختفائها المزعوم.

- وما دافعها للقتل؟

احتارت ندى، لم تعرف بماذا تجيبه، فقد كانت فكرتها وليدة اللحظة.

- لم أفكر في الدافع، لكن لفت نظري أن المجرم لم يحاول إيها منا بأنها اختفت بمحض إرادتها، بل على العكس أشار لنا على اختفائها بترك اللحوم في حوض المطبخ كدليل واضح على أنها عزمت على العودة، ثم حال شيء بينها وبين خطتها.. لو أردت أن أعطي على هروبي لما وجدت خطة أفضل.

هَمَّ عاصم بالرد عليها فورده اتصال من عبدالكريم، أجابه واستمع في إنصات لمدة تقارب العشر دقائق بلا مقاطعة، ثم أنهى المكالمة وملاحه تشي بما أخبره به.

- ماذا حدث؟

- عدنا لنقطة الصفر.. عبدالكريم وجد ثغرات في حجج الغياب.. حتى حمادة.

قالها عاصم بغضب قبل أن يخبرها بالتفاصيل :

- حمادة لم يذهب إلى المستشفى فور مغادرته النُّزْل، بل وصله بعد منتصف الليل بساعة. وجاسر أثبتت كاميرات قاعة الرقص أنه خرج لمدة تقارب الساعة ثم عاد ثانية، عبدالكريم ظنه وسط الراقصين ولم ينتبه لتسلله تحت الأضواء الخافتة والمتراقصة لصالة الديسكو إذ كانت عيناه مثبتتين على غنى. جاسر ادّعى أنه قضى هذه الساعة في الحديقة مع فتاة أجنبية من نزلاء الفندق سافرت فجر اليوم، سنحاول الوصول إليها للتأكد من ادعائه ولكن لا ضمانات.

- وماذا عن أندريه؟

- عبدالكريم متجه إليه الآن.

قالها عاصم ثم قذف في فمه علكة نيكوتين مضغها بعنف وكأنه يفرغ فيها غضبه وإحباطه، فقالت له ندى بنبرة رقيقة:

- أشعر بأننا سنصل للمجرم قريبًا.

- أرجو ذلك.. سأذهب الآن لأساعد عبدالكريم في تفرغ الكاميرات ومشاهدة الأشرطة.. احترسي لنفسك..

قالها بنبرة دافئة دفعت الدماء إلى وجنتيها فأشاحت بوجهها، ثم عادت ومنحته ابتسامة رقيقة بددت القليل من يأسه ووحشة قلبه وأمدته بهدف جديد يسعى لإنهاء القضية من أجله. افترقا على وعد باللقاء مساء، عادت هي إلى غرفتها، وهو إلى النُّزْل لملاقاة عبدالكريم.

دفتر روز الأحمر

صعدت ندى إلى غرفتها واستلقت على الفراش وفتحت هاتفها لتجد عاصم قد أرسل لها صورًا للصفحات الأولى من دفتر روز. بدأ التدوين فيه بتاريخ نوفمبر 2015، وبحسبة بسيطة أدركت ندى أن روز كانت في الثانية عشرة من عمرها حينها. لم تكتب فيه يوميًا بانتظام، وإنما تباعدت وتقاربت التواريخ أحيانًا بفرق أيام وشهور..

حوى الدفتر في صفحاته الأولى أشعارًا مكتوبة باللغة الإنجليزية، بدت من ركاكتها أنها من تأليف روز نفسها، ودارت في معظمها حول الوحدة والملل والإحساس بالظلم من تحكم والديها والاضطهاد من المحيطين بها. أدركت ندى من خلال دراستها أن تلك المشاعر الحادة والمرتبكة هي من سمات مرحلة المراهقة التي كانت روز على أعتابها في تلك السن.

قلّبت بضع صفحات حتى وصلت لعام 2016 فوجدت الأشعار قد اتخذت صبغة رومانسية وكأن روز عاشت حينها قصة حب، تساءلت عَمَّن كان الطرف الآخر للعلاقة لتكتشف بعد عدة صفحات

أنه جاستن بيير مطرب البوب الكندي المشهور. ابتسمت وهَمَّت بقراءة الصفحة التالية لتكتشف أنها آخر صفحة صورها لها عاصم، فأرسلت تطلب منه المزيد من الصفحات حينما رنَّ هاتفها برقم غير مسجل. أجابت لتجده جاسر، هَمَّت بإنهاء المكالمة ولكنه استوقفها قائلاً:

- أريد لقاءك.. لدي معلومات هامة عن صديقتك إيما.

ألم يجد حجة أسخف ولا أقدم من هذه الحجة، فكرت ندى إلا أنه عاجلها بقوله:

- ألم تكن صديقتك ترتدي طاقمًا رياضيًا لونه أصفر فسفوري حينما اختفت؟

فَوَّت قلب ندى دقة وقد رأت بعين خيالها إيما وهي تودّعها عند باب الغرفة في مرح بالزي الذي وصفه جاسر.. تغير صوتها وهي تسأله:

- ماذا تعرف؟

- لا أستطيع إخبارك على الهاتف.. يجب أن نلتقي..

صمتت فأردف:

- لن أطلب منك مألًا بالطبع نظير المعلومات التي لدي، ولكن ما رأيك في حصة غطس، أنتِ تحتاجين لتحسين مستواكِ، وأنا بحاجة إلى المال.

أرادت أن تخبره عن مدى بجاحته ولكنها فكرت في إيما فأجابته
بصوتٍ أجش:

- سأنقذك ثمانيمئة جنيه ثمن الحصة، ولكنني لا أرغب فيها.
- كما تشائين.. قابليني بعد نصف ساعة أمام كوخ معدات الغطس
في الشارع الخلفي.

- لماذا لا نلتقي في بهو الفندق؟

- لأن لديّ مواعيد مع آخرين هناك.

توجّست خيفة وصمتت للحظة، فقال بنبرةٍ سمجة:

- هل أنتِ خائفة؟

- بالطبع لا. مَنْ تكون لتخيفني؟ سوى متحرش جبان بالطبع.

- لا داعي لهذا الكلام.. سأكون بانتظارك.

أنهت المكالمة وجلست تفكر لا تدري ماذا تفعل. تذكرت وصية
عاصم لها بعدم الخروج من الفندق إلا بصحبته، فحاولت الاتصال به
إلا أن هاتفه كان خارج نطاق الخدمة. ترى هل خرج إلى الجبل لتتبع
خيوط ما؟ لماذا لم يخبرها؟ شعرت بغیظ خفيف يجتاحها، حسناً، هي
أيضاً بإمكانها تتبع الخيوط. ثم فكّرت في كم المرات التي شاهدت
فيها أفلام تشويق وإثارة حيث تهتف بالبطلة: لا تصدقيه، لا تلقي
بنفسكِ إلى التهلكة، دون أن تسمعها البطلة بالطبع حيث تذهب إلى
حتفها في خطوة يراها كل المشاهدين غبية ومتهورة.

ترددت ثم لم تستطع كبح جماح فضولها، طمأنت نفسها بأن الوقت لا يزال نهارًا والشوارع تعج بالمصطفين، فقفز إلى مخيلتها كوخ المعدات الواقع في زقاق خلفي هادئ عادة ما يخلو من البشر، إلا أنها عاندت قلقها وقاومت إحساسها بالقرف من جاسر، وارتدت حجابها وخرجت من غرفتها بالفندق تجاه مكان اللقاء. وفي خطوة اعتبرتها ذكاءً منها وتفوقاً على بطلات الأفلام، أرسلت رسالة صوتية لشيرين تخبرها بوجهتها، ثم وضعت هاتفها في جيبها وانطلقت.

لم يتوقع عاصم مقاومة أندريه لطلبه بتفريغ الكاميرات. نظر إليه في استغراب فقال أندريه في غضب:

- هذا تعدُّ على خصوصية النُّزل ونزلائه، لقد تجاوزت كل الحدود اليوم.

- لدينا إذن من النيابة.

- أنت لا تفهم..

- أندريه، لا وقت للكلام. من فضلك تقدمنا إلى المكان المناسب كي نشاهد شرائط كاميرات مراقبة الفندق.

زفر أندريه وظهر الغضب على ملامحه، إلا أنه انصاع لعاصم واصطحبه هو وعبدالكريم نحو غرفة مكتبه وغاب بعض الوقت، ثم دخل عليهما يحمل في يده ذاكرة محمولة فضية صغيرة. وضعها عبدالكريم من فوره في جهاز الحاسب المحمول الذي بحوزته وفتح

الملفات عليها فوجد ملفًا واحدًا فقط مكتوبًا عليه «كاميرا المدخل». رفع رأسه نحو أندريه متسائلًا:

- أين بقية الكاميرات؟

أجابه أندريه بصوتٍ خافت:

- لا توجد.

هتف عاصم:

- هل تتلاعب بنا يا أندريه؟ هناك كاميرا على المدخل الخلفي، وأخرى أعلى السلم تكشف البهو، وهناك كاميرا في كل دور مثبتة في بداية الطريقة لتكشف أبواب الغرف كلها.

- هذه الكاميرات لا تعمل وغير موصلة بنظام مراقبة. لا تعدو كونها لعبًا بلاستيكية اشتريتها بثمان بخس للإيحاء بوجود مراقبة، حيث كان تركيب هذا العدد من الكاميرات يحتاج مبلغًا كبيرًا في وقتها، فركبت واحدة فقط على باب المدخل، على أن أستكملهم بعد نجاح المشروع، ثم نسيت الأمر خاصة مع الأمان الذي شهدته المدينة طوال السنوات الفائتة.

ظهر الغضب على محيا عاصم، وأمر عبدالكريم بالذهاب لفحص الكاميرات والتأكد من ادعاء أندريه، بينما شغل هو اللقطات بتاريخ الأحد وبدأ بالمشاهدة.

بعد قليل عاد عبدالكريم تنضح ملامحه بالإحباط، فهم عاصم نتيجة تحقيقه فعاد للمشاهدة واستمر في تسريع اللقطات دون أن يظهر

فيها ما يسترعي انتباهه، حتى أفاق فجأة على يد عبدالكريم تهزه قائلاً بهدوء:

- سيادة المقدم، أنت تحتاج إلى الراحة.

فَتَحَّ عاصم عينيه متفاجئاً ليدرك أنه بعد أكثر من 24 ساعة بلا نوم، ثم مشاهدة لقطات متتالية متشابهة لم يستطع الإبقاء على عينيه مفتوحتين، إلا أنه كان مُصرّاً باستماتة على الاستمرار حتى الوصول إلى المجرم.. خاطبه مرؤوسه بصوت العقل قائلاً:

- لن تحقق أي تقدم بدون ذهن صاف.

هَزَّ عاصم رأسه في عنادٍ، فأشار عبدالكريم نحو الأريكة الجلدية الوثيرة قائلاً:

- ساعة واحدة تنامها هنا على الأريكة ستمنحك ما تحتاجه.

نظر عاصم نحو الأريكة متردداً، ثم قام وتمدد عليها وسرعان ما ذهبت عيناه في سِنَة من النوم، فابتسم عبدالكريم وهو يأخذ مكانه أمام الحاسب المحمول ويستمر بالمشاهدة.

دخلت ندى الزقاق الخلفي الهادئ ورأت جاسر يقف في نهايته أمام كوخ المعدات مبتسماً. تلك الابتسامة التي حسبتها قبل أيام مرحلة وباتت تراها الآن حقيرة ومثيرة للغثيان. قاومت قرفها منه وتقدمت نحوه والقلق يتصاعد في جوفها، إذا صرخت هنا لن يسمعها أحد ولن تستطيع الهروب لأن نهاية الزقاق مغلقة بالكوخ. نَحَّت قلقها واقتربت

من جاسر محاولة أن تُظهر رباطة الجأش، رمقها بنظرة متلاعبه جعلت معدتها تنقبض، ابتلعت ريقها وأخرجت من جيبتها عدة أوراق نقدية ملفوفة.

- ها هو ما اتفقنا عليه. ماذا تعرف عن اختفاء إيما؟

أخذ النقود ولم يكذباً بعدّها حتى سمعاً صوتاً منغمّاً ينادي بنهايات ممطوطة وتعطيش لحرف الجيم:

- جاسر.. ألن تعلمني الغطس كما وعدتني؟

التفتا فوجداً غنى واقفة في منتصف الزقاق بلباس بحر أبيض من قطعتين يبرز رشاقتهما ومفاتنها في آنٍ واحد، وشعرها الفاحم ينهمر على كتفيها كشلال متمرّد، وقد اكتسبت بشرتها سمرة إضافية زادتها سحرًا وغموضًا.. لمعت عينا جاسر وكادت ندى ترى لعباً يسيل من شذقيه.. قال:

- طبعًا، هيّا نبدأ، الحصة تكلفتها مئة دولار، ولكن إكرامًا لعينيك ولعنب بيروت سأقبل بثمانين دولارًا فقط.

قالها وهو يرمق ندى بنظرة ذات مغزى، أرادت هي أن تخبر غنى بأنه ينصب عليها وأن الحصة لا تتجاوز تكلفتها عشرين دولارًا على أقصى تقدير، ولكن الفتاة أجابته:

- رائع! شكرًا للتخفيض.. أنا جاهزة.

مد يده لندى بنقودها قائلاً:

- معذرة سأدرب غنى الآن، سنتفق على موعد آخر.

ثم مدَّ لَغْنِي بذلة غطس أخذتها ودخلت الكوخ لارتدائها، فقالت ندى:

- ولكن إيما..

أشاح جاسر بيده قائلاً:

- لا أعرف شيئاً، كنت فقط أحتاج للنقود والآن لا أحتاجها.

صرَّت ندى على أسنانها وابتعدت وهي تُتمتم لنفسها: الحقير! لاحقتها ضحكات غنى وهو يساعدها على غلق بذلة الغطس وارتداء القناع، فقالت لنفسها في استهزاء: يليقان ببعضهما البعض.

لم ترغب في العودة إلى الفندق وهي تشعر بهذا الغضب، حاولت الاتصال بعاصم مجدداً فسمعت ذات الرسالة التي تفيد بأن الهاتف ربما كان مغلقاً أو خارج نطاق الخدمة. نظرت إلى المياه الزرقاء التي ظهرت بالكاد من خلال الفتحات التي تفصل بين المقاهي والمطاعم المطلة على شاطئ الممشى، وفكرت في أن قليلاً من السباحة في المياه المنعشة سيجعلها تشعر بتحسُّن، خاصة وقد انكسرت أشعة الشمس. عادت إلى الفندق مسرعة واستبدلت بملابسها لباس البحر، ووضعت منشفة في حقيبتها وانطلقت. لم تكن تحب السباحة في مياه شاطئ الممشى المكتظ بالسباحين، ولا الغطس فيه. كانت دوماً تقول لإيما إنه مُنتهك بأعداد كبيرة من البشر على مدار الساعة، فقلَّت فيه الأسماك وندر فيه تنوعها. أرادت تجربة الغطس في منطقة «البلو هول»

القريبة، ذلك الثقب الأزرق العميق الذي يُعد من أبرز وأمتع بقاع الغطس في العالم، وقد اختلفت الأقوال حول نشأته، هل صنعه سقوط نيزك ضخّم منذ آلاف السنين، أم تكوّن بفعل التغيّرات المناخية في نهاية العصر الجليدي حينما أغرقت المياه بعض الكهوف وحوّلتها إلى ثقب بحرية؟ أرادت أيضًا الذهاب في رحلة بحرية إلى منطقة «الثري بولز» التي سمعت أنها ثلاث برك مائية متصلة بمروج مرجانية تسحر الأعين. ومحمية «أبو جالوم» التي ذكرت الأسطورة أن جالوم أراد تخليد ذكرى والده الساحر بأن وضع سحره كله في المحمية، وبالرغم من أنها محض أسطورة إلا أنها قابلة للتصديق لما سمعته عن الجمال الخلاب للمحمية.. وعدت نفسها بأنها بمجرد حصولها على شهادة الغطس ستبحث عن مواقع بكر لم يطأها قبلها سوى قلة لتغطس فيها، ستذهب إلى محمية «رأس محمد» التي تقع عند التقاء خليج السويس بخليج العقبة وتُعد واحدة من أجمل وأروع بقاع العالم، ثم بعدها ستتجه إلى جنوب مصر، إلى مدينة مرسى علم وشواطئ «الحنكوراب» و«شرم اللولي». أفادت من أحلامها على عراك بين عدة شباب أمام أحد المقاهي فقررت المشي بمحاذاة ساحل البحر للابتعاد عن الزحام بحثًا عن بقعة هادئة وخالية من البشر. غرقت في أفكارها عن إيما وعمّن اختفن قبلها وبعدها من السيدات، فلم تشعر بنفسها وهي تخرج من الممشى إلى الطريق الساحلي. أنعشتها نسيمات البحر حينما ابتعدت فاستمرت بالمشي وقد منحها تفكيرًا رائعًا.. سمعت صوت نفير سيارة متكرر فالتفت خلفها لتجد «بيك أب» بيضاء تقترب منها. ظنتها في البداية سيارة أندريه، ثم رأت دياب خلف المقود وقد

أبطأ سرعته ليقف بجوارها ويسألها إن كانت تحتاج لتوصيلة، ترددت ندى وهي تخبره بأنها تبحث عن بقعة هادئة للسباحة.

- أعرف بقعة مثالية وسط الجبال.. اصعدي.

- ولكنني.. آآآ.. لا أريد التأخر.

- لا تقلقي ليست بعيدة!

ترددت ندى في الاستجابة لدعوته فقرأت في عينيه الحادتين أمارات غضب يتصاعد وكأن ترددها كالإليه اتهامات صامتة لم تعنها ولا تقصدها، فهي وإيما قد ركبتا معه أكثر من مرة ولم تريا منه سوى الاحترام والشهامة. حسمت أمرها سريعاً وفتحت الباب المجاور للسائق وقفزت إلى الداخل. مدّت يدها في حقيبتها تبحث عن هاتفها لتخبر عاصم عن مكانها أو ترسل لشيرين رسالة صوتية تخبرها بأنها مع دياب، إلا أنها لم تجده. تذكرت أنها تركته في الشحن ريثما تلبس، ثم نسيت وضعه في الحقيبة. لاحظ دياب ارتباكها فسألها:

- ما الأمر؟

- نسيت هاتفني وكنت قد وعدت المقدم عاصم بالاتصال به.

قال باقتضابه المعتاد:

- حينما نصل سنخبره.

أرادت أن تسأله لِمَ عليهما الانتظار حتى يصلا؟ لماذا لا يتصل به الآن؟ إلا أنها أثرت الصمت مخافة أن تثير غضب دياب بأسئلتها،

فأراحت رأسها المنشغل بالتفكير على مسند الرأس وقد أدركت أنها وضعت نفسها في موقف لا تعرف عقباه.

استيقظ عاصم ليجد الغرفة ترزح تحت إضاءة خافتة ولا يوجد بها أحد غيره. بحث عن هاتفه فوجده أسفل منه واكتشف أن بطاريته قد نفذ شحنها فبحث حوله في مكتب أندريه عن شاحن مناسب حتى وجد واحداً فأوصله بالهاتف وفتحه، فوصلته رسالة بالمكالمات الفائتة ليجد مكالمتين من ندى، وثلاث مكالمات من عبدالكريم، ثم رنَّ هاتفه بالرابعة فرد عليه ليستمع منه إلى المستجدات التي طَّيرت أثر النوم من عينيه..

خصلة شعر حمراء

قال عاصم لعبدالكريم في لهفة:

- أعد ما قلته بهدوء وبالتفصيل.

- لدينا خيط.. اكتشفت من مشاهدتي لشريط المراقبة أن كلاً من أندريه وكاترينا صادقان فيما قالاه عن مواعيد خروجهما ودخولهما، إلا أن هناك شخصاً ثالثاً تسلل خلسة أثناء الليل ولم يُعد حتى قبل عودة أندريه بقليل.. إنه..

اندفع الأدرينالين في عروق عاصم وهو ينتظر الاستماع للاسم..
- مرعي..

تراجع الأدرينالين وهتف عاصم في استنكار:

- مرعي؟! إنه خفيف العقل يا سيادة الرائد، بينما ما وقع من جرائم خطط لها ونفذها مجرم ذكي واسع الحيلة.

- ربما له شريك.. وربما يتمخض الأمر عن فأر ونكتشف أن لديه سبباً مقنعاً للخروج في ذلك الوقت، على أي حال ما يقلقني هو أنني حاولت الوصول له فلم أستطع.

- هل سألت عنه كاترينا وأندريه؟

- نعم.. وكاترينا قلقة عليه، فهي لم تره منذ ظهر أمس، كان معها بالمطعم ثم خرج يهيم على وجهه في الصحراء المحيطة بالمكان كعادته ولكنه لم يعد؛ لذلك أحضرت إذناً من النيابة لتفتيش حجرته.. سأرسل لك الموقع على أن تقابلني هناك.

أنهى عاصم المكالمة وهو يشعر بالغضب. قذف في فمه علكة نيكوتين وسرعان ما شعر بحرقان في صدره ذكره بأنه لم يكذب تذوق الطعام منذ اليوم السابق. نظر حوله فوجد إناءً من الكريستال به قطع صغيرة من الشوكولاتة، فوضع «كبشة» منها في جيبه على أن يتناولها بعد أن يستحلب أكبر قدر من النيكوتين من العلكة. رفع إليه هاتفه ثانية ليتصل بندي إلا أن هاتفها ظل يرن دون إجابة، لم يدر هل يقلق أم يعتبرها نائمة؟ أصدر هاتفه أزيزاً فوجد رسالة من عبدالكريم بموقع سكن مرعي، فقرر اللحاق به على أن يستمر في محاولة الوصول إلى ندي.

كان عبدالكريم ينتظر عاصم أمام عشة تقبع وحيدة وسط مساحة أرض طينية كبيرة غير مأهولة وغير مضاعة سوى بعدة أعمدة نور شاحبة على أطرافها، تناثرت فيها المخلفات البلاستيكية من أكياس وزجاجات غير قابلة للتحلل وأكوام من القمامة ومخلفات بناء. اقترب عاصم من الباب فاشتت رائحة مزعجة، تساءل إن كان مصدر الرائحة من داخل العشة أم هي رائحة المخلفات المحيطة بالمكان.

وجد القفل الخارجي للباب مفتوحًا فخمّن أن مرعي بالداخل، طرق الباب فلم يجد ردًّا فدفع الباب الذي انفتح بسهولة فدخل يتبعه عبدالكريم. رائحة نتنة واضحة استقبلتهما، وما إن أشعل عاصم كشاف هاتفه وحركه ليرى محتويات الغرفة حتى رأى مرعي مستلقيًا على السرير بجسده الضخم بلا حراك، وجّه الضوء نحو وجهه فوجد عينين مفتوحتين عن آخرهما تحدقان فيه، عينين خاليتين من الحياة.

انكب الطبيب الشاب على جثة مرعي يتفحصها، ثم رفع رأسه قائلاً:

- لقد لقي حتفه منذ عدة ساعات إثر هبوط في الدورة الدموية.

- تعني أن الوفاة طبيعية؟

- لا توجد آثار خنق ولا جروح على الجثة؛ لذا أرجح أنها وفاة طبيعية.. وبحسب حالة الجثة وحرارة الجو أرجح أن الوفاة قد حدثت منذ عشر ساعات لعشرين ساعة.. الطبيب الشرعي سيحدد حين مناظرته للجثة سبب ووقت الوفاة بدقة أكبر بالطبع.

- وهذه الرائحة؟

جعّد الطبيب الشاب أنفه قائلاً:

- سيئة بالفعل.. ولكن كما تعلم فعملية تحليل الجسد تبدأ من الساعات الأولى بعد الموت.

أطرق عاصم متفهمًا، ثم لم يلبث أن استرعت انتباهه ذبابة زرقاء ضخمة حامت حول جثة مرعي قبل أن تحط على أرنبة أنفه وتفرك قدميها ببعضهما البعض وكأنها تشحذهما للعمل. أشاح عاصم برأسه وخرج من العشة ينتظر رجال المعمل الجنائي والطبيب الشرعي الذين أصر على استدعائهم رغم اعتراض عبدالكريم:

- لماذا استدعيتهم؟ الوفاة طبيعية ولا توجد شبهة جنائية.

- لست مرتاحًا، ثم هناك الرائحة.. لا يمكن أن نترك شيئًا للصدف.

انضم عبدالكريم والطبيب لعاصم خارج العشة، كان عاصم يتحرك في قلق ويحاول إجراء مكالمات هاتفية دون أن يتلقى ردًا، ثم فجأة توجه إلى سيارته وأخرج منها كشافًا كبيرًا دخل به إلى العشة وأضاءه ليحيل ظلام العشة إلى نهار، وأخذ يفتش في أرجائها بشكل محموم، سأله عبدالكريم عمّا يفعل فأجابه بعصبية:

- ابحث معي عن مصدر تلك الرائحة.

همَّ عبدالكريم بالكلام وهو يشير إلى الجثة، فعاجله عاصم قائلاً:

- لا تقل لي الجثمان، أنا أعرف جيدًا الرائحة بعد يومٍ من الموت.. هناك شيء آخر ولكن..

قطع عاصم عبارته فجأة وهو ينحني على الأرض الطينية للعشة وينبش فيها بإصبعه. اقترب عبدالكريم ومدَّ رأسه ليرى ماذا يفعل رئيسه، فوجده يشد خصلة شعر حمراء من تحت التراب.

انهمكت ست أيادٍ تحفر الأرض بشكلٍ محموم، وبعد لحظات وقف الطبيب الشاب يفرغ ما في معدته بالخارج بعد أن عثروا على ثلاثة رؤوس بشرية مدفونة في أرض العشة؛ رأس لفتاة ذات شعر كستنائي غامق، ورأس لفتاة ذات شعر أحمر، والثالثة لسيدة ذات شعر قصير.

امتلأت العشة برجال البحث الجنائي ومعهم الطبيب الشرعي يفحصون المكان والرؤوس المقطوعة، بينما تلقى عاصم مكالمة من القيادة الأمنية بالقاهرة تحييه على مجهوده وكشف الجاني قبل انتهاء اليوم كما وعد وتعهده بترقية استثنائية قريبة قد يعود على أثرها للقاهرة.

ابتسم عاصم في إرهاب وهو يتلقى المباركات والإطراء من الجميع، بينما اجتمع خارج العشة بعض البدو وقلة من سكان المدينة يرغبون في معرفة المزيد، إلا أن عبدالكريم أصر على التعتيم لحين استكمال التحقيقات.

اقرب عبدالكريم من عاصم قائلاً:

- ما لي أراك مشتتاً؟ أأنت سعيداً بانتهاء القضية؟

- ندى لا ترد على هاتفها منذ ساعات، أشعر بالقلق الشديد عليها ولا أستطيع مبارحة المكان.

- هل اتصلت باستقبال الفندق؟

- لا يردون.

- حسناً.. سأذهب للفندق للاطمئنان عليها وأهاتفك من هناك.

أوماً له عاصم ممتناً فانطلق عبدالكريم نحو الفندق، بينما وقف عاصم يتأمل جثمان مرعي وهو يشعر بعدم ارتياح لم يستطع تحديد سببه. اقترب من الطبيب الشرعي الذي انهمك في فحص الرأس ذي الشعر الأحمر قائلاً:

- هل وصلت لشيء؟

- هناك شيء غامض بخصوص هذه الرءوس.

- ماذا تعني؟

- انظر! هذه الجمجمة خالية من الأسنان.

أشار عاصم للرأس ذي الشعر القصير، قائلاً:

- وهذه أيضاً.. ألا تنفصل الأسنان والأظافر عن الجسد أثناء تحلله؟

- هذا صحيح، يحدث ذلك بعد ثلاثة لأربعة أسابيع بعد الوفاة.

- إذن ما الأمر؟

- أسنان صاحبة الشعر الأحمر غير موجودة، بينما أسنان ذات الشعر القصير وجدناها في المكان الذي كان الرأس مدفوناً فيه.

ضيق عاصم عينيه يحاول فهم ما يرمي إليه الطبيب، ففسر له قائلاً:

- الرأس ذو الشعر الأحمر لم يُدفن هنا بعد القتل مباشرة، بل دُفن في مكانٍ آخر حيث بدأ في التحلل وفقد الأسنان، ثم تم نقله إلى هنا، بينما الرأسان الآخران تم دفنهما هنا بعد الوفاة مباشرة.

- أي إن أجسادهن مدفونة في مكان آخر.. سنحضر الكلاب في الصباح لتمشييط المساحة الخالية حول العشة علّنا نجدها.

- لن تجدها..

- لماذا؟

- انظر إلى الشعر وتجويف العينين، هناك آثار رمال حمراء، بينما المنطقة حولنا طينية، هذا يعني أن الدفن تم أولاً لفترة في منطقة جبلية تتميز بترربة رملية حمراء، هذا ما يجب أن تبحث عنه إذا أردت العثور على الأجساد.

لم يكد عاصم يُنهي الحديث مع الطبيب الشرعي حتى رنَّ هاتفه ليتلقى مكالمة من عبدالكريم:

- ندى ليست بالفندق.. أنا أمام غرفتها وهاتفها يرن بالداخل.

- اطلب من موظف الاستقبال أن يفتح لك الغرفة بالمفتاح العام، وتأكد أنها ليست بالداخل.

نظر عبدالكريم للشاب ليرى أثر كلمات عاصم عليه والتي انبعثت من السماعة المكبرة لهاتفه، فظل الاعتراض باديًا على محياه، فقال لعاصم:

- لقد سمعك ولكنه يرفض الانصياع، يريد إذناً من النيابة.

وقبل أن يرد عاصم اخترقتهم يد ممدودة بها بطاقة ممغنطة دستها في الباب فانفتح، نظر عبدالكريم لصاحبة اليد فوجدها فتاة نظافة تلوك علكة بفم مصبوغ بالأحمر الفاقع، احتقن وجه موظف الاستقبال ونهر الفتاة وكال لها الوعيد، ولكنها تجاهلته ودخلت الغرفة، فغابت لثوانٍ ثم خرجت ممسكة بهاتف ندى قائلة:

- لقد وجدته على الفراش وأنسة ندى ليست بالداخل.

سمعها عاصم فصرخ في عبدالكريم:

- ابحث عنها، أنا قادم.

الاحتفال

أنهى عاصم المكالمة وهو يجري نحو سيارته فأوقفه أحد رجال الأمن قائلاً:

- هل تبحث عن الفتاة المحجبة التي كانت بصحبتك؟

- نعم.

- لقد رأيته تركب مع دياب سيارة الحاج عرفة.

- دياب؟!!

بيدٍ مرتعشةٍ أخرج عاصم هاتفه واتصل بدياب. ظل الهاتف يرن دون رد. أخذ يعيد المحاولة وهو يضع المفتاح في السيارة ويديرها ويتحرك بها بسرعة لتثير من حولها رذاذاً من الطين.. وعلى الطريق، وهو يكاد يقترب من سرعة الطيران، تلقى مكالمة من دياب.

- سيادة المقدم.. الأمانة معي!

صعد الدم إلى يافوخ عاصم وابتضت سلامياته وهو يشد بيديه على المقود وقد استشف الابتزاز القادم بعد لفظ «الأمانة»، إلا أنه سمع صوت ندى الرقيق يقول:

- عاصم، أنا آسفة نسيت هاتفي في الفندق، هل حاولت الاتصال بي؟

- أين أنت؟ هل أنت بخير؟

أجابه صوت دياب الأجش:

- ما هذا السؤال يا باشا؟ بالطبع بخير، إنها معي.

وأضافت ندى:

- لقد وصلنا إلى الفندق، ها هو الرائد عبدالكريم أمامي..
أعرف.. أخذني دياب لمنطقة سحرية وسط الجبال يجب أن نذهب إليها معًا..

خفت صوت ندى وغاب عن عاصم بقية حديثها بعد أن فقد طاقته فجأة، أوقف سيارته على جانب الطريق واتصل بعبدالكريم قائلاً:

- هل ترى ندى أمامك؟

- أجل.

- أمّنها.

قالها وذهب في نوم عميق.

بعد عدة ساعات استيقظ عاصم، نظر في ساعته فوجد الفجر على وشك الانبلاج. فتح هاتفه فوجد رسالة صوتية من عبدالكريم يطمئنه

أنه أوصل ندى إلى غرفتها في الفندق، وأخرى من ندى تحكي له فيها بسعادة عن البقعة الساحرة التي اكتشفتها فاستنتج أنها لم تسمع بعد عمًا وجدوه في عشة مرعي، سيكون يومًا عصيبًا.. ولكن ليس الآن. أدار سيارته وقطع بها صمت المدينة حتى وصل إلى النزل، فصعد إلى حجرته وارتمى على الفراش لينام حتى الصباح.

استيقظ عاصم على صوت طرقات على باب غرفته، فتحه بنصف عين ليجد أندرية واقفًا والقلق يبدو على محياه، فعلم أن الأخبار انتشرت في المدينة، سأله أندرية:

- هل صحيح أن مرعي مات؟ هل هو من قتل روز؟ وبقية النساء؟

سببت أسئلة أندرية المتلاحقة ضجة في عقل عاصم الذي لم يستيقظ بعد.

- أندرية.. سأغتسل ثم ألحق بك وأخبرك بكل شيء.

تجاهل عاصم الاستياء الذي ظهر على وجه أندرية وأدار ظهره وعاد إلى داخل الغرفة، فاضطر أندرية للرحيل. اغتسل عاصم وصلى الصبح، ثم اتصل بعبدا الكريم الذي حيّاه قائلاً:

- الباشا الكبير الذي حلّ القضية.. لولا إصرارك على أن الرائحة أسوأ من المتوقع لما نبشنا الأرض.

- آه تلك الرائحة..

- كانت سيئة فعلاً.

- أجل.

- ما بك؟

- الرائحة..

- هل أنت بخير؟ تردد الكلام!

- أين أنت؟

- بالقسم، أقوم بإعداد التقرير بانتظار حضورك.

أنهى عاصم المكالمة والرائحة تشغل باله، حاول استرجاعها،
هناك شيء ما.. اتصل بالطبيب الشرعي الذي أخبره بأنه سيبدأ عمله
على الرؤوس لتحديد كيفية القتل وأداة الجريمة.

- لي رجاء..

قال عاصم، ثم أردف:

- هل يمكن أن تبدأ بجثمان مرعي؟

- لماذا؟ هل تشك في أن الوفاة ليست طبيعية؟

- هناك شيء ما بخصوص الرائحة.

- الحرارة تجعل الرائحة لا تُطاق.

- ليس هذا ما أقصده، كانت هناك رائحة أخرى في الهواء.. رائحة الجثامين عادة ما تكون عطنة وحادة، بيد أنني شممت رائحة أخرى، رائحة خافتة متوارية خلف الحدة والعطانة.

صمت عاصم وهو يحاول استرجاع الرائحة لوصفها، ثم أردف:

- رائحة مُرّة.. وأظنها انبعثت من جثمان مرعي، ولكن انشغالنا بأمر الرءوس ثم خروجي الاضطرابي السريع حال بيني وبين فحصه كما يجب.

- حسنًا.. سأبدأ به وأوافيك بالأخبار.

أنهى عاصم المكالمة، واتصل بندى التي أجابته على الفور قائلة بنبرة باكية:

- أنتظر مكالمتك منذ الصباح.. عرفت من عبدالكريم أنكم وجدتم..

لم تستطع إكمال عبارتها، فقال عاصم:

- البقاء لله في صديقتك.. أنا آسف.

- لا أصدق أن..

اختنق صوتها ولم تستطع قول المزيد. حاول عاصم بنصف انتباه احتواء حزن فئاته بعبارات أدركت هي من نبرته أنها خرجت من فمه عن غير اقتناع، سألته عن الأمر فلم يخبرها بشكوكه ومخاوفه، فقط طلب منها أن يلتقيا في النُّزْل بعد قليل. أنهى المكالمة وارتدى ملابسه

ونزل إلى أندريه وهو يُقَلِّب القضية في عقله. وجود الرءوس في عشة مرعي دليل مادي على أنه الرجل الذي يبحثون عنه، وكذلك صفاته الجسدية القوية، ولكن سماته العقلية والشخصية لا تنطبق مع النمط الإجرامي الذي وضعوه للمجرم كرجل وسيم، معسول الكلام، ذكي، واسع الحيلة، قادر على إغواء النساء.

أراد أن يعرف أكثر عن طريقة القتل والأداة المستخدمة لعل تلك المعلومات تؤكد أو تنفي الاتهام عن مرعي.

وجد أندريه وكاترينا بانتظاره وقد بدا عليهما الغم. قالت كاترينا في كمد:

- مرعي؟! لا أصدق.. كنّا نعامله كابن لنا.. كيف يفعل ذلك بروز؟
وضع أندريه ذراعه حول كتفي كاترينا قائلاً:

- يبدو أنه أخفى وراء خفة عقله طبعًا شيطانيًا ورغبات مكبوتة، لا بد أن رؤيته لروز بجمالها وحيويتها تمر به كل يوم ولا تعيره حتى نظرة جعله يغضب ويتنقم منها.

أوما عاصم برأسه في شرود، وانضم إليهم حمادة الذي قال بنبرة ضعيفة بدا فيها الإعياء:

- أندريه، أنت تُحلِّل شخصية مرعي كخبير نفسي مخضرم، أحسنت. قتله لروز جعله يتذوق العنف والدم فبات يجد لذته في قتل النساء؛ لذلك ارتبط الأمر بنساء التُّزل هنا، يرى الواحدة منهن تتهاذى أمامه فتثير غرائزه ليحصد أرواحهن واحدة تلو الأخرى.

- كفى!

صرخت كاترينا وهي تسد أذنيها بكفيها، فجفل حمادة ثم أردف:

- آسف، لم أقصد إزعاجك.

تجاهلته كاترينا وهي توجّه كلامها لعاصم:

- متأكد أنه مرعي؟ لم يُظهر أي عنف من قبل.

- ما زلنا في مرحلة التحقيقات.

أجابها عاصم باقتضاب، بينما قال أندريه في تردد:

- كاترينا، ألم تجدي بعض القطط الميتة في محيط المطعم؟ ألا

يشير ذلك لسادية يا دكتور حمادة؟

ابتسم حمادة شاعرًا بأهميته بعد لقب «دكتور» الذي أغدق عليه به

أندريه، وقال:

- قتل الحيوانات من سمات الشخصيات السيكوباتية في الصغر،

بالإضافة إلى التبول اللا إرادي وإشعال الحرائق.

تبادل أندريه النظرات مع كاترينا، ثم قال:

- مرعي أشعل عدة حرائق وهو أصغر في العمر، ولكنه توقف منذ

عدة سنوات.

- ربما توقف.. وربما صار يشعلها بعيدًا عن الأعين.

قالها حمادة، فعقبت كاترينا:

- لا أعلم، هل أحزن لموته وقد اعتبرته كابني، أم أغضب عليه وألغى عنه لما فعل؟ قلبي لا يصدق أنه المجرم.

- والرءوس التي وجدوها مقطوعة ومدف..

- كفى!

صرخت كاترينا، ثم تركتهم وابتعدت، ليقول أندريه:

- أخشى أن تنهار، تعاقبت الفواجع ولا أعرف كيف أهوّن عليها؟

- تحتاج دعمًا نفسيًا مكثفًا ولا شك، يجب أن..

ابتعد عاصم تاركًا حمادة يسدي نصائحها لأندريه، ووقف عند البوابة ينتظر ندى التي سرعان ما ظهرت واجمة بعينين متفتختين تشيان بالبكاء. رنّ هاتفه، وجد اسم الطبيب الشرعي فأجاب على الفور:

- أنت محق في شكوكك يا سيادة المقدم، مرعي مات مقتولًا بجرعة كبيرة من سم السيانيد.

- هذا يفسر الرائحة!

- ماذا سنفعل الآن؟

- أنه فحص الرءوس وأخبرني كيف ماتت أولئك النسوة ومواصفات سلاح الجريمة، وخذ حذرك، لا أريد أن يتسرب خبر أن وفاة مرعي جنائية، لا أريد إثارة البلبل.

- مفهوم.. سأفحص الرءوس وأعاد الاتصال بك.

- لي رجاء آخر.. لا ترفع تقريرك الرسمي للقيادات اليوم، أحتاج مهلة للغد قبل أن يعرفوا أن القضية لم تغلق كما يظنون.

أنهى عاصم المكالمة ورفع رأسه ليواجه عيني ندى المتسائلتين، فأوماً لها برأسه مؤكداً شكوكها.

سلاح الجريمة

أسرَّ عاصم لندى بالموقف الراهن قائلاً:

- القاتل ما زال طليقاً.

ازداد وجهها شحوباً وهي تهتف:

- ماذا؟!!

- أخفضي صوتك، لا أريد نشر الخبر، يجب أن أذهب إلى القسم الآن لبحث الأمر مع عبدالكريم بانتظار تقرير الطبيب الشرعي.

- سأتي معك..

في القسم وقفت ندى أمام اللوحة تتأمل صور السيدات المغدورات وقد أضاف إليهن عاصم صورة صغيرة بالأبيض والأسود لأم الخير الضحية الأخيرة. أربع نسوة لكل منهن أحلامها وأحزانها قضى عليهن المجرم بدم بارد. لم تستطع تخيل كم الشر والغضب الكافيين لكي يفعل إنسان ما فعل، بيد أنها حينما سمعت خبر مرعي شعرت فوراً في أعماقها بأنه غير صحيح.. المجرم أكثر ذكاءً وأوسع حيلة

من شاب خفيف العقل مثله، إلا إذا كان يصطنع ذلك طيلة السنوات المنصرمة وهو ما لم تره منطقيًا.

سألت بصوتٍ مسموع:

- إن لم يكن مرعي هو الجاني، فلماذا وُجدت الرءوس مدفونة في عشته، ومن الذي قتله؟

أجابها عبدالكريم:

- قتله الذي دفن الرءوس في عشته.. أراد أن يلصق به الجرائم ثم ينهي حياته بطريقة تبدو طبيعية ليتم غلق القضية.

عارضه عاصم قائلاً:

- ولكن هذا لا يفسر أن الرأس الأول نُقل من مكان الدفن الأول بعد القتل بفترة، بينما نُقل الثاني والثالث بعد القتل مباشرة.

- ما هو التفسير برأيك؟

أغمض عاصم عينيه ودلّك صدغيه وكأنه يتخيل الأحداث، ثم أفصح عن أفكاره قائلاً:

- مرعي اكتشف مكان الجثث عن طريق الصدفة، فنبشه وأخذ الرءوس ليحتفظ بها في عشته، القاتل اكتشف معرفة مرعي بالأمر فتخلّص منه.. وأغلب الظن أنه اكتشف ذلك أثناء دفن جثة أم الخير؛ لذلك لم نجد رأسها لدى مرعي.. تتبع مرعي القاتل ليأخذ الرأس فعرف القاتل بأمره وأخرسه إلى الأبد.

أوماً عبدالكريم برأسه قائلاً:

- تحليل في محله ويتسق مع المعطيات.. حالة الرءوس تخبرنا بأن مرعي وجد رأس روز بعد فترة من دفنه؛ لذلك لم تكن أسنانها موجودة.. ثم دأب على أخذ الرءوس فور دفنها؛ لذلك وجدنا أسنان الرأسين التاليين معهما.

سألت ندى:

- ماذا تخبرنا طريقة القتل بالذبح عن القاتل؟

هزَّ عاصم رأسه رافضاً.

- لا نعرف بعد أن القتل تم بالذبح، ربما قُطعت الرءوس لاحقاً لتسهيل التخلص من الجثث أو بسبب شعائر ما عند المجرم.

- حسناً.. ماذا نعرف عن المجرم؟

أجاب عبدالكريم وقد ملَّ التكرار:

- رجل في أواسط العمر، وسيم ولبق، يستطيع اجتذاب النساء.

- ويعرفه مرعي ويطمئن له، وإلا كيف جعله يتناول السم؟ السيانيد سم شديد المرارة يجب أن يختلط بطعام أو شراب قوي الطعم. إذا استطعنا اقتفاء أثر مرعي للأربع والعشرين ساعة الماضية ربما نصل للقاتل.

- سأتكفل أنا بهذا الأمر.

قالها عبدالكريم وخرج تاركاً عاصم وندى معاً. خيَّم صمت غير مريح على الغرفة حتى بدده عاصم قائلاً:

- يجب أن تتوخي الحذر، لا تتحركي وحدكِ أرجوك، لقد مررتُ بوقتٍ عصيبٍ أمس حينما لم أتمكن من الوصول إليك ودارت برأسي أسوأ الأفكار.. ندى أنا..

انتظرت في شوقٍ لما سيقول فقطع كلامه رنين هاتفه، استقبل مكالمة الطبيب الشرعي الذي قال:

- لديّ معلومتان غاية في الأهمية عن الرءوس المقطوعة؛ الأولى أن أطراف جلد الرقبة لم تكن دامية، ممّا يعني أن القطع تم بعد القتل ولم يكن هو سبب الوفاة.

- توقعتُ ذلك، والمعلومة الثانية؟

- من حسن حظنا أن سبب الوفاة مرتبط بالرءوس، وإلا لم نكن لنكتشفه نظرًا لغياب باقي الجثمان.

- ماذا تعني؟

- القتل تم بـ Blunt Force Trauma، أي بضربة شديدة على الرأس بواسطة أداة غير حادة.

- هل لديك وصف أدق لسلاح الجريمة؟

- يمكن أن يكون تمثالاً رخامياً كبيراً، أو قاعدة نحاسية ثقيلة لمصباح جانبي، شيء من هذا القبيل، أداة ثقيلة وغير حادة ولها سطح عريض.

أنهى عاصم المكالمة وهو يحاول تخيّل أداة الجريمة. نقل لندى ما قاله الطبيب وأنهى كلامه متسائلاً:

- تُرى أين يوجد شيء بهذه الأوصاف؟

- بازار زيكاس.

هتفت ندى، ثم أضافت:

- تذكرت شيئاً الآن، لقد رأيت زيكاس في محل تأجير الدراجات حينما ذهبنا للاستفسار عن إيما.. لا أعلم إن كانت لهذه المعلومة أهمية.

تفكر عاصم للحظة، ثم اتصل بمحل الدراجات وسألهم عمّن أعاد دراجة إيما صبيحة اختفائها، في البداية قال الشاب إنه لا يتذكر، فسأله عاصم مباشرة:

- أهو زيكاس؟

أجابه الشاب باستغراب:

- أظنه هو.. ولكن كيف عرفت؟

ظل سؤاله بلا إجابة، إذ أنهى عاصم المكالمة قائلاً لندى:

- هيا.. سأصطحبك إلى الفندق.

افترقت ندى عن عاصم أمام الفندق، حيث انطلق هو للبحث عن سلاح الجريمة، بينما سعدت هي إلى غرفتها. تأملت في حزن أغراض إيما بجوار الباب، وسألت نفسها: ما عساها أن تفعل بها؟ هل ترسلها لأسرتها في أمريكا؟ أم تطلب من شيرين أن تقترح عليهم التبرع بها

لجمعية خيرية؟ فحقائب إيما ممتلئة بالملابس الثمينة الجديدة التي أخبرت ندى بأنها اشترتها قبل السفر مباشرة كاحتفاء بفصل جديد من حياتها بعد شفاء والدتها. تذكرت في وجع اللحظة الأخيرة التي رأت فيها إيما وهي تودعها على الباب بابتسامة عريضة بزيها الأصفر الفسفوري، ارتسمت في ذهنها ذكرى مشوشة عن ذلك الزي.. إنه جاسر، كيف عرف أن إيما كانت ترتدي ذلك الزي يوم اختفائها؟!

«طاقم رياضي لونه أصفر فوسفوري»..

هذا ما قاله جاسر. ترى هل كانت لديه بالفعل معلومات أراد أن يخبرها بها، ثم غطى ظهور شمس بيروت الملتهبة على كل شيء؟ عادت بذاكرتها إلى وجهه وهو واقف أمام كوخ المعدات يصرفها ليختلي بالفتاة الحلوة. تيقنت أنه يعرف شيئاً وعليها أن تكتشفه. أمسكت بهاتفها وطلبت الرقم الذي كلمها منه وانتظرت حتى أتاها صوته فهتفت:

- أريد أن أراك.

أنهى عاصم جولته في بازار زيكاس ثم عرج على متجر الحاج عرفة للأنتيكات وخرج منه متحيراً. وجد في المكانين الكثير من الأشياء التي يمكن أن تكون أداة للجريمة، ما بين مصابيح جانبية عتيقة ذات قواعد نحاسية ثقيلة، وتمائيل ضخمة من البرونز والحديد

والرخام، لكنه لم يجد في أيهما توافقًا تامًا مع ما يبحث عنه، كما وجد عند زيكاس مضرب كرة بيسبول قديمًا تفحصه جيدًا فلم يرَ أي دليل على أنه سلاح الجريمة، خاصة من طبقة التراب الرقيقة التي كسسته. نظر إلى قرص الشمس الذي توسط السماء وشعر بحاجته لاستراحة ليفكر. ابتاع طبقًا من حلوى الأرز باللبن من عربة رانيا في الممشى، وأخذها وتوغل في الأزقة الجانبية المتفرعة منه. أخذته خطواته إلى مكانه المفضل، ساحة متوارية عن الأعين تظللها أشجار الأكاسيا وتزينها شجيرات الجهنمية بألوانها الزاهية. جلس على إحدى الدكك الخشبية وفتح طبق الحلوى وشرع في أكله وهو يتأمل الرسوم على الجدران من حوله. اعتاد السياح والمقيمون رسم لوحات زاهية على الجدران والأسوار البيضاء المحيطة بمباني المدينة وتميّزت هذه الساحة بأجمل اللوحات على الإطلاق، حيث تُشرف عليها السيدة شارلوت، الفنانة التشكيلية البريطانية التي اتخذت ذهب موطنًا لها منذ سنوات بعيدة. اعتاد هو المجيء إلى الساحة على فترات متباعدة حينما ينشد الاسترخاء الذهني، فيتفقد اللوحات الجدارية الجديدة ويتأملها.

أقبل عليها بابتسامته المتبجحة فاغتازت لاضطرارها للقاء، ولكنها ذكّرت نفسها بأن اختيارها بهو الفندق للقاء كان قرارًا حكيماً تحسبًا لأي سخافات قد يقوم بها جاسر.

جلس أمامها فبسطت يدها بالثمانيمئة جنيه المتفق عليها قائلة:

- أخبرني بما تعرفه عن ليلة اختفاء إيما.

ظهرت في عينيه لمعة سرعان ما اختفت وهو يصطنع اللامبالاة
قائلاً:

- ألم يكن مرعي القاتل؟ بِمَ تهملك معلوماتي الآن؟

تذكرت رغبة عاصم في التكتّم على ما اكتشفه، فقالت في حذر:

- الأمر ليس له علاقة بالقضية ولا بالقاتل، أريد فقط معرفة أي
شيء ممكن عن لحظات صديقتي الأخيرة..

ظهر الشك في عيني جاسر، فرفعت النقود لتعيدها إلى حقيبتها،
فهتف:

- اسمعي! كنت سهراناً ليلتها مع أصدقائي في جلسة بدوية أعلى
الجبل، وسمعنا صوت نفير فظننا أنه صديقنا الرابع، وذهبت لأنظر
من فوق الحافة، فرأيت إيما تقود دراجتها عبر طريق الوادي ووراءها
سيارة تلحق بها وتطلق النفير لتنبئها، فالتفتت إيما إلى الوراء، ثم
هدأت من سرعتها وهي تلوح بيدها لقائد السيارة.

- ما هي أوصاف السيارة؟

- بيك أب بيضاء.

قالها جاسر ببساطة، فقفز دياب إلى مخيلتها واعترتها رعشة وهي
تسأل:

- ماذا حدث بعد ذلك؟

- لا أعلم.. كُنّا نلعب «دومينو» ونادى عليّ أصدقائي لألعب دوري.

قالها وهو ينظر إلى النقود في يدها، أعطتها له، فلوّح لها بها قائلاً:
- شكرًا لك، لو تذكرت أي شيء آخر سأتصل بك.
منحته ابتسامة صفراء، وابتعدت تفكر فيما قال..

لم يعرف عاصم كيف أخذته سنة من نوم، هل بسبب حرارة الجو في ذلك الوقت من النهار، ثم البرودة المخدرة تحت ظل شجر الساحة، أم بسبب الضغط العصبي للساعات المنصرمة، أم لل اثنين معًا؟ إلا أنه فتح عينيه على ذبابة زرقاء كبيرة تحتل مجال الرؤية لديه. اعتدل في ارتباك فاهتز طبق الحلوى على فخذه وسال اللبن على سرواله. طرف بعينه ليستوعب ما رآه: ذبابة زرقاء كبيرة مرسومة بتفاصيل شديدة الدقة على الحائط العلوي للمبنى على يساره.

الذباب الأزرق نادر، لا يتواجد إلا..

حيثما تتواجد الجثث!

الرمـل الأحمر

جلست ندى على فراشها وتساءلت إن كان ما قاله جاسر عن إيما صادقًا، أم اختلق الأمر لكي يحصل على النقود؟ بعد قليل من التفكير قررت أنه صادق.. ولكن مَنْ هو قائد السيارة البيك أب البيضاء؟ صحيح هي سيارة منتشرة في دهب لكن يمكنها على الأقل حصر مُلاكها من المترددين على التُّزل. أندريه يمتلك واحدة، وكذلك كان د. سعيد، وبالطبع دياب الذي يقود سيارة الحاج عرفة.. تساءلت إن كانت هذه المعلومة ذات أهمية لتخبر بها عاصم الآن وهو في خضم التحقيقات، أم تنتظر حتى ينهي مهمته ويتصل بها؟ رن هاتفها ووجدته عبد الكريم، أخبرها بأن رجال البحث الجنائي قد انتهوا من فحص دفتر روز الأحمر ورفع البصمات عنه، وأنه قد جاءها به بناء على تعليمات عاصم. نزلت بسرعة وأخذت الدفتر من عبد الكريم وعادت إلى غرفتها وأعدت لنفسها كوبًا من القهوة باللبن، وبدأت في قراءته بتركيز، وقد شعرت تجاهه بإحساس قوي.. ستجد حل اللغز بين صفحاته.

وجدت أصابعها تُقلِّب الصفحات حتى العام 2018، ما زالت روز تتكلم عن الحب، ولكنه هذه المرة لم يكن حبًّا من طرف واحد، بل

بدا أن الفتاة قد انخرطت في علاقة حقيقية مع شخص ما، كانت تتكلم عنه وكأنه إله، واستشفت ندى أنه كان يكبرها بأعوام عديدة. تقلّصت معدتها وهي تتساءل إن كان هو أندريه! لم تستطع منع تلك الفكرة من التوغل والازدهار في ثنايا عقلها وهي تتذكر كيف تكلم عاصم دومًا عن العلاقة القوية التي كانت تربطهما، تذكرت رواية «العذراء والشعر الأبيض» لإحسان عبدالقدوس وكيف أزعجتها فكرتها حينما قرأتها في سنوات مراهقتها، وتساءلت إن كانت الرواية تتحقق الآن؟ هل قتل أندريه روز حينما طالبتَه بأكثر ممّا يستطيع منحه من خلال تلك العلاقة المشوّهة؟ ماذا عن بقية النساء؟ هل شعر باللذة عقب قتل روز فتحول إلى سفاح يقتل النساء من أجل المتعة؟ الفكرة لها وجاهتها من حيث إن كل النساء المغدور بهن قد ارتبطن بأندريه بشكل أو بآخر، أم إن سبب القتل مختلف؟ علاقات آثمة معهن، ثم يتخلص منهن بقتلهن!

شعرت ندى بالغثيان وهي تتخيل الأمر فحاولت تنحية التفاصيل عن تفكيرها بقراءة المزيد من صفحات الدفتر الأحمر، وبقدر ما قرأت إلا أنها لم تستطع تحديد مَنْ هو حبيب روز. كان هناك تعميم كبير على شخصيته في كلام الفتاة، حتى إنها شكت في أنه ليس مقيمًا بدهب من الأساس. قلبت عدة صفحات لتصل إلى عام 2020. لاحظت اختلافًا ونضجًا في أسلوب كلام الفتاة، واختفت سيرة حبيبها الغامض من بين الأسطر لتسكنها أحلامها بالسفر والعمل كعارضة أزياء. امتلأت الصفحات برسوم لمعالم روما الأشهر،

وشخطة لكلمات بالإيطالية وكأنها تتدرب على ممارسة اللغة قبل السفر.. ثم وجدت ندى خيطاً!

عرف عاصم أن أفكاره حول الذبابة الزرقاء تبدو خيالية إلى حد كبير، فليس بالضرورة أن تكون الذبابة قد رُسمت من الطبيعة، ربما نقلها الرسام من صورة على الإنترنت.. وحتى إن رسمها من الطبيعة فما الدليل على أن الجثث التي شوهدت عندها تلك الذبابة هي جثامين النسوة المختفيات؟ لماذا لا تكون أي جيفة أخرى؟ بالرغم من منطقية تلك المعارضات التي أوردتها عقله في خضم تحديقه في الذبابة، إلا أن حدسه أنار مصباحاً أحمر وألحَّ على تتبُّع هذا الخيط. قرَّر أن ينصاع لحدسه، فهو لم يُعد يملك سواه في هذه القضية.

مسح آثار اللبن من على سرواله بمنديل مستعمل وجده في جيبه، وتوجَّه شارداً نحو حاوية قمامة قريبة ليتخلص من علبة الحلوى البلاستيكية، فسمع صوتاً أخف يقول في حدة:

- ألا تعرف القراءة؟! هذه الحاوية مخصصة للمواد العضوية، من فضلك ضع العلبة في السلة ذات العلامة الزرقاء.

التفت عاصم فوجدها السيدة شارلوت، عجوز قاربت السبعين من عمرها، ترتدي فستاناً قطنياً مزركشاً، وقبعة من القش مزينة بالورد. حيَّاه عاصم وفعل كما قالت، ثم أشار إلى الذبابة التي افترشت الحائط العلوي بجناحيها الأزرقين الزاهيين وسألها:

- هذه جديدة لم أرها من قبل .. مَنْ رسمها؟

- آه، إنها مرام .. مرام التونسي، فنانة و..

صمتت قليلاً كأنها تبحث عن كلمة بعينها، ثم أضافت:

- وفلوجر شهيرة .. أو هكذا أخبرتني.

- هل تعلمين أين تقيم؟

- لقد عادت إلى القاهرة منذ يومين.

تردد عاصم في إلقاء سؤاله التالي، إذ توقَّع استحالة وجود إجابته لدى السيدة.

- ألا تعلمين أين وجدت الذبابة التي رسمتها؟

- في مكانٍ منعزلٍ في الجبل، كانت تذهب إلى هناك يوميًا لترى
الذباب الأزرق، لقد ملأت دفتر الرسم الخاص بها برسوماته.

- هل معكِ رقم هاتفها؟

بدا الأسف عليها وهي تقول:

- لا..

ثم أشرق وجهها وهي تستدرك:

- ولكنك ستجدها على الإنترنت، قلت لك هي فلوجر مشهورة..

أشارت إلى هاتفه الذي يحمله في يده قائلة:

- هيّا ابحث عنها.. مرام التونسي.

شكرها وفتح هاتفه يبحث عن مرام التونسي.. لم يجد لها أثرًا على «الفيسبوك» ففتح «الإنستجرام» لتظهر له صفحتها على الفور وبها صورتها؛ فتاة سمراء جميلة الملامح، ذات شعر مجعد لامع، تلتف خصلاته حول رأسها، كان آخر منشور لها منذ عدة ساعات لرسم شديدة الدقة بالألوان المائية لـ.. ذبابة زرقاء!

مدّت السيدة شارلوت رأسها نحو هاتفه في فضول، فابتسم لها وابتعد قليلًا ليحظى بالخصوصية، ثم أرسل لمرام رسالة خاصة يسألها فيها عن مكان الذباب الذي رسمته، ثم انتظر لدقائق، وحينما لم يتلقَ ردًا كتب لها السؤال في تعليق على الصورة وانتظر.. بعد قليل أجابته باختصار: في دهب. كتب لها بنفاد صبر: من فضلك راجعي الرسائل في الخاص. بدا له كأن دهرًا قد مرَّ قبل أن تكتب له ردًا على رسالته: - قُلت لك في مدينة دهب.

- أنا ضابط مباحث دهب، ويهمني أن أعرف المكان بدقة..

غابت الفتاة في الرد.. ثم فاجأته بقولها:

- تريد أن تعرف مكان الجثث؟

- ماذا؟!

- توقّعت أن تكون هناك جثثًا مدفونة نظرًا لكم الذباب الأزرق، وقلت ذلك لدياب، ولكنه لم يُعرني اهتمامًا.

- دياب؟

- هذا هو اسم السائق البدوي الذي أخذني لموقع بعينه وسط
الجبال حينما أخبرته عن رغبتني في استكشاف منطقة «كانيون» قريبة.

- دياب يعرف الموقع؟

- هذا ما قلته.

- أشكرك.

- انتظر! هل ستخبرني ماذا ستجد؟

تجاهل عاصم سؤالها وهروا إلى سيارته واتجه بها نحو المقهى
الذي اعتاد دياب تدخين الشيعة فيه. وجده هناك هائمًا وسط الدخان
فاتجه نحوه وسأله في صرامة:

- كيف لم تخبرني بمكان الجثث؟

ألجمت الدهشة لسان دياب، فأردف عاصم:

- مستعمرة الذباب الأزرق، حيث أخذت الرسامة.

- آه.. تقصد في الجبل؟ أهني مَنْ أخبرتك بأمر الجثث؟ خيالها

واسع!

- هيّا معي.. سنذهب إلى الموقع حالاً.

انطلق عاصم بسيارته الجيب بين دروب الجبل متبّعًا توجيهات
دياب الذي جلس بجواره. بعد ربع ساعة من التوغل وسط الجبال طلب

منه دياب الدخول في خندق ضيق يتسع بالكاد للسيارة، تحده من اليمين واليسار جدران جبلية ملونة تخلب الألباب، وينتهي عند بقعة مخفية عن الأعين أقرب إلى الواحة بعين المياه التي تتوسطها، والنخيل الباسقات من حولها. تعجّب عاصم، فلم يكن يعلم بوجود مثل هذا المكان الساحر برغم قضائه لسته أشهر كاملة في دهب. جعله دياب يقطع الواحة المصغرة ويخرج من خندق ضيق آخر إلى منطقة مقفرة تناثرت فيها بضع شجيرات شوكية جافة، ثم طلب منه إيقاف السيارة وترجّلا منها فسارا خطوات باتجاه تل صغير، أشار دياب أن يصعداه، وهناك.. فوق التل الرملي، وجد عاصم بغيته: مستعمرة من الذباب الأزرق و.. رائحة لا تُطاق!

شعر عاصم بحركة من ورائه فالتفت ليجد دياب خلفه مباشرة. وضع يده على مسدسه بحركة لا إرادية وهو يسأله:

- كيف عرفت هذا المكان؟

- هذه أرضنا.. نعرف كل شبر فيها.

أوما عاصم برأسه، فأردف دياب قائلاً بنبرة مراوغة:

- أنا أعرف الكثير، ولكن ليس كل ما يُعرف يُقال.. أليس كذلك؟

لم يُجبه عاصم متفكراً في دلالة ما قال، إلا أنه أردف يسأله:

- هل تحتاج للمساعدة في نبش الرمل؟ حينما أتيت مع الرّسامة منذ عدة أيام لم تكن الرائحة بهذه القوة؛ لذلك لم آخذ مسألة الجثث بجديّة، أما الآن..

قالها وهو يغلق فتحتي أنفه بإصبعيه فابتلع عاصم ريقه وركع على ركبتيه يهش الذباب بيد وبالأخرى ينبش الرمل، وكذلك فعل دياب. بعد لحظة ظهر أسفل طبقة الرمل الصفراء الناعمة التي تغطي التل رمل أحمر، ميّزه عاصم على الفور وأدرك أنهما في المكان الصحيح.

وبمزيد من النباش..

ظهر جزء من قماش أصفر فوسفوري.

بيك أب بيضاء

أوقف عاصم سيارته أمام القسم فترجّل منها دياب وتوجّه نحو عبدالكريم والقوة الأمنية التي بصحبته، بينما انطلق عاصم دون أن يخبرهم بوجهته. كان عاصم قد أخبر عبدالكريم هاتفياً بما وجدته وطلب منه إبلاغ النيابة واستدعاء فريق البحث الجنائي والطبيب الشرعي والعودة إلى المكان بصحبة دياب كدليل. ثم بعدها اتصل بندى ليطمئن عليها ويحذّرهما من الخروج مهما كان الشخص الذي يطلب منها ذلك، أخبرته بما قاله لها جاسر عن السيارة البيك أب البيضاء، فحاد المقود من يده وكاد يرتطم بنخلة تفادها في آخر لحظة..

بعد كل المرات التي هرب فيها من الحقيقة، انقضّت عليه وفرضت نفسها بلا فكاك. قرر أن يذهب وحده لمواجهة المجرم، فبعد علاقتهما المقربة فضّل ألا يفعل ذلك وسط رجال الشرطة وقرعة الأصفاد الحديدية.. صداقتهما القصيرة تستحق تكريماً أخيراً.

أوقف عاصم سيارته أمام الباب الخلفي للنزل ودخل يبحث عن أندريه. وجد غنى في طريقه فسألها عنه فأخبرته بأنه بالخارج وربما ذهب إلى كاترينا في المطعم.

- كاترينا؟! -

شعر عاصم بضربات قلبه تتسارع. لا يذهب أندريه إلى كاترينا في هذا الوقت من اليوم، فهل أخطأت غنى؟ ولكن نظرة واحدة منه إلى المكان الشاغر الذي تقف فيه عادة البيك أب البيضاء جعلته يتأكد، فأندريه غالبًا ما يتحرك على قدميه ولا يستخدم السيارة إلا إذا كانت المسافة بعيدة.

قفز عاصم إلى سيارته وانطلق بسرعة مفرطة حتى وصل إلى المطعم القابع في حضن الجبل. رأى البيك أب البيضاء ساكنة أمام المدخل فتصاعد توتره. أوقف سيارته خلفها وقفز منها واقتحم باب المطعم ينادي:

- أندريه..

ولكنه لم يجد أندريه.. بل وجد أمامه كاترينا تُلَمِّع زجاج مرآة المدخل الضخمة بخطوات راقصة وهي تدندن مع الأغنية الدائرة. بدت عليها الدهشة من زيارته المفاجئة فرحبت به، ثم قالت:

- تسأل عن أندريه؟ ليس هنا.

تردد عاصم وهو يقول:

- ولكن السيارة..

- آه.. لقد أتيت أنا بها إلى هنا لتوصيل لوازم المطبخ، فلم يُعد هناك مرعي ولا فائزة ليساعدوني.

قالتها في حزن وهي تمسح دمعة غير مرئية، ثم أردفت:

- تبدو متعبًا.. لحظة واحدة سأتيك بكوب مثلج من الكركديه.

أومأ لها وراقبها وهي تعبر الباب الخشبي المتأرجح إلى المطبخ، وما إن اختفت عن عينيه حتى أخذ يذرع المكان في قلق يفكر في كل البدائل المحتملة.

امتدَّ خيط من الكراهية والغضب عبر صفحات الدفتر الأحمر، كلما أمسكت ندى بطرفه راوغها..

بدا جليًا أن هناك شخصًا مقرَّبًا في حياة روز كانت تخشاه بشدة ولا تطمئن في وجوده، ولكنها لم تذكر اسمه صراحة، وتعدَّر على ندى كشف هويته من بين السطور، إذ لم تستطع حتى تحديد ما إذا كان رجلًا أو امرأة؛ لأن اللغة الإنجليزية التي كُتبت بها المذكرات تستخدم كلمة «you» للمذكر والمؤنث على حد سواء.. بمزيد من القراءة والتدقيق استشفت ندى أن فكرة السفر إلى إيطاليا لم تكن حلم الفتاة بقدر ما كانت وسيلة للفرار، حيث بدا واضحًا في بعض الصفحات أن الفتاة تشعر بالخطر على حياتها، وهي تحكي عن نوبات الغضب التي تصيب ذلك الشخص، وتتكلم عن الازدواجية الغريبة التي يتعامل بها، حتى إنها لا تجد مَنْ تشكو له، إذ لن يصدقها أحد. لم تستطع ندى الجزم إن كان ذلك أعراض بارانويا وأوهام لدى الفتاة أم حقيقة واقعة.. ولكنها وجدت أن هذا الكلام في كل الأحوال لن ينطبق سوى على شخصين

في حياة روز: كاترينا وأندريه، هذا بافتراض أنها لم تكن على تواصل خفي مع والدها البيولوجي، وهو ما لم ترجحه ندى..

العبارة الوحيدة التي توسّمت فيها ندى معلومة تشير للشخص المعني هي:

«كم أكرهك حينما تناديني بيقطيتي».

وضعت ندى إصبعها على الكلمة ورفعت رأسها مُتمتمة:

- تُرى.. مَنْ الذي كان يناديك بهذا الاسم يا فتاتي المسكينة؟

رَنَّ هاتف عاصم فأجاب ليجد ندى تسأله في لهفة:

- مَنْ الذي كان ينادي روزاليندا بيقطيتي؟

- يقطيتي؟!!

هتف عاصم وهو يلتف بجسده، ولكنه فوجئ بلطمة شديدة، ثم اسودَّت الدنيا في عينيه.

استيقظ عاصم ليجد نفسه مقيدًا إلى كرسي، وألمًا حارقًا في رأسه، وهي منتصبه أمامه تصوّب مسدسه إليه!

- أنتِ يا كاترينا؟!!

- كانت أنا طوال الوقت يا عزيزي..

حاول تحريك يديه لتحريرها من القيود وهو يقول:

- تركبين خطأ كبيرًا، سيأتون للبحث عني.

- هل تظنني غبية؟ هل أبدو لك غبية؟

لم يُجبها عاصم فاستطردت:

- لقد أرسلت رسائل من هاتفك إلى ندى وعبدالكريم تخبرهم فيها بأنك ذاهب للجبل، لا أجيد العربية بالطبع ولكن «جوجل» تكفل بالأمر.. تمامًا كما تكفل برسالة دكتورة دلال الفرنسية لأندريه.

- هل ستقتليني؟

- لم تترك لي خيارًا.. لقد أحببتك.. ولذلك أردت لك قتلاً رحيماً.. نوبة واحدة.. لولا أنك التفتت في اللحظة الأخيرة، فلم تُصبك طاستي بدقة كما يجب.

عرف عاصم سر الألم الرهيب في رأسه.. نظر إلى المسدس بيدها، والطاسة الحديدية الضخمة الموضوعة مقلوبة على المنضدة بجوارها، وأدرك بياس أن فرصته الوحيدة في الخروج سالمًا هو أن يجعلها تستمر في الكلام لأطول وقت ممكن حتى تأتيه النجدة من حيث لا يدري ولا يحتسب، وكأنما قرأت أفكاره فقالت:

- ولكن أتعلم؟ من حسن حظي أنك لم تمت بسرعة، فكل قتلاتي السابقة كانت صامتة.. أتوق لفرصة للتحديث، لأخبر أحداً عن حكايتي..

حاول بٹ الدفء في صوته مجيئاً:

- وها أنا ذا يا كاترينا.. مستعد لسماعك.

شردت بنظرها وهي تقول:

- كنت دومًا أتساءل وأنا أشاهد أفلام الإثارة: لماذا لا يبادر حامل
المسدس بقتل غريمه حينما لا تزال الفرصة سانحة؟ والآن عرفت
السبب.. الحاجة إلى الكلام.

- ماذا ستفعلين بجثتي؟ هل ستدفنيتها فوق التل مع الباقين؟

- آه لا، أنت مختلف، سأقتلك ثم أضعك في سيارتك وأقودها
بعيدًا حتى حافة الموت وأتركها تقع من فوقها.. سيظنون أنك قد
تعرضت لحادث أليم وتُغلق القضية.

مكتبة

- لماذا يا كاترينا؟

نظرت إليه بعينين بريئتين، فأردف: t.me/soramnqraa

- روز؟!

اكتست ملامحها بحزن لحظي وهي تقول:

- أنت لا تعلم ماذا قالت لي..

- قالت لك ما يستحق القتل؟

- لم أتعمد قتلها.. ولكنها أغضبتني بشدة فلم أشعر بنفسي إلا وأنا
أمد يدي للطاسة المعلقة وأضربها بها.. ثم حينما وقعت مدرجة في
دمائها أدركتُ ما فعلت. ركعتُ بجوارها وحاولت إفاقتها ولكنها كانت

قد رحلت.. جلست بجوارها أبكي، ثم أدركت أنني إن لم أتصرف سريعًا سأخسر أندريه أيضًا. حبه لي لم يكن يضاهي حبه لروز، إن عرف ما فعلته بها سيتركني، وأنا لا أتحمل أن يتركني أندريه.. إلا هو.. الوحيد الذي أحبني.

- ماذا قالت لكِ روز؟

- قالت لي إنني.. قبيحة.

ضيّق عاصم عينيه يحاول منطقة ما قالته، فرفعت إليه المسدس وصرخت:

- تسخر منّي!

ثم وضعت إصبعها على الزناد وضغطت..

الرصاصية الثانية

حاولت ندى الاتصال بعاصم عدة مرات منذ انقطع الخط دون جدوى، ثم بعد عدة دقائق وصلتها منه رسالة يخبرها فيها بأنه سيتوجّه إلى الجبل. استغربت، فعاصم ليس معتاداً على إرسال الرسائل لها، كما استغربت أن يرسل لها الرسالة باللغة الفصحى بدلاً من العامية.. ثم لماذا لم يُجب اتصالها طالما هو قادر على إرسال رسالة؟ عادت تحاول الاتصال به دون جدوى، فاتصلت بعبدالكريم الذي لم يُجبها بدوره.. شعرت بالعجز والقلق وهي تعيد قراءة رسالة عاصم.

«هناك شيء خاطئ»!

قالتها لنفسها وهرعت إلى الخارج.

انطلقت الرصاصية نحو عاصم فأخطأته ومرت من فوق رأسه نحو النافذة الزجاجية فحطمتها، فصرخت فيه كاترينا:

- انظر ما تسببت فيه.. حطمت مطعمي الجميل!

هتف عاصم:

- كاترينا، لم أسخر منك.. بل تفاجأت أن تنعتك روز بالقيحة وأنت بهذا الجمال.

رمى بعبارة يائسا ولم يتوقع أن تنطلي عليها، إلا أن ابتسامتها اتسعت وهي تقول:

- آه.. أندريه أيضا يخبرني بأني جميلة.

ثم تجهمت وهي تردف:

- أحاول أن أصدقه.. ثم أنظر في المرأة فأذكر الحقيقة.. أمي كانت ملكة جمال مدينتنا الصغيرة في إيطاليا ولم تستطع أن تسامحني أبداً لأنني لم أولد جميلة مثلها. كيف لهذه البطة القبيحة أن تكون ابنتك يا روبرتا؟ لا بد أنها لعنة! هذه كانت العبارة المكررة لسوء المدينة كلما رأوني معها.. نعم كنت لعنتها.. وهزيمتها الكبرى في الحياة.. كرهتني لقبحي وكفّت عن اصطحابي معها إلى أي مكان.. ثم ازداد الأمر سوءاً حينما وُلِدَت أختي ماريا.. كانت طفلة جميلة جداً، نسخة من أمي.. هذه هي اللحظة التي حكموا عليّ فيها بالإعدام. تركتني أمي مع جدتي في محل الجزارة، واصطحبت ماريا معها إلى كل مكان، واشتركت لها في كل مسابقات الجمال، ففازت بها بلا منازع لتصبح ملكة متوجة على قلبها.. ونسي الناس أن لها ابنة أخرى تُدعى كاترينا، ونسيت هي ذلك أيضاً.

قالتها بأسى ورأى عاصم دمة حقيقية تسيل على وجنتها. لم يُصدّق أن جرح طفولتها لا يزال حيّاً في فؤادها بهذه اللوعة منذ أكثر من أربعين عاماً.. صمتت هي للحظة، ثم أكملت قائلة:

- ولكنني لم أستسلم، تركت محل الجزارة والمدينة بأسرها وذهبت إلى روما وعملت نادلة في مطعم شهير، حيث التقيت بماريو وأحببته. انتقل معي لمنزلي وعشنا سوياً لشهور.. ثم استيقظت يوماً لأكتشف أنه سرق كل مدخراتي وهرب بعد أن ترك لي شيئاً واحداً: نطفة منه في أحشائي. رُزقتُ بـروزاليندا، ولسخريّة القدر ورثت ابنتي جمال أمي وماريا اللتين أحبينها كثيراً واعتبرنها بديلاً مستحقاً عني. حاولتُ أن أحبّ ابنتي ولكن كلما نظرت إلى وجهها رأيت وجه أمي، وتذكرت نبذها لي.. في هذه الأثناء تعرفت على تامر، شاب مصري يعمل في المطعم الذي أعمل به ويصغرني بعدة سنوات، أحبني وأغدق عليّ بمعسول الكلام، ثم انتهت إقامته بإيطاليا واضطر للرحيل.. ظللنا على اتصال ودعاني لزيارة مصر، تحمست للفكرة فأخذت ابنتي وجئنا إلى القاهرة. غضبت مني أمي وأختي لأنهما تعلقتا كثيراً بـروز، أما أنا فشعرت بأن حرمانهما منها هو أبسط انتقام. وجدت تامر بانتظاري في المطار، اصطحبني إلى بيت أمه وعرفني لها بأني عروسه المقبلة فانتشيتُ من السعادة وظننت أن الدنيا ابتسمت لي أخيراً. بعدها أخذني وابنتي إلى غرفة حقيرة فوق أحد الأسطح قائلاً إننا سنعيش فيها سوياً حتى يتدبر أمره ويجد عملاً فتنزوج. وافقته وقبلت العيش معه على الكفاف لأكتشف أنه يريد الزواج مني للحصول على الإقامة في إيطاليا، وأنه أسكنني خصيصة في مكان حقير متوقعاً أنني لن أتحمل وسأقترح أنا عليه العودة إلى روما.

- وكيف عرفت ذلك؟

- حينما لم أُبدِ اعتراضًا على المعيشة بدأ هو يدفعني للعودة قائلاً إن المكان لا يليق بي وإنما إذا عدنا إلى إيطاليا سأعيش حياة أفضل، وحينما أخبرته بأنني أرغب في البقاء وسأتحمل معه أي مصاعب تغيرت نبرته وتحول إلى إنسان شديد القسوة، وحينما صارحته بشكوكي فيه لم ينكر، بل أجابني وكأنه شعر بالخلاص أنها الحقيقة، وتعجَّب من أنني صدقت حبه لي وأنا على قوله في عمر أمه، ثم سألني إن كنت لا أنظر إلى المرأة في الصباح! وددت لو أنني ألقيته من فوق السطح، ولكنني جذبت روز من يدها ونزلت السلالم باكية.

- إلى أين ذهبتِ؟

- لم أجد أماً سوى العودة إلى إيطاليا، ولكن مدخراتي كانت قد قاربت على النفاد. بحثت عن أرخص سعر لرحلة طيران فوجدتها تقلع من مدينة شرم الشيخ. ذهبت بابنتي وأغرمت بها، وهناك سمعت أن ذهب أجمل فأجلت سفري لعدة أيام كي أنتهز الفرصة وأزورها. جئت إلى ذهب وأقمت مع روز في نُزل أندريه بالصدفة. تعلَّق أندريه بروز التي ذكَّرتَه بابنته الراحلة. لم أغضب أن تكون روز هي جواز سفري إلى قلبه كما كانت من قبل مع أُمِّي وأختي وأدركت أن هذا قدرِي!

- وبقيتِ في ذهب؟

- وتزوَّجني أندريه وشجَّعني على افتتاح المطعم الصغير بالمشي، كنت قد تعلمت أساليب الطهي البطيء من المطعم في روما، وحسن اختيار قطعة اللحم المثالية من جدتي.

- للحق يا كاترينا لا يوجد مَنْ يضاهي طبخكِ للحوم.

ابتسمت كاترينا لإطراء عاصم الصادق وارتخت ملامحها قليلاً..

خرجت ندى من الفندق تعدو ولا تلوي على شيء. وقفت تلهث وهي تفكر أين تذهب ومَنْ تسأل في مسألة اليقطينة؟ زيكاس.. زيكاس هو الأقرب لروز، لا بد أنه يعرف. أسرع نحو البازار ثم ترددت أمام بابه.. زيكاس مشتبه به وهو مَنْ أعاد دراجة إيما إلى المحل.. غالبت ترددها.. لا مفر من المخاطرة، فحياة عاصم على المحك. دفعت الباب ليرن صوت الأصداف في الأنحاء، انتظرت لحظة فلم يظهر لها زيكاس، لم تستطع الانتظار، فاندفعت إلى الداخل ودفعت الباب الذي يحمل رسم التنين الأسود الكبير لتجد زيكاس عاكفاً على دق وشم على ذراع رجل أشقر ضخم. رفع زيكاس وجهها امتزجت فيه أمارات الدهشة مع الغضب وهتف:

- ماذا تفعلين؟ كيف تقتحمين المكان هكذا؟

- مَنْ الذي كان ينادي روز بيقطينتي؟

- ما هذا السؤال؟!

- لا وقت للشرح.. أخبرني مَنْ بسرعة؟

- كاترينا.. كاترينا هي اللي كانت تناديها بيقطينتي، وكرهت روز

ذلك الاسم كثيراً.

شحب وجه ندى وبدت وكأنها ستنفجر في البكاء، إلا أنها ابتلعت ريقها وأخذت عدة أنفاس سريعة قبل أن تقول بنبرة هلعة:

- هيا معي.. عاصم في خطر وأنا لا أستطيع الوصول إلى عبدالكريم.

ثم نظرت نحو آلة دق الوشوم وسألته:

- هل تعمل بالشحن؟

أوما لها بالإيجاب والدهشة لا تزال تكسو ملامحه، فقالت:

- هاتها معك، هي وأي شيء آخر قد يصلح كسلاح.

ثم التفتت إلى الرجل الأشقر الذي بدأ وجهه يتحول إلى الأحمر من الغضب، فاعتذرت له قائلة إنها حالة طارئة، ثم جذبت زيكاس من ذراعه وهرعا إلى الخارج.

اشتد ألم الرأس على عاصم وكافح كي يحافظ على وعيه، بينما أكملت كاترينا حكايتها قائلة:

- عشنا نحن الثلاثة سعادة حتى بدأت أحلام السفر السخيفة تلك تغزو عقل روز.. أتتني المطعم ليلة الأحد حينما كان أندريه في البار مع أصدقائه وصارحتني بعزمها على السفر إلى ماريا وأمي. أرادت أن تتركني وتذهب إليهما.. وهما شجعاها على ذلك، لم يكتفيا بلفظي وتدمير حياتي، بل وأرادا أن يسلبا ابنتي مني أيضاً.

- كانت ستعود إليك يا كاترينا.. مهما طال الوقت كانت ستعود.

- وأندريه؟! مَنْ يضمن لي بقاءه إذا رحلت هي؟ أندريه هو الإنسان الوحيد الذي أخلص لي في هذه الدنيا.

- قتلتها لأنها أرادت الرحيل؟

- أنت لا تفهم.. لقد صرخت في وجهي قائلة: أنت قبيحة وغبية.. كم أكرهك! ولكن لم يكن صوتها هو ما تردد في أذني، بل صوت أمي.. ولم تكن عيناها اللتين حدقتا في عيني، بل كانتا عيني أمي.. أردتُ فقط أن أسكتها.

- فأسكتها إلى الأبد..

- وحافظت على أندريه.. بقيت متيقظة لأي محاولات لسلبه مني، وقد أدركت أن علاقتنا قد أصبحت أكثر هشاشة في عدم وجود روز.. حاولت المدعوة دلال اجتذابه إليها، وبدلاً من أن يحتوي أحدها الآخر بعد فقدان روز، وجدته يميل إليها ويتكلم معها ويبثها أحزانه، ثم سطرت شهادة وفاتها حينما حاولت إقناعه بأن التوابل تفسد اللحم، وأن أفضل طريقه لطهوه هي بتشويحه لعشر دقائق، ثم إضافة الملح والفلفل فقط.. هل تصدق ذلك؟! بدأت أستشعر عزوفه عن طعامي، فعلمت أنني يجب أن أتدخل كي أحميه وأحمي نفسي. انتظرت ليلة الأحد بعد أن خرج أندريه، وأقنعتها بزيارتي في المطعم كي تذوق طبقاً جديداً من اللحم طبخته بطريقتها، صدقتني الغبية وأتت، وتكفّلت طاستي بالباقي. حينما ركعت بجوارها كي

أَقَطَّعَهَا رَأَيْتْ خَاتَمَ الْعَقِيقِ فِي إِصْبَعِهَا، ذَلِكَ الْخَاتَمُ الَّذِي أَعْجَبَ أَنْدَرِيهَ، لَمْ أَكُنْ لِأَدْعُهَا تَهْنَأُ بِهِ فِي مَثْوَاهَا فَخَلَعْتَهُ مِنْ كَفِّهَا وَاحْتَفَظْتُ بِهِ. نَظَفْتُ الْمَطْبَخَ جَيِّدًا مِنَ الدَّمَاءِ وَأَنْهَيْتُ دَفْنَهَا وَعَدْتُ إِلَى التُّزْلِ قَبْلَ الْفَجْرِ بِقَلِيلٍ. عَادَ أَنْدَرِيهَ ثَمَلًا وَغَطَسَ فِي النَّوْمِ فَأَفْرَغَتْ حَجَرَتَهَا مِنْ أَشْيَائِهَا وَأَرْسَلَتْ لَهُ رِسَالَةً اعْتَذَارَ مِنْ هَاتِفِهَا وَتَرَكْتُ لَهُ مَا لَا يَغْطِي قِيَمَةَ الْإِيجَارِ. صَدَّقَ أَنْدَرِيهَ أَنَّهَا رَحَلَتْ وَتَرَكْتَهُ بِلَا وَدَاعٍ. يَبْدُو أَنَّهُ مِثْلِي.. لَا يَصْدُقُ أَنَّهُ جَدِيرٌ بِالْحُبِّ.

- وإيما؟

- آه، تلك الفتاة اللعوب! قَفَشَتْهَا تَتَقَرَّبُ مِنْ أَنْدَرِيهَ، هَذِهِ الْمَرَّةَ لَمْ تَأْسِرْهُ بِتَحْدِثِهَا الْفَرَنْسِيَّةَ وَتَبَادُلِ الْأَحْزَانِ، وَإِنَّمَا جَذَبَتْهُ إِلَيْهَا مِنْ خِلَالِ نَيْسِ كَلْبَتِهِ. كَانَتْ تَلَاعِبُهَا وَتَطْعَمُهَا وَتَسْتِيقِظُ مَبْكَرًا فَتَقَابِلُ أَنْدَرِيهَ عَلَى الْمَمْشَى لِأَخْذِهَا نَيْسَ فِي تَمْشِيَّةٍ طَوِيلَةٍ، ثُمَّ.. وَلِبْجَاحَتِهَا.. سَمِعْتُهَا تَنْصَحُهُ بِأَنْ يَتَوَقَّفَ عَنْ أَكْلِ اللَّحُومِ وَيَصْبِحَ نَبَاتِيًّا. هُنَا عَلِمْتُ أَنَّ سَاعَتَهَا قَدْ حَانَتْ، فَانْتَظَرْتُ لِيَوْمِ الْأَحَدِ، ثُمَّ تَتَبَعْتُهَا بِالسَّيَّارَةِ فِي جَوْلَتِهَا الْمَسَائِيَّةِ بِالدَّرَاجَةِ الْهَوَائِيَّةِ وَطَلَبْتُ مِنْهَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِخُصُوصٍ أَنْدَرِيهَ وَمَا إِنْ جَلَسْتُ بِجَوَارِي فِي السَّيَّارَةِ حَتَّى خَدَرْتُهَا، وَفِي الْمَطْبَخِ أَجْهَزْتُ عَلَيْهَا بِوَاسِطَةِ طَاسَتِي الْمَخْلُصَةِ. رَأَيْتُ الصَّلِيبَ ذَا الْفُصُوصِ الْمَلُونَةِ يَلْمَعُ عَلَى صَدْرِهَا فَخَلَعْتُ عَنْهَا السَّلْسِلَةَ، أَحْبَبْتُ فِكْرَةَ الْإِحْتِفَازِ بِتَذْكَارٍ مِنْ كُلِّ امْرَأَةٍ حَاولَتْ خُطْفَ زَوْجِي لِأُذَكِّرَ نَفْسِي فِي وَقْتِ الضَّعْفِ بِإِنْتِصَارَاتِي وَقُدْرَتِي عَلَى الْمَقَاوِمَةِ وَالْبَقَاءِ.

- وفايزة؟

- تلك التافهة التي أجبرتني على الخروج عن نظامي حينما اضطرتني للتخلص منها.

أدرك عاصم أن الحكاية على وشك الانتهاء، فسألها ليطيل مدة الكلام قدر الإمكان:

- ماذا فعلت؟ تقرّبت من أندريه هي الأخرى؟

- وهل تجرؤ؟ وهل كان سينظر إليها تلك الحشرة الشاكية؟ بالطبع لا.. لقد وجدت دلالة روز الذهبية أسفل الموقد وهي تنظف المطبخ، ولاحظت آثار الدماء عليها فاحتفظت بها، ثم وجدت الخاتم الفضة الخاص بدلال، الذي كنت قد خبأته في علبة شاي قديمة ونسيت طبع فايزة الرديء بالتفتيش في كل شيء. جعلتها تلك الأشياء تشعر بالريبة نحوي، وفي ليلة مقتل إيما تظاهرت بالرحيل من المطعم، ثم اختبأت في أحد الأركان تنتظر.. فرأيتني وأنا أجهز على الفتاة، وأتتني في اليوم التالي تحاول ابتزازي بما تعرف، اتفقت معها على اللقاء مساءً في الجبل على وعد مني أن آتيها بمبلغ كبير من المال، وصدقت البلهاء الطماعة. أخرجت لها سلسلة إيما الذهبية فسأل لعبها على الفور، وانتهزت الفرصة فدفعتها من على الحافة. صدّقني، لم يخسر الكون شيئاً بموتها.

أراد عاصم أن يخبرها بأن هذا ليس قرارها ولكنه خشي أن يثيرها بكلماته فتصيبه الرصاصة الثانية، فأثر الانتقال إلى الضحية التالية:

- وأم الخير؟

- هذه أكثر واحدة رغبت في التخلص منها! لقد كرهتها بقدر ما أحبها أندريه واهتم بها.. على مدى سنوات نمت بينهما علاقة غريبة لم أفهمها أبدًا. هل تصدق أنه كان يُفضّل أكلها هي.. أكل الشوارع عن أكلي أنا زوجته؟ ثم أخبرني برغبته في أن تحل محل فائزة في المطعم، هنا أدركت أن عليّ التدخل.

- وكيف أقنعت أم الخير بالذهاب معك؟

ابتسمت كاترينا وأجابته بزهو:

- لم أحاول إقناعها.. بالعكس، كنت أنظر من شباك غرفتي وأضع الخطة لاستدراجها فأتتني بقدميها.. وجدتها تقترب من المدخل الخلفي للتزل فأدركت أن هذه فرصتي.. صرفت مرعي متحججة بأن هناك كلابًا تنبح وأريد منه إسكاتها.. ثم خرجت من الباب الخلفي متلصصة لأوهمها أنني أحاول الخروج دون أن يراني أحد، فتبعني حتى وصلنا إلى المطعم.. وهناك باعُثها بطاستي الحبيبة، وقمت بما يلزم، ولكنني لم أستطع دفنها في الليل بسبب عدم وجود السيارة معي، تركت الشوال الذي يحوي أوصالها في المطعم على أن أدفنه في صباح اليوم التالي، ولكن حينما وصلت للتل في الصباح وجدت مرعي هناك ينبش في التربة، سألته عمّا يفعل فأخبرني ببراءته البلهاء بأنه يبحث عن رأس جديد. فهمت أنه كشفني وأدركت أنه يجب التخلص منه. هممت بقتله ودفنه في نفس البقعة، ثم جاءني فكرة أفضل، سألته ماذا يفعل بالراءوس فأخبرني بأنه يحتفظ بها في غرفته

كالدمى . عرفت أن عليّ قتله في غرفته لكي تُكتشف الرءوس وتُلتصق به التهمة.

تذكر عاصم شكلها يوم أن أتى إليها مع ندى، كيف كان يبدو عليها الإرهاق والعرق برغم برودة الجو بالداخل . أدرك عندئذٍ أنها دخلت المطعم قبلهما مباشرة بعد أن أجهزت على مرعي بالسّم، هنا لم يستطع مقاومة فضوله فسألها:

- ولكن أين تعلمتِ كل هذا العنف والتقطيع والقتل بالسّم؟

- ألم أخبرك؟ جدي لأمي كان من المافيا، وحينما انتقلنا للعيش معهما كانت حياتي منقسمة بين محل الجزارة مع جدتي، أو خلف باب غرفة مكتب جدي أتلصص على مكائده ومؤامراته..

- وأين كان أبوك؟

شردت كاترينا لأول مرة منذ أن بدأت بحكايتها، وقالت:

- لا أعرف، أذكره حينما كنت صغيرة، يحملني فوق كتفه ويتجول بي في الغابة، أو يُغنيّ لي بصوته الخشن وهو يقطع الحطب.. ولكنه سرعان ما اختفى من حياتنا. أظن أن أمي كرهته بسبب قبحه، ثم كرهته أكثر حينما وُلدت وأنا أحمل ملامحه.

تساءل عاصم إن كانت أم كاترينا قد تخلصت من زوجها بالعنف المتوارث في عائلتهم. مثلّ أندريه لكاترينا الأب الذي فقدته وهي صغيرة، فلم تكن لتسمح لأي امرأة أن تسلبها إياه كما فعلت أمها مع أبيها من قبل. أما هؤلاء النسوة اللاتي قتلتهن بدم بارد فكن بدائل

لأمها، فانتقمت منهن بدلاً عنها، خاصة روز التي كانت تشبهها. صار ألم رأس عاصم غير محتمل وبدأ وعيه يتسرب منه، فسألها بصوت بلغ منه التعب مبلغه:

- والآن، ماذا يا كاترينا؟

- للأسف.. سأقتلك.

قالتها بحزن حقيقي، ثم أردفت:

- ولندعو الله ألا تقترب إحداهن من أندريه ثانية.. هيّا استعد.

اقتربت منه قائلة:

- حتى لا تطيش الرصاصة الثانية.

ثم صوّبت المسدس نحو رأسه، ووضعت إصبعها على الزناد.

النهاية

اتسعت عينا عاصم وهو ينظر إلى ما وراء كاترينا، فقالت هازئة:

- حيلتك لم تنطلِ عليّ، لقد شاهدت أفلام إثارة كثر.. خ خ خ.

سقطت كاترينا كتلة واحدة على عاصم إثر الضربة التي أصابتها، فأسقطته بالكرسي إلى الورا، فارتطم رأسه بالأرض ليستسلم لفقدان الوعي قبل حتى أن يتمكن من شكر منقذيه.

فتح عاصم عينيه ببطء فوجد غشاوة بيضاء تشوش عليه الرؤية، فتحهما وأغمضهما عدة مرات حتى بدأت التفاصيل تتضح أمامه.. وأول من رأى كانت ندى.

بدت جميلة وهي تقف بجواره بعينيها المليئتين بالقلق.. وبجوارها وقف عبدالكريم وقد شحب وجهه وغارت عيناه من إرهاق الساعات الفائتة. لم يكد يعتدل في الفراش ويدرك أنه في غرفة مستشفى حتى سمع صوتًا حادًا يصرخ في الممرضة الواقفة على الباب:

- أين المقدم عاصم؟

التفتت ندى تستطلع القادمة، وقبل أن ترد الممرضة أزاقتها سيدة أنيقة رشيقة بدت عمليات الشد والنفخ واضحة على وجهها وقد غطت شعرها بـ«توربون» أسود أنيق، عدا خصلة صفراء مرتبة ظهرت من مقدمته. أقبلت السيدة على عاصم تشير إلى رأسه الذي لفته الضمادات البيضاء قائلة:

- عاصم حبيبي.. ماذا حدث؟

اعتدل عاصم في الفراش وأجابها بحرج:

- أنا بخير يا أمي.. لا تقلقي.

لم تكد شفتاها تفترا عن ابتسامة وهي ترفع وجهها نحو المرافقين له حتى تجهمت حينما وقعت عيناها على ندى، وقالت بصوت كالصرير من بين أسنانها:

- أنتِ هنا.. في دهب؟!

ثم وجَّهت كلامها لعاصم قائلة:

- أت ورائك إلى هنا؟ وهي السبب بالطبع في أنك لم تكن تجيب اتصالاتي!

احتقن وجه ندى وهمّت بالخروج فهتف بها عاصم:

- ندى.. انتظري.

اتسعت عينا شهيرة هانم.. لم تصدق أن يتحدى ابنها إرادتها..
وعلانية أمام الآخرين.. حذجته بنظرة تثقب الصخر.. شعر عبدالكريم
بالحرج فقال:

- حمدًا لله على سلامة المقدم عاصم يا سيدتي.. ابن سيادتك
بطل أنقذ المدينة من سفّاحة مجرمة.

بدت الدهشة على وجهها.

- سفّاحة؟! سيدة؟

- ولن تصدقي مَنْ هي.. مدام كاترينا صاحبة المطعم.

وضعت السيدة شهيرة كفها على فمها، ثم على وجتها تسأل غير
مصدقة:

- ماذا؟! التي كان يأكل من يديها كل يوم اثنين؟

ثم حذجت عاصم بنظرة سخط مردفة:

- وكنت تقول إنها تُذكرك بي؟! يا سلام..

ابتسم عاصم في إرهاب، فلطّف عبدالكريم الأجواء قائلاً:

- الحمد لله أنه بخير، الآنسة ندى هي التي أنقذته.

ألقت السيدة شهيرة على ندى نظرة طويلة مستهجنة قبل أن تسأل
بنبرة حادة في عدم تصديق:

- وكيف حدث ذلك؟

أجابها عاصم:

- تلك السفاحة احتجزتني في مطعمها في قلب الجبل وأطلقت عليّ الرصاص مرتين، أخطأتني في الأولى، وكادت أن تردينني في الثانية لولا ندى..

التقت عينا عاصم بعيني ندى، فتعلقت نظراتهما وكأن لا أحد في الغرفة غيرهما.. اغتاظت السيدة شهيرة وسألت في نفاذ صبر:

- كيف أنقذتك؟

- حاولت الوصول لعبدالكريم فلم تستطع.

منحت السيدة شهيرة عبدالكريم نظرة مستهجنة، فقال مدافعاً عن نفسه:

- كنت على رأس قوة في وسط الجبل حيث لا إرسال.. ولكنها لم تستسلم، ذهبت إلى أحد الأصدقاء في محل عمله وأجبرته على ترك كل شيء والإسراع نحو المطعم، فاقترعاه في اللحظة الأخيرة وتمكننا من ضرب المجرمة ضربة شديدة جعلتها تفقد اتزانها لحظياً ليتمكننا من شل حركتها وتقييدها وهي في حالة هياج متوحشة.. صدقيني.. لولا ندى لما كان المقدم عاصم بيننا الآن.

احمرَّ وجه ندى، وشعرت السيدة شهيرة بالحرج فلوت شفيتها وتلفتت حولها تبحث عن مهرب فلم تجد، فأجبرت نفسها على النظر نحو ندى وقالت لها من عليها باقتضاب:

- شكرًا.

فقال عبدالكريم:

- والآن هيّا لتقابلي الطبيب ليشرح لك حالة المقدم عاصم بالتفصيل، ثم أرشدك للكافيتريا، بالتأكيد تحتاجين إلى فنجان من القهوة.

- آه القهوة..

قالتها ثم تقدمته في إباء وشمم، فخرج وراءها غامزًا لعاصم وهو يغلق الباب من خلفهما. نظر عاصم إلى ندى نظرة حملت مئات الكلمات فاحمرّ وجهها وجلست بجواره يستأنفا ما فاتهما.

خرج عاصم من المستشفى صباح الجمعة، وأصرت والدته على أن يقيم معها في غرفتها المزدوجة بالفندق الفاخر من سلسلة فنادق الخمس نجوم العالمية. اتصل عاصم بندى واتفق معها على ملاقاته في النُّزْل مساء. وصلت هي قبله لترتدي تنورتها الهندية التي أحبها، دخلت من البوابة فاستقبلها الموجودون استقبال الفاتحين والتفوا حولها يريدون معرفة التفاصيل. رأت أندريه من طرف عينيها يقف في أحد الأركان منزويًا يربّت على كلبته الوفية، فشعرت بالحزن من أجله. فقد هذا الرجل كل النساء في حياته.. وفقداهم على يد زوجته! انتبهت ندى لسيدة أربعينية شقراء أنيقة تقترب من أندريه وتضع كفها على كتفه.. قالت سفيتلانا:

- ها قد أتت إيزابيل.. أرجو أن يجد أندريه الهدوء والسلام معها..
يستحق ذلك.

- هل تعرفينها؟

- إيزابيل؟ نعم.. إنها مديرة أحد الفنادق هنا، وبينها وبين أندريه صداقة طويلة كان يجب أن تتوَّج بالزواج لو لم تظهر كاترينا وتلقي عليه حباثلها وتضطاده بطعم روز المسكينة.

- ولكنني لم أرَ إيزابيل هنا من قبل.

- أدركت كراهية كاترينا لها، فتجنبت المجيء، وخيرًا فعلت وإلا لكانت مدفونة الآن فوق التل.

أومأت ندى برأسها، ثم سألت سفيتلانا في فضول:

- لديّ سؤال فهل تجاوبيني؟

- تفضلي..

- ما السر في دعوتكِ للفتيات للسهر في فندقكِ مجانًا؟

ظهر السخط في عيني المرأة وهي تسأل بدورها:

- هل اشتبهتم فيّ؟

- حسنًا.. في حقي..

قاطعتها سفيتلانا:

- لا تجيبي، هذا سؤال اعتراضي.. أعترف أن دعواتي تلك تبدو مشيرة للشبهات، ولكن الأمر بسيط، فوجود فتيات جميلات في الفندق

كل ليلة يرقصن ويضحكن كفيل باجذاب الرجال من السائحين والمقيمين على حد سواء. لن تصدقي فرق المبيعات والتقييمات الإيجابية منذ واطبت على ذلك.. والآن دوري أسألك: كيف عرفت أن المقدم عاصم كان بالمطعم؟

هممت ندى بالإجابة ولكنها رأت جاسر يدخل من البوابة باتجاهها وابتسامته المتبجحة تعلو وجهه وهو يقترب من غنى ويهمس لها ببضع كلمات. لم تكذ ندى تشيح بوجهها بعيداً حتى سمعت صوت طرقة مفاجئة، فالتفت لترى كف غنى ترتفع عن وجه جاسر وقد تركت أصابعها آثاراً حمراء على وجنته، واهتز رأسه من أثر اللطمة، والفتاة تصرخ فيه قائلة:

- يا حيوان يا متحرش.. ولك عين تأتي إلى هنا بعد ما فعلته؟!

لم تشعر ندى بنفسها إلا وهي تصفق في جذل، فالتقت عيناها بعيني غنى في نظرة تفاهم عميقة منحتها على أثرها غمزة وابتسامة انتصار. وكان هذا هو الاستقبال الحقيقي الذي رسم البسمة على وجه ندى.

تلك البسمة التي أسرت قلب عاصم، الذي وقف يراقبها من بعيد، قبل أن يتقدم نحوها ليلتقي القلبان وتتشابك الأيدي.

من مذكرات روز

كلما جلست هنا في غرفتي، أمام دفترتي الأحمر أتأمل البحر الأزرق الممتد، أشعر بأنني غارقة في أفكاري وأحلامي . . بداخلي عالم مختلف، مليء بالأمان. تدفئ قلبي اللحظات الصغيرة التي تجعل الحياة جميلة: ابتسامة من أندريه . . الأوقات التي تقضيها سويًا مع ضيوف النزل . . الجري مع نيس على شاطئ البحر . . وجدالي الذي لا ينتهي مع صديقي العزيز زيكاس . . ولحظات كثيرة أخرى عادية . . تصبح ثمينة حينما أتوقف للتفكير فيها .

أمي تقول إن الحياة قاسية، وإنها لا تسير كما نخطط لها، فلا ينبغي أن نركز لها أو توقع منها الكثير . . ولكنني أؤمن بأن الأمل موجود في كل زاوية . وأحيانًا تكون المشكلات التي نواجهها مهما كانت كبيرة، ليست سوى تحديات تجعلنا أقوى . لا أستطيع أن أتخيل عالمًا بدون أمل، وبدون الإيمان بأن كل شيء سيصبح أفضل .

أتمنى أن أكون قادرة على تحقيق أحلامي؛ السفر إلى إيطاليا والتعرف إلى أسرة أمي عن قرب، والعمل كعارضة أزياء، وأن أعيش حياة مليئة بالفرح

والتجارب الجميلة. أريد أن أكون قادرة على مواجهة كل ما يأتي في طريقي بثقة وشجاعة، وأن تبقى ابتسامتي على شفتي حتى في أصعب الأوقات.

كثيراً ما أتساءل عن المستقبل، هل سيكون كما أتمنى؟

ثم أعود فأشعر بالامتنان لكل لحظة أعيشها الآن. الحياة قصيرة، وأنا أريد أن أستمع بكل دقة فيها، وأن أعيشها بكل ما أوتيت من قوة وفضل.

أعتقد أن هذا هو السبيل لنعيش حياة مليئة بالمعنى والحب.

«روز»

شكر وعرفان

عزيزي القارئ..

شريكي في الصفحات، ورفيقي بين السطور.. شكراً على وجودك
ودعمك.. قراءتك لرواياتي تمكّني من الاستمرار في العمل الذي أحبه.

عزيزي إيهاب راتب..

شريكي في الحياة والرحلة.. شكراً على وجودك ودعمك..

عزيزتي نرمين رشاد..

ناشرتي الجميلة وشريكتي في النجاح.. شكراً على وجودك
ودعمك..

قرائتي الأوائل..

رضوى داود، وشذى حسن، ومحمود منير، وفاطمة توفيق، ومريم
داود، وسمية توفيق، وعلياء حسن، وإخلاص مختار، ورغدة مختار..
شكراً على القراءة والوقت والملاحظات.. شكراً أيضاً على التقريع
الذي بفضلله أظنني حظيتُ بأفضل نسخة من هذه الرواية.

ابنتي الحبيبة سارة..

لم أكن لأتمكن من إتمام هذه الرواية لولا نقاشاتنا الممتعة
وأفكارك الملهمة.. حفظك الله لي أنت وأخويك.

دهب..

أرجو أن أكون وُفِّقت في نقل ولو ذرة من سحرك..

«نهى»

مكتبة

t.me/soramnqraa



ذبابة زرقاء

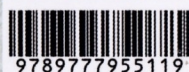
فجأة تتحول مدينة ذهب الوداعة إلى مدينة يسكن الخوف ربوعها، بعد انتشار شائعات عن وجود قاتل يستهدف النساء، وسرعان ما يكتسب اللقب المخيف: "سفاح ذهب"! تبدأ القصة ببلاغ من ندى حول اختفاء صديقتها الأمريكية، وتحاول التعاون مع المقدم عاصم متجاوزة ذكرى علاقة شائكة ومؤرقة للطرفين.. وفي إطار من التشويق والإثارة تتصاعد الأحداث مع اكتشاف اختفاءات سابقة لم ينتبه إليها أحد.. ترتعد فرائص الجميع ويتساءلون من ستكون الضحية التالية؟ أم تنقلب الأدوار فيلاحق المجرم رموز العدالة؟

نهى داود، كاتبة مصرية ولدت في إنجلترا عام 1975، تخرجت في قسم الاتصالات بكلية الهندسة جامعة القاهرة. وبعد أن عملت بمجال تخصصها لسنوات غمرها تيار الشغف، لتعكف على كتابة أولى رواياتها البوليسية بعد أن حصلت على دبلومة الكتابة الإبداعية من جامعة ويزليان الأمريكية، ثم تخصصت في أدب الجريمة. صدر لها 9 روايات منها: "جريمة السيدة هـ"، و"رضا"، و"جريمة العقار 47"، و"جنتان والثالثة عند قدمي"، و"دماء على السجادة الحمراء".



مكتبة

t.me/soramnqraa



9789777955119

الدار المصرية اللبنانية 40

للشراء عبر موقعنا
www.almasrahbookstores.com